

الحكيم القلب

[تأملات في سفر الجامعة]

فهرس المحتويات

مقدمة

عالم باطل (1: 11-1)

حكمة باطلة (1: 12-18)

لذة باطلة (2: 11-1)

من يُرضي الله (2: 12-26)

الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (1: 3: 14-1)

الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (2: 3: 14-1)

يجب أن نتمتع بالحياة بتوازن (3: 13-14)

كل ما يفعله الله يدوم إلى الأبد (3: 14)

الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (3: 14-22)

لا مُعَرِّي " (4: 1-3)

السكينة" (4: 6-4)"
اثنان خير من واحد (4: 7-12)
حكمة المساكين بالروح (4: 13-16)
خَفِ الله" (5: 1-7)"
لا تتعجب من ذلك" (5: 8-9)"
العامل الذي ينام هانئاً (5: 10-12)
الله الذي يمنح الثروة والغنى والقدرة على التمتع بهما (5: 13-20)
ما هو أهم من بركة الثروة والغنى (5: 19)
عبء ثقيل على الإنسان (6: 1-6)
هل تتمتع بالحياة؟ (6: 3، 6)
عمرٌ يُقضى كالظل (6: 7-12)
الأحياء يضعون ذلك في قلوبهم" (7: 1-4)"
لنتنبأ منظور الموت (7: 2)
توبيخ الحكماء (7: 5-7)
لماذا يخطر الناس في علاقات الزنا؟ (7: 7)
خدمة الحكيم (8: 7-10)
سباق الحياة (8: 7-10، 14)
جمال الحكمة (11: 7-14)
أساس الحكمة (15: 7-18)
الحكمة التي تمنح الحكيم قوة (19: 7-22)
هذا ما اكتشفته" (23: 7-29)"
الحكمة البشرية" (1: 8-8)"
كل ما يُعمل تحت الشمس" (9: 8-13)"
تأجيل الله للعقاب (11: 8)
أعمال الله التي لا تُدرك (14: 8-9: 1)
المصير نفسه ينتظر الجميع (2: 9-6)
الإنسان الذي يرضي الله (7: 9-10)
الزمان والصدفة (11: 9-12)
الرجل الحكيم الفقير" (13: 9-18)"

لنحذر من أن نُظهر أنفسنا حمقى (4-10:1)

حافظ على هدوئك! (10:4)

عيب واحد" (7-10:5)

الحكمة مفيدة للنجاح (11-10:8)

شفّنا الأحمق (15-10:12)

أرض تعاني الويلات (20-10:16)

لنتأمل ذلك اليوم (8-11:1)

أيها الشاب" (10-11:9)

اذكر خالقك في أيام شبابك" (8-12:1)

بعد سماع خلاصة الأمر" (14-12:9)

الخاتمة

مقدمة

رغبْتُ في التأمل في سفر الجامعة لأنني شعرت بحاجة ماسة إلى حكمة الله. وعلى وجه الخصوص، وبينما كنت أتفكر في كيفية عيش الحياة التي مُنحت لي في هذا العالم — حيث "بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ، الْكُلُّ بَاطِلٌ" (الجامعة 1: 2) — شعرت بانجذاب للتأمل في سفر الجامعة، وهو أحد أسفار الحكمة. ومع تزايد كشف كلمة الله لحماقتي الشخصية، أردت التأمل في هذا السفر وأنا على قناعة تامة بأنه لا ينبغي لي أن أعيش حياة تنسم بهذا القدر من العبث. وهكذا، وبعد إتمام دورة من التأمل والوعظ وإعادة التفكير في سفر المزامير خلال اجتماعات الصلاة الأسبوعية أيام الأربعاء، اخترت البدء في التأمل في سفر الجامعة. لقد تأملت في السفر ووعظت منه وتعمقت في التفكير فيه، وكل ذلك بقلب يتوق إلى حكمة الله.

بدأتُ التأمل في سفر الجامعة لأول مرة يوم الأربعاء، 17 أكتوبر 2009. وفي ذلك المساء، وخلال اجتماع الصلاة، تأملت في المقطع الافتتاحي للسفر (1: 1-11) ووعظت منه وتأملت فيه مجدداً تحت عنوان "عالم بلا معنى". وبعد ذلك، واصلت هذه العملية — التأمل والوعظ والتفكير — لما يقرب من أربعة عشر شهراً، في كل يوم أربعاء تقريباً. وأخيراً، في 22 ديسمبر اختتمت السلسلة بالتأمل في المقطع الختامي للسفر (الجامعة 12: 9-14) والوعظ منه والتأمل فيه مجدداً تحت عنوان، 2010 بعد سماع خلاصة الأمر". ومن خلال هذه العملية المتمثلة في التأمل في سفر الجامعة والوعظ منه، عشتُ وقتاً مثمراً ومجزياً حقاً، مستمداً القوة من النعمة التي منحني إياها الله. لقد كان التأمل في كلمة الله أمراً مجزياً بحد ذاته، كما كان باعثاً على الرضا والامتلاء بفضل الرؤى والأفكار التي منحني الله إياها من خلال ذلك التأمل؛ وتحديداً، إدراك حقيقة "هذا ما وجدته" (7) لقد كنت ممتناً لله بشكل خاص لتلك الفرصة — التي تتيح لي رؤية الحياة من منظور الموت (7: 2) — للابتعاد عن (29-23) الحكمة الباطلة" (1: 12-18) — مثل مجرد "الحكمة البشرية" (8: 1-8) — وعن "الملذات الزائلة" (2: 1-11) أثناء "عيش حياة تمضي كالظل" (6: 7-12) في هذا "العالم الزائل" (1: 11). وبدلاً من ذلك، أمكنني السعي وراء "حكمة الفقراء بالروح" (4: 13-16)، و"الحكمة التي تمنح الحكيم قوة" (7: 19-22)، و"الحكمة النافعة للنجاح" (10: 8-11)، و"جمال الحكمة" (7: 11-14). إن رغبتني في مواصلة السعي وراء هذه الحكمة تنبع من رغبة في التوقف عن إثبات حماقتي الشخصية بل أختار أن أتذكر الله خالقي — "اذكر... في أيام شبابك..." "اذكر خالقك" (12: 1-8) — وأن أكمل "سباق" (4: 1-10) والاستمتاع بالرحلة [هل (7-الحياة) (7: 8-10، 14) حتى النهاية بالإيمان، مع مخافة الله وحده [تخاف الله وحده" (5: 1) 1]. [تستمتع بها؟ (6: 3، 6)

على مسودة هذا الكتاب حول سفر —وبدافع من الله اليوم، أشعر بالامتنان والسعادة لإتمام المراجعات — رغم أوجه قصوري الجامعة، الذي بدأت التأمل فيه منذ حوالي خمس سنوات. وفوق كل شيء، أفرح لأنني أستطيع الآن مشاركة هذه التأملات حول سفر الجامعة مع إخوتي وأخواتي الأحباء. أصلي لكي يتم الرب مشيئته من خلال هذه المشاركة، ويسبغ نعمته الثمينة على أعضاء الجسد الذين يتوقون إلى حكمة الله.

،في الرب

رسالة من القس جيمس كيم

عالم زائل

[سفر الجامعة 1: 11-1]

كيف تنتظر إلى الحياة؟ أو من بأن الحياة زائلة؛ ولو أردت وصفها، لقلت إنها "وجودٌ عابر". يرتبط التعريف القاموسي للবাদنة "بمفهوم" الفترة الزمنية" أو "الفصل الزمني" (التي تعني "زائل" أو "عابر" *deot-eopda* في الكلمة الكورية) *deot* ومن ثم، تشير الكلمة إلى "غياب الديمومة" أو "انعدام الثبات"، مما يعني أنه لا شيء يبقى على حاله وأن كل شيء يتغير بسرعة؛ إنها باختصار حالة من عدم الاستمرار. وأثناء بحثي عن هذا المصطلح عبر الإنترنت، صادفتُ التعبير الاصطلاحي (أي "حلم الربيع"). تشير هذه العبارة إلى "حلم ربيعي عابر"، وتُستخدم مجازاً لوصف "المجد الزائف" *iljangchunmong* أو الأمور العابرة". ولعل هذا هو السبب في أن الناس غالباً ما يشبهون حياة الإنسان بمثل هذا الحلم. لقد صلى موسى، كاتب المزمور، قائلاً: "أحصى أيامنا" (مزمور 90: 12). وعلينا نحن أيضاً أن نصلي كما صلى موسى؛ إذ تتضمن هذه الصلاة مطلبين: "علمنا حقيقة زوال الحياة" و"علمنا أن نعيش حياة ذات قيمة". إذن، كيف يمكننا إدراك زوال الحياة؟ هناك ثلاث طرق لذلك:

أولاً، الحياة زائلة لأننا نعود إلى التراب. انظر إلى مزمور 90: 3: "ترجع الإنسان إلى التراب وتقول: 'ارجعوا يا بني (1) آدم".

ثانياً، الحياة زائلة لأنها قصيرة. تأمل مزمور 90: 4-6: "لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس إذا عبر، أو كهزيع من (2) الليل. تجرفهم كالسيل؛ إنهم كالنوم، كالعشب الذي ينبت في الصباح. في الصباح يزهر وينمو، وفي المساء يُحصد ويذبل

ثالثاً، حياة الإنسان زائلة لأنها لا تعدو كونها تعباً وحزنًا. تأمل في المزمور 90: 10: "أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ (3) "كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ قَتَمَاتُونَ سَنَةً، وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَاطِلٌ، لِأَنَّهَا تُقَرَضُ سَرِيعًا فَتُطِيرُ

يُعد النص المختار اليوم، وهو سفر الجامعة 1: 11-1، بمثابة مقدمة لسفر الجامعة بأكمله. ويمكن تقسيم هذه المقدمة إلى جزأين؛ يتألف الجزء الأول من الآية 1. وتُعرّف هذه الآية مؤلف السفر بأنه سليمان، "ابن داود، الملك في أورشليم". وبعبارة أخرى

فهي توضح أن سليمان هو "الجامعة" (أو الواعظ) الذي كتب السفر. أما الجزء الثاني فيشمل الآيات من 2 إلى 11، ويُعلن هذا القسم عن بطلان العالم. وفي هذا القسم الثاني -الذي يتحدث عن تفاهة العالم وبطلانه- نجد الكلمات المألوفة: "يَقُولُ الْجَامِعَةُ بَاطِلُ الْبَاطِيلِ، بَاطِلُ الْبَاطِيلِ! الْكُلُّ بَاطِلٌ" (الآية 2). وهذا الإقرار هو الخلاصة المستمدة من تجارب الملك سليمان -الجامعة- الذي امتلك وتمتع بكل ما يقدمه هذا العالم؛ وخلاصة قوله ببساطة هي: "الكل باطل". ومن المثير للاهتمام أن المعنى العبري الأصلي للكلمة التي يستخدمها سليمان هنا للتعبير عن "البطلان" هو "نسمة" (أو بخار). وتُستخدم هذه الكلمة كاستعارة للدلالة على "الشيء الزائل، في مقابل الشيء الراسخ والدائم" (المزمور 90: 9) (بارك يون-صن). ويشير القس جون ماك آرثر إلى أن الملك سليمان، أي "الجامعة"، يستخدم كلمة "بطلان" (أو "عدم جدوى") في جميع أنحاء سفر الجامعة بثلاثة معانٍ: على الأقل:

المعنى الأول هو أن أنشطة البشر "تحت الشمس" زائلة. وبعبارة أخرى، الحياة باطلة لأنها تشبه "بُخَارًا يَظْهَرُ قَلِيلًا ثُمَّ (1) يَظْمَجُ" (يعقوب 4: 14).

المعنى الثاني هو أن أنشطة البشر "تحت الشمس" عقيمة أو بلا معنى. ويركز هذا المعنى على الأثر المُحبط الذي تتركه (2) حالة اللعنة التي يعاني منها الكون على التجربة الإنسانية هنا على الأرض.

المعنى الثالث هو أن أنشطة البشر "تحت الشمس" غير مفهومة أو غامضة. هذه خلاصة تم التوصل إليها بعد التأمل في (3) أسئلة الحياة التي لا إجابة لها (ماك آرثر).

اليوم، وبينما نركز على هذا النص وموضوع "العالم الباطل"، أود أن نتناول أربعة أسباب تجعل العالم الذي نعيش فيه باطلاً. يحذوني الأمل في أن ندرك -من خلال هذه الرسالة- بطلان هذا العالم بشكل أعمق. وعلاوة على ذلك، أصلي لكي نعيش -بفضل الحكمة التي يمنحنا الله إياها- حياة ذات مغزى في هذا العالم الباطل؛ حياة يتذكرها الله.

لماذا يُعد العالم الذي نعيش فيه عالمًا باطلاً؟

أولاً، هذا العالم باطل لأنه لا يقدم أي نفع دائم. وبعبارة أخرى، هو باطل لأنه لا يبقى منه شيء في النهاية. لننظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 1: 3: "أَيُّ مَنَفَعَةٍ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبٍ الَّذِي يَتَعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ؟" تشير هذه الآية إلى أن كل الكدح الذي يبذله البشر تحت الشمس -بعيداً عن الله- لا يثمر نفعاً ولا يترك وراءه شيئاً. ويتبادر إلى الذهن المزمور 90: 10: "أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَتَمَّائُونَ سَنَةً، وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ، لِأَنَّهَا تُفَرِّضُ سَرِيعاً فَنَاطِيرَ". يصف موسى، "رجل الله" (المزمور 90)، الحياة التي تمتد لسبعين أو ثمانين عاماً -وهي حياة تمضي وتنقضي بسرعة- بأنها حياة لا تفتخر بشيء، سوى التعب والأسى. عندما ننظر إلى الوراء في تلك السنوات السبعين أو الثمانين ونتأمل فيما تركناه خلفنا من جراء كدحنا ماذا عسانا نقول؟ يتحدث الملك سليمان، "الجامعة"، عن هذا الأمر في سفر الجامعة 5: 15-16: "كَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ

عُرْيَانًا يَرْجِعُ ذَاهِبًا كَمَا جَاءَ، وَلَا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْ تَعْبِهِ يَذْهَبُ بِهِ فِي يَدِهِ. وَهَذَا أَيْضًا شَرُّ عَنِيْفٍ: فِي كُلِّ شَيْءٍ كَمَا جَاءَ هَكَذَا يَذْهَبُ. فَأَيُّ مَنَفْعَةٍ لَهُ؟ لِأَنَّهُ تَعَبَ لِلرَّيْحِ!" إنه يؤكد أن كل كدح يُبذل في هذا العالم بعيداً عن الله يشبه السعي للإمساك بالرياح فكيف يمكننا الإمساك بالرياح؟ هذا يعني أن مثل هذا الكدح عقيم ولا يجلب لنا أي نفع. وهكذا، يُعلن الملك سليمان قائلاً: "لا يبقى شيء من إنجازات الحياة بعد الموت إذا عاش المرء بعيداً عن الله" (1: 3) (بارك يون-سون). ولذلك، يُعلن "الجامعة (الواعظ) أن هذا العالم عديم المعنى تماماً".

ثانياً، يكمن سبب خلو هذا العالم من المعنى في أن حياة الإنسان -مهما طال- تعود حتماً إلى التراب. لننظر إلى النص الوارد في سفر الجامعة 1: 5-6: "الشمس تشرق والشمس تغرب، وتسرع عائدةً إلى حيث تشرق. تهب الرياح نحو الجنوب وتتحول نحو الشمال؛ تدور وتدور، وتعود دائماً إلى مسارها". يشير هذا النص إلى أنه على الرغم من أن أهل العالم قد يعيشون حياتهم بمعنويات عالية ونشاط كبير، إلا أنهم يعودون حتماً إلى التراب (بارك يون-سون). ومهما بدا المرء مفعماً بالحياة والقوة في شبابه (مزمور 39: 5)، فإن الإنسان في النهاية أتى من التراب ولا بد أن يعود إليه. علينا أن ندرك هذه الحقيقة: "كل جسد كالعشب، وكل مجده كزهر العشب" (1 بطرس 1: 24-25). ففي النهاية، يذبل العشب ويسقط الزهر. وعلينا أن ندرك الحقيقة القائلة: "إنما كخيالٍ يمشي الإنسان؛ باطلاً يضطرب ويجمع الثروة، ولا يدري من سيأخذها" (مزمور 39: 6). إن حياتنا تشبه الرياح؛ فكما تهب الرياح نحو الجنوب وتتحول نحو الشمال، دائرةً هنا وهناك قبل أن تعود أخيراً إلى مصدرها (الآية 6)، كذلك حياتنا -التي بدأت من التراب- لا بد أن تعود في النهاية إلى التراب. ولهذا السبب يُعلن "الجامعة" أن هذا العالم هو "باطل الأباطيل".

ثالثاً، يكمن سبب كون هذا العالم باطلاً في أن الطمع البشري لا يعرف حداً للإشباع.

لننظر إلى النص الوارد في سفر الجامعة 1: 8: "كُلُّ الْكَلَامِ يُعْبِي. لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُخْبِرَ. الْعَيْنُ لَا تَشْبَعُ مِنَ النَّظَرِ، وَالْأُذُنُ لَا تَمْتَلِئُ مِنَ السَّمْعِ". إن القول بأن العين والأذن لا تشبعان أبداً -حتى بعد الرؤية والسماع- يشير إلى أن الطمع البشري، تماماً كالبحر الذي لا يمتلئ رغم التدفق المستمر للمياه (الآية 7)، لا يعرف القناعة (كما يرى بارك يون-صن). وبالفعل، تبدو "شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة" الكامنة فينا بلا نهاية (1 يوحنا 2: 16)؛ إذ يبدو الطمع البشري بلا حدود. ولهذا السبب قال الملك سليمان: "عَيْنُهُ لَا تَشْبَعُ مِنَ الْغِنَى" (الجامعة 4: 8). ومع ذلك، فإننا نسعى وراء أشياء شتى في هذا العالم الباطل، محاولين إشباع ذلك الطمع الذي لا ينتهي. لكننا في النهاية لا نجد أي إشباع حقيقي. لقد بلغ الأمر بالملك سليمان أن قال: لَمْ أَمْنَعْ عَيْنِي شَيْئًا مِمَّا اشْتَهَيْتُهُ، وَلَمْ أَمْنَعْ قَلْبِي مِنْ كُلِّ فَرْحٍ" (2: 10). لقد استمتع الملك سليمان بكل ما اشتتهه عيناه وسرَّ به "قلبه -ووصفاً ذلك بأنه جزء كل تعب (2: 10)- لكنه اعترف في النهاية قائلاً: "ثُمَّ التَفْتُ أَنَا إِلَى كُلِّ أَعْمَالِي الَّتِي عَمَلْتُهَا يَدَايَ وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعَبْتُهُ فِي عَمَلِهِ، فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ، وَلَا مَنَفْعَةٌ تَحْتَ الشَّمْسِ" (الآية 11). وفي الختام، يذكر كاتب سفر الأمثال: "الْهَآوِيَةُ وَالْهَلَاكُ لَا تَشْبَعَانِ، وَكَذَلِكَ عَيْنَا الْإِنْسَانِ لَا تَشْبَعَانِ" (أمثال 27: 20).

مع التقدم العلمي المتسارع في أيامنا هذه، تظهر باستمرار أنواع جديدة من الآلات. ومع ذلك، حين أتأمل فيما إذا كانت هذه الآلات الجديدة قادرة على إشباع قلوب المسيحيين -الذين صاروا خليفة جديدة في يسوع- أجد أنها لا تستطيع ذلك أبداً. فمع مرور الوقت، ستستمر الأشياء الجديدة في الظهور؛ ورغم أننا قد نواصل شراءها كلما طُرحت، إلا أنني أؤمن بأن اقتناءها لن يشبع قلوبنا إشباعاً حقيقياً أبداً. يكمن السبب وراء تفكيري بهذه الطريقة في سفر الجامعة 3: 11: "صَنَعَ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ. وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ...". لقد وضع الله فينا توقفاً إلى الأبدية؛ ولذلك، لا يمكننا أبداً أن نجد الرضا التام في أمور، هذا العالم الزائلة. إن السعي وراء هذه الأشياء العابرة هو مسعى عقيم - أشبه بمطاردة الريح - ولا يجلب أي فائدة حقيقية. حقاً، "إن هذا العالم هو باطل الأباطيل".

وأخيراً، السبب الرابع لكون هذا العالم بلا معنى هو أن أجيال المستقبل لن تتذكر أفراد الجيل الحاضر.

انظر إلى النص الوارد في سفر الجامعة 1: 11: "أَيَسَ ذِكْرٌ لِلأَوَّلِينَ. وَكَذَلِكَ الْآخِرُونَ أَيْضًا لَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ عِنْدَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ". يقول الملك سليمان: "مَا كَانَ فَهُوَ مَا يَكُونُ، وَالَّذِي صُنِعَ فَهُوَ الَّذِي يُصْنَعُ، فَلَيْسَ تَحْتَ الشَّمْسِ جَدِيدٌ. هَلْ مِنْ شَيْءٍ يُقَالُ عَنْهُ: انْظُرْ! هَذَا جَدِيدٌ؟ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مُنْذُ الزَّمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلَنَا" (الآيتان 9-10). ومغزى هذه الكلمات هو أنه نظراً لعدم وجود شيء جديد حقاً في هذا العالم - بل مجرد تكرار لما سبق - فإن الناس لا يستطيعون العثور على الرضا (بارك يون-سون) وفي هذا السياق، يعلن الملك سليمان أن العالم بلا معنى لأن أجيال المستقبل لن تتذكر أفراد الجيل الحاضر (الآية 11) (بارك يون-سون). مهما امتلك المرء من ثروة أو سلطة أو نفوذ، فما الذي يبقى بعد الموت؟ ألا تُنسى كل هذه الأمور في نهاية المطاف مع مرور الوقت؟ جيل يمضي وجيل يأتي (الآية 3). ولأن الأجيال الماضية لا تُذكر، فإن هذا العالم بلا معنى حقاً؛ إنه "باطل الأباطيل".

يُقال إنه بينما يكون الأسد ملكاً للبرية وهو حي، فإن الكلاب قد تحمل عظامه وتتجول بها بعد موته (بارك يون-سون). فالموت يجعل مثل هذه الأمور بلا قيمة؛ والكلب الحي خير من الأسد الميت. ومهما تمتع المرء في حياته، فلا يمكن تجنب الموت، ولا يعود لأي شيء أهمية بمجرد رحيله. ومع مرور الوقت، يُنسى الإنسان. حقاً، إن هذا العالم ليس سوى باطل.

إذن، كيف ينبغي لنا - أنا وأنت - أن نعيش في هذا العالم الذي يخلو من المعنى؟ أولاً، في حين أن إنجازات الحياة التي تُعاش بعيداً عن الله لا تترك أثراً بعد الموت، فإننا -بصفتنا مؤمنين بيسوع- يجب أن نطلب الحكمة من الله وأن نعيش بحكمة في هذا العالم، مسترشدين بالحكمة التي يمنحنا إياها.

لماذا يجب أن نطلب الحكمة من الله؟ لأن الحكمة مفيدة للنجاح (10: 10). علينا أن نطلب الحكمة السماوية (3: 17-18) من الله الذي يعطي بسخاء (يعقوب 1: 5). وعلينا أن نعيش بحكمة في هذا العالم الذي يفتقر إلى المعنى الحقيقي، مستخدمين الحكمة التي يمنحها الله. كيف نعيش بحكمة في عالم كهذا؟ يجب أن نعيش حياة تنقي الله وتطيع كلمته، مسترشدين بالحكمة التي يهبها

هذا هو ما يشكّل حياة ناجحة حقاً في نظر الله. وبهذه الطريقة نعيش حياة ذات مغزى تترك إرثاً باقياً. ثانياً، يجب أن نصلي إلى الله قائلين: "يا ربُّ، عرّفني نهايتي ومقدار أيامي، كم أنا زائل!" (مزمور 39: 4)

على غرار كاتب المزمور -أي داود- يجب أن نصلي لكي يساعدنا الله على إدراك نهاية حياتنا وزوال الوجود البشري. كيف نعيش بحكمة خلال سنوات العمر القصيرة -سبعين أو ثمانين عاماً- الممنوحة لنا في هذا العالم الزائل؛ تلك الحياة التي تبدأ من التراب ولا بد أن تعود إليه حتماً؟ لقد وجدتُ الجواب في سفر الجامعة 7: 2: "ذَهَابَ الْإِنْسَانُ إِلَى بَيْتِ النَّوْحِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى بَيْتِ الْوَلِيمَةِ، لِأَنَّ ذَاكَ هُوَ نِهَايَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَيَصْنَعُ الْحَيُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ". بعبارة أخرى، يجب أن نعيش في هذا العالم بمنظور يقر بحقيقة الموت. وبينما نصلي قائلين: "إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هَكَذَا عَلَّمْنَا، فَتَوَتَّى قَلْبَ حِكْمَةٍ" (مزمور 90: 12)، علينا أن نوظف الحكمة التي يمنحنا إياها الله لنعيش وقتنا المحدود والثمين على الأرض لمجده.

ثالثاً، يجب أن نتخلّى عن الطمع ونعيش حياة القناعة، مكتفين بيسوع وحده.

ففي المزمور 73: 25، يعترف كاتب المزمور آساف قائلًا: "مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لَا أُرِيدُ شَيْئاً فِي الْأَرْضِ". بينما نعيش في هذا العالم الزائل، يظل يسوع هو الوحيد القادر على إشباع نفوسنا؛ فهو وحده القادر على تلبية أعمق احتياجاتنا. ولأن نفوسنا تتوق إلى الأبدية، فإن يسوع الأبدي هو وحده من يستطيع إشباعها حقاً. وعلينا، على غرار الرسول بولس، أن نتعلم القناعة والرضا سواء في الوفرة أو في العوز؛ أي "في أي حال" نجد أنفسنا (فيلبي 4: 11). يجب أن نعيش حياتنا مكتفين بيسوع وحده، وأن نجد شعبنا فيه ونطيع كلمة الله. وعلاوة على ذلك، ينبغي أن نكرس حياتنا للسعي وراء الأمور الأبدية.

رابعاً وأخيراً، يجب أن نسعى جاهدين لنعيش حياة يذكرها الله.

بعد موتنا، لن يتذكرنا أحد. ورغم أن أبنائنا وأحفادنا قد يذكروننا، إلا أن الناس سينسوننا في نهاية المطاف مع مرور الزمن ومع ذلك، فأنا وأنت أشخاص يذكرهم الله؛ لأننا ثمينون ومكرمون في عينيه (إشعيا 43: 4). لقد كان كرنيليوس رجلاً يذكره الله (أعمال الرسل 10: 4). ومثل كرنيليوس، يجب علينا نحن أيضاً أن نعيش حياة يذكرها الله. وكما عاش كرنيليوس حياة الصلاة وأعمال الخير التي أقرها الله، علينا نحن أن نعيش حياة ذات مغزى في نظر الله وسط هذا العالم الزائل، ضامنين أن يذكرنا الله في حياتنا.

إن العالم الذي نعيش فيه عالم زائل وعديم الجدوى؛ فهو لا يقدم نفعاً دائماً، ومصيرنا هو العودة إلى التراب. ورغم أننا قد نُكِنُّ الطمع في هذا العالم، إلا أننا لا نجد فيه شعباً حقيقياً، مما يجعل وجودنا فيه عبثاً. إنه عالم زائل أيضاً لأن الأجيال القادمة لن تتذكر أفراد هذا العصر. فكيف إذن ينبغي لنا أن نعيش في عالم كهذا؟ يجب أن نعيش حياة مثمرة، تهدينا إليها الحكمة التي يمنحنا إياها الله. وخلال وجودنا على الأرض، علينا أن نتخلّى عن الطمع ونجد الرضا في يسوع وحده. ومن خلال مخافة الله وطاعة كلمته، يجب أن نصبح شعب الله، ونعيش حياة يذكرها هو.

الحكمة الباطلة

[سفر الجامعة 1: 12-18]

لقد تأملنا سابقاً في مفهوم "العالم الباطل"، مع التركيز على النص الوارد في سفر الجامعة 1: 1-11. وتعرفنا على أربعة أسباب تجعل هذا العالم باطلاً: (1) عدم وجود ربح دائم أو إرث يبقى بعد الرحيل؛ (2) عودة كل شيء حتماً إلى التراب؛ (3) الطمع البشري الذي لا يشبع؛ و(4) عدم بقاء ذكر للأجيال الماضية. وبعد التأمل في هذه الجوانب الأربعة لبطلان العالم استخلصنا أيضاً أربعة دروس حول كيفية العيش في عالم كهذا. وأول هذه الدروس هو أننا، بصفتنا مؤمنين بيسوع، يجب أن نطلب الحكمة من الله وأن نعيش بحكمة في هذا العالم مستخدمين الحكمة التي يمنحنا إياها. لماذا يجب علينا طلب الحكمة من الله؟ السبب هو أن الحكمة نافعة لتحقيق النجاح (10: 10).

هنا، نحتاج إلى التمييز بين نوعين من الحكمة: الحكمة التي يمنحنا الله إياها وحكمة هذا العالم. ويمكن العثور على مثال بارز لهذا التمييز في رسالة يعقوب 3: 13-18؛ حيث يتحدث الرسول يعقوب عن هذين النوعين من الحكمة على النحو التالي:

،يشير الرسول يعقوب إلى النوع الأول بوصفه "الحكمة التي من فوق" (الآية 17). وتتميز هذه الحكمة بأنها "أولاً طاهرة" (1) ثم مسالمة، مترفقة، مدعنة، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة، عديمة الريب والرياء" (الآية 17). ويظهر المؤمنون الذين يمتلكون هذه الحكمة السماوية حكمتهم من خلال الأعمال الصالحة والروح الوديدة (الآية 13). (2) أما النوع الثاني من الحكمة فهو حكمة "أرضية، نفسانية، وشيطانية" (الآية 15). وحيث توجد مثل هذه الحكمة، يسود "التشويش وكل أمر رديء" إلى جانب الحسد والتحزب" (الآية 16). ويعود سبب الخصام والنزاع بين من يمتلكون هذه الحكمة الأرضية والنفسانية والشيطانية إلى أنها تنبع من "الذات المحاربة" في أعضائهم (4: 1). وعلاوة على ذلك، فإنهم يفشلون في نيل استجابة لصلواتهم لأنهم يطلبون من الله بدوافع خاطئة؛ إذ يسعون فقط لإنفاق ما ينالونه على شهواتهم الخاصة (الآية 3). في نص اليوم —سفر الجامعة 1: 12-18— يسعى الملك سليمان، "الجامعة" (أو الواعظ)، وراء حكمة هذا العالم. انظر إلى الآية 17: "وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِأَعْرِفَ 12-18 الْحِكْمَةَ وَأَعْرِفَ الْحَمَاقَةَ وَالْجَهْلَ..."; هنا نراه يعتمد على بحثه التجريبي الخاص بدلاً من الاعتماد على إعلان الله الإلهي (ماك آرثر). ويمكننا استنتاج ذلك من الآية 16: "قُلْتُ فِي قَلْبِي: 'إِنِّي قَدْ ارْتَدَدْتُ حِكْمَةً وَقَافَةً عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِي وَنظراً لأنه اكتسب "حكمة عظيمة" —تفوق حكمة من عاشوا في "أورشليم، وَقَدْ رَأَى قَلْبِي كَثِيراً مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ

من خلال الحكمة والمعرفة الدنيويتين اللتين اختبرهما شخصياً، فقد اعتمد الملك سليمان على تلك الحكمة —أورشليم قبله لإجراء بحثه التجريبي. وهكذا، راقب "كُلَّ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَعْمَلُ تَحْتَ الشَّمْسِ" (الآية 14) و"وَجَّهَ قَلْبُهُ لِلطَّلَبِ وَالْبَحْثِ بِالْحِكْمَةِ فِي كُلِّ مَا عَمِلَ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ" (الآية 13). فما هي النتيجة التي توصل إليها أثناء مراقبته وفحصه لكل ما يُعمل تحت الشمس؟ بعبارة أخرى، ما كانت حصيلة بحثه التجريبي؟ يطرح نص اليوم ثلاث نقاط:

أولاً، فيما يتعلق بالاستنتاج الذي توصل إليه الملك سليمان من مراقبة وفحص جميع الأنشطة تحت الشمس، يذكر سفر الجامعة 1: 13: "وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِأَعْرِفَ الْحِكْمَةَ... فِي كُلِّ مَا عَمِلَ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ. إِنَّهُ عَنَاءٌ زِدِيٌّ جَعَلَهُ اللَّهُ لِبَنِي الْبَشَرِ لِيَشْتَغَلُوا فِيهِ". كانت النتيجة الأولى لبحثه هي أن "كل شؤون العالم تشكل عبئاً ثقیلاً علينا؛ فهي مهمة كلفنا الله بها لنتكبد عناءها". وهو يكرر هذا المعنى في سفر الجامعة 3: 10: "رَأَيْتُ الشُّغْلَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِبَنِي الْبَشَرِ لِيَشْتَغَلُوا فِيهِ".

ثانياً، كانت النتيجة التي توصل إليها الملك سليمان من خلال مراقبته وفحصه هي: "الْمُعْوجُ لَا يُمَكِّنُ تَقْوِيمَهُ، وَالنَّاقِصُ لَا (2) لَا يُمْكِنُ فِيهَا جَبْرُهُ" (الآية 15). وتُشير عبارة "المعوج لا يمكن تقويمه" إلى أن الحكمة أو المعرفة —بعيداً عن الله النهائية حل أي مشكلات جوهرية. علاوة على ذلك، فإن عبارة "ما هو ناقص لا يمكن عده" تشير إلى أنه "لا توجد طريقة لجعل الناقص كاملاً". وباختصار، فهي تعني أن الحكمة البشرية لا تقدم سبيلاً لخلاص البشرية الساقطة (بارك يون-سون). وهكذا كانت النتيجة الثانية التي توصل إليها سليمان هي أننا لا نستطيع خلاص أنفسنا من خلال الحكمة البشرية. (3) ثالثاً، كانت النتيجة التي توصل إليها الملك سليمان -أثناء مراقبته وفحصه العميق لجميع الأعمال التي تُصنع تحت الشمس- هي، باختصار، أن "الكل باطل وقبض الريح" (الآية 14). فكيف يمكن للإنسان أن يمسك الريح؟ المغزى هو أن الأمر عقيم تماماً مثل ذلك فبعيداً عن الله، تفقر كل الأعمال والجهود المبذولة في هذا العالم إلى المعنى. انظر إلى الآية 17 من نص اليوم: "وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِأَعْرِفَ الْحِكْمَةَ وَأَعْرِفَ الْحَقَاقَةَ وَالْجَهْلَ، فَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا أَيْضًا قَبْضُ الرِّيحِ". وفي النهاية، وبعد استكشاف كل شيء تحت الشمس معتمداً على "حكيمته العظيمة" (الآية 16)، أدرك الملك سليمان أن هذه المساعي كانت أمراً شاقاً ومؤلماً (وهو أمر أعطاه الله لبني البشر ليتعبوا فيه)، وأن الحكمة البشرية لا تقدم سبيلاً لخلاص البشرية الهالكة، وأن كل ذلك لم يكن سوى "باطل وقبض الريح". باختصار، يخلص اعتراف الملك سليمان إلى أن الحكمة "تحت الشمس" -أي حكمة هذا العالم- هي عقيمة تماماً.

لماذا تُعد حكمة هذا العالم عقيمة؟ لقد وجدت السبب في رسالة كورنثوس الأولى 1: 21: "لَأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ بِالْحِكْمَةِ، سَرَّ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَارَةِ". باختصار، إن حكمة هذا العالم عقيمة لأنها لا تستطيع أن تقود إلى معرفة الله. وهي عقيمة لأن المرء لا يستطيع خلاص نفسه من خلال هذه الحكمة. فبالنسبة لليونانيين -الذين سعوا وراء ذلك النوع من الحكمة العقيمة التي ذكرها الرسول بولس في رسالة كورنثوس الأولى 1: 22-23- كان يسوع المسيح المصلوب، كما نادى به بولس ومعاونوه، يُعتبر "جهالة" (الآية 23). وبعبارة أخرى، من منظور الحكمة العالمية، بدا إنجيل يَن، فَأَلْمَسِيحُ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمُهُ ِيسوع المسيح الذي كرر به بولس ورفاقه أمراً يَنم عن الحمافة. أما "لِلدُّعَوِيِّينَ يَهُودٍ وَيُونَانِي

(الآية 24). ويُبين الكتاب المقدس بوضوح أن يسوع المسيح هو حكمة الله (الآية 24)، إذ يصير يسوع المسيح حكمةً لنا (الآية 30).

يسوع المسيح هو حكمتنا الحقيقية. يخاطبنا الله نحن المؤمنين بيسوع المسيح قائلاً: «اختار الله ما يبدو جهلاً في نظر العالم ليخزي الحكماء...» (كورنثوس الأولى ١ : ٢٧). لماذا يختارنا الله - نحن الذين نبدو جهلاء حقاً من منظور العالم - لنخزي أولئك الذين يمتلكون حكمة العالم الزائفة؟ ما السبب؟ انظروا إلى كورنثوس الأولى ١ : ٢٩: «حتى لا يفخر أحد أمام الله». بدلاً من ذلك، يقودنا الله إلى الإيمان بيسوع المسيح - الذي هو حكمتنا - حتى «يفخر من يفخر بالرب» (الآية ٣١). لذلك، لا يفخر الحكيم حقاً إلا بيسوع المسيح. أرجو أن نتقبل، من خلال نص اليوم، بتواضع النتيجة التي توصل إليها الملك سليمان - أحكم رجل في العالم - الذي فحص الحكمة الأرضية بعقله العظيم ليجدها عديمة الجدوى تماماً. لذا، يجب ألا نسعى بعد الآن وراء حكمة العالم الزائفة، بل يجب أن نسعى وراء حكمتنا الحقيقية فقط. يجب أن ننال الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح، فهو حكمتنا الحقيقية. علاوة على ذلك، بعد أن نلنا الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح - حكمة الله - يجب أن ننمو في معرفته. فكلما ازدادنا معرفة بيسوع، ازدادت حكمتنا كقديسين. ومع ازدياد حكمتنا، يجب أن نطيع وصايا الله ونخشاه أكثر فأكثر. وبطاعتنا لوصاياه يجب أن نعيش حياة تجسد كلمته، فنكشف بذلك حكمة الله - يسوع المسيح - لهذا العالم الزائل. الحكيم حقاً شاهد صادق، والشاهد الصادق يشهد ليسوع المسيح. وبإعلان إنجيل يسوع المسيح، يقود هذا الشاهد الكثيرين إليه. أدعو الله أن نصبح أنا وأنت من هؤلاء الحكماء حقاً.

الحكماء يضيئون كضياء السماء، والذين يردون كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الأبد" (دانيال ١٢ : ٣)

اللذة الباطلة

[سفر الجامعة 2: 1-11]

؟ وفقاً لإحدى الموسوعات الإلكترونية، يُعرّف هذا المذهب على النحو التالي: "نظرية (Hedonism) "ما هي "المذهب اللذيّ أخلاقية ترى أن اللذة هي غاية الحياة وأسمى درجات الخير، وأن السعي وراء اللذة وتجنب الألم يشكلان المبدأ الأخلاقي" (الإنترنت) "في جوهرها، تركز هذه الفلسفة على الاعتقاد بأن اللذة خيرٌ جوهري وأن الألم شرٌّ. وهي تُعد شكلاً من أشكال "مذهب السعادة أي الأخلاق القائمة على السعادة- الذي يؤكد أن كل ما يعزز السعادة يُعد خيراً (الإنترنت). وتتلخص الحجة- (Eudaimonism) في أن هدف الحياة الذي تسعى إليه هذه الفلسفة هو السعادة، وأن السعادة تتحقق من خلال السعي وراء اللذة. شخصياً، حين أسمع مصطلح "المذهب اللذيّ"، يتبادر إلى ذهني فوراً المدرسة اليونانية القديمة المعروفة بـ "المدرسة الأبيقورية". نشأت الأبيقورية حوالي عام 300 قبل الميلاد كواحدة من الفلسفات الممثلة للعصر الهيلينستي (إلى جانب الرواقية)، وقد أسسها الفيلسوف أبيقور. كانت هذه المدرسة ترى أن السعادة يمكن بلوغها من خلال حالة من اللذة الخالية من الألم (الإنترنت). وقد شدد أتباعها على تفضيل اللذة العقلية الدائمة على اللذة الحسية أو الجسدية العابرة. ويعود سبب عدم إعطائهم الأولوية للمتعة الجسدية إلى أن هذه المتعة -لكونها لحظية وحسية وجسدية- ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالرغبة، والرغبة تولّد الألم. ونظراً لأن الرغبات الجسدية لا حدود لها ومع ذلك يستحيل إشباعها بالكامل -مما يؤدي حتماً إلى المعاناة- فقد أولت هذه المدرسة، التي سعت إلى حياة خالية من الألم، اهتماماً أكبر باللذة العقلية مقارنة باللذة الجسدية. بالطبع، لا تخلو المتعة العقلية من الرغبة (مثل الرغبة في المعرفة)؛ غير أن الفكرة تكمن في أن الإنسان يحقق السعادة من خلال تقليل هذه الرغبات إلى أدنى حد ممكن، وبالتالي تقليل المعاناة. وقد أطلق الأبيقوريون على حالة وهي حالة من السكينة الذهنية الخالية من الاضطراب أو الكدر. واعتبرت هذه، (Ataraxia) "تقليل الرغبة هذه اسم "أتاراكسيا المدرسة الفكرية تلك السكينة الذهنية هي السعادة الحقيقية التي يمكن بلوغها عن طريق العقل. وإلى جانب الأبيقوريين، كانت هناك وقد صيغ المذهب اللذيّ. (Cyrenaic school) "مدرسة أخرى تمثل المذهب اللذيّ اليوناني القديم، وهي "المدرسة القورينية لدى القورينيين لأول مرة على يد أريستيبوس، مؤسس المدرسة وصديق سقراط؛ إذ شدد أريستيبوس -متأثراً بسقراط- على مبادئ السعادة التي ينبغي للشخص الفاضل أن يسعى لتحقيقها. لقد جادل بأن الفضيلة هي القدرة على نيل المتعة، وأن هذه المتعة تنبع من على الملذات الحسية (Cyrenaics) إشباع اللذة؛ بل إن اللذة هي الخير الأوحد والأسمى. وقد ركّز مفكرو المدرسة القورينية —والجسدية الفورية، معتبرين أن المستقبل يقع خارج نطاق سيطرتنا. ووفقاً لأريستيبوس، فإن الشخص الحكيم —أي الفيلسوف

يملك القدرة على الاستمتاع باللحظة الراهنة؛ وبذلك، فإنه لا يصبح عبداً للمتعة، بل سيداً لها. وعليه، فإن المثل الأعلى للمذهب اللذي (الهيدوني) يُوصف بأنه حالة يسعى فيها المرء وراء الرغبات الجسدية، بينما يسيطر في الوقت ذاته على اللذة من خلال الحكمة.

في نص اليوم، المأخوذ من سفر الجامعة (الإصحاح 2: الآية 1)، نرى الملك سليمان — الجامعة أو "الواعظ" — يحاول إسعاد نفسه والاستمتاع بالحياة "على سبيل التجربة". وبعبارة أخرى، لقد سعى وراء اللذة كنوع من الاختبار (الآيتان 1-2). تأمل النصف الأول من الآية 1 في نص اليوم: "قُلْتُ فِي قَلْبِي: هَلُمَّ الآنَ أَجْزُبُكَ بِالْفَرْحِ فَتَرْيَنَ خَيْرًا". وتعني عبارة "أَجْزُبُكَ بِالْفَرْحِ" أن الملك سليمان كان ينوي تجربة المرح أو اللذة الحسية؛ أي أنه أراد اكتشاف ما يمكن أن يتيح له اختبار مثل هذه اللذة. ويستعرض النص ثلاثة أمور محددة جربها في سعيه هذا نحو المتعة. وبينما نتأمل في هذه الأمور الثلاثة اليوم، أصلي أن يمنحنا الله النعمة لنعيش بحكمة في هذا العالم الزائل.

أولاً، كان الخمر هو الشيء الذي جربه الملك سليمان في سعيه وراء المتعة.

وَأَنْ أَخَذَ بِالْحَمَاقَةِ، حَتَّى أَرَى — انظر إلى سفر الجامعة 2: 3: "فَكُرْتُ فِي قَلْبِي أَنْ أُعَلِّلَ جَسَدِي بِالْخَمْرِ — وَقَلْبِي يُلْهَجُ بِالْحِكْمَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لِّبْنِي الْبَشَرِ أَنْ يَفْعَلُوهُ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ مُدَّةَ أَيَّامٍ حَيَاتِهِمْ". لقد كان الخمر أول ما لجأ إليه سليمان في محاولته للعثور على المتعة، وسعى لإسعاد جسده به. ومع ذلك، فحتى أثناء انغماسه في شرب الخمر لإرضاء جسده، حافظ على توجيه الحكمة في قلبه وعلى غرار فلسفة المدرسة القورينية اليونانية القديمة، استمتع سليمان بالخمر دون أن يصبح عبداً له؛ بل ظل هو السيد المتحكم في الشراب من خلال الحكمة. بعبارة أخرى، حاول أن يجد المتعة في الخمر مع الحفاظ على السيطرة عليها بفضل حكمته — تماماً كما نادى بذلك أتباع المدرسة القورينية. ولكن، ما هي النتيجة التي خلص إليها؟ لقد رأى أن سعيًا كهذا هو "حماقة" (الآية 3) باختصار، خلص الملك سليمان إلى أن طلب المتعة عن طريق السكر هو تصرف أحمق.

ما هي طبيعة المتعة التي يوفرها الكحول بالضبط؟ ولماذا يشرب الناس حتى يصلوا إلى حد السكر؟ لقد صادفتُ مقالاً على الإنترنت، يشرح بأسلوب فكاهي أسباب شرب الناس للكحول طوال أيام الأسبوع: فالاثنتين للشرب كعادة روتينية، والثلاثاء للشرب بكثافة والأربعاء للشرب كلما واثت المزاج الرغبة، والخميس للشرب حتى يجف الحلق، والجمعة للشرب ثم معاودة الشرب فوراً، والسبت للشرب حتى التقيؤ، والأحد للشرب حتى العجز عن النهوض. كما أشار المقال إلى تدرج مراحل الشرب: فالكأس الواحدة تُشرب من أجل الصحة، والشعور بالنشوة الخفيفة يبعث على المتعة، والسكر يقود إلى التحرر من القيود السلوكية، أما السكر الشديد فيؤدي إلى تصرفات جامحة وغير عقلانية. أحد أسباب إقبال الناس على الشرب هو أنه يمنحهم شعوراً جيداً. ولكن لماذا يحسن الكحول المزاج؟ يُقال إن تناول كمية قليلة من الكحول يحفز في البداية الجهازين العصبيين المركزي والمحيطي، ويعزز إفراز حمض المعدة، ويحفز إطلاق الناقل العصبي "الدوبامين"، وكل ذلك يولد شعوراً بالراحة والمتعة. ومع ذلك، فإن الإفراط في شرب الكحول أو تعاطيه بكثافة وعلى المدى الطويل يؤدي -للأسف- إلى تسريع تلف خلايا الدماغ وتثبيط وظائف المخ. فحتى في الظروف

الطبيعية، يموت نحو 100 ألف خلية دماغية تلقائياً كل يوم، لكن الشرب الكثيف للكحول يتسبب في موت أعداد أكبر بكثير. وتراجع القدرات الأكاديمية والذاكرة والقدرات الإدراكية، ويُقال إن حجم هذا التدهور يتناسب طردياً مع تركيز الكحول في الجسم. كما يمكن "أن يؤدي الإفراط في الشرب إلى عدم القدرة على تذكر ما قيل أو فعل أثناء حالة السكر، وهي ظاهرة تُعرف باسم "انقطاع الذاكرة (أو "البلاك أوت"). ويصف شخص آخر المناسبات التي يشرب فيها قائلاً: "أشرب عندما يحدث شيء جيد. وأشرب عندما يحدث شيء سيء. أشرب للاحتفال. وأشرب لتعزيز الروابط مع الآخرين. أشرب لأبوح بشيء ما. وأشرب لأنسى شخصاً أفتقده. أشرب عندما أكون منزجاً. وأشرب عندما أحنّ إلى شخص ما. أشرب عندما أشعر بالإحباط أو عندما تهطل الأمطار. أشرب عندما أكون منهكاً. وأشرب لتعزيز الألفة والوحدة. أشرب بدافع الفضول. وأشرب عندما أشعر بالوحدة" (من الإنترنت).

وبالنظر إلى الماضي، يبدو أن السبب الرئيسي لبديني في الشرب خلال مرحلة المراهقة كان الفضول. تماشياً مع مقولة "مسايرة الجموع"، كنت أشرب الكحول مع أصدقائي؛ بل إنني شربت لدرجة السكر والتقيؤ. ومع ذلك، ففي سنتي الجامعية الأولى، تلقيت دعوة روحية وتبّت خلال خلوة جامعية، وفقدت بعدها كل رغبة في شرب الكحول. وحتى بعد ذلك، كنت أجد نفسي غالباً في تجمعات يُقدّم فيها الكحول. وكلما تأملت في الفوائد المزعومة للشرب، كانت تصدمني حقيقة قائمة: اثنان من الأصدقاء الذين اعتدت مصاحبتهما قُتلا بالرصاص في حوادث مرتبطة بالكحول. ولا تزال ذكريات جنازتهما حاضرة في ذهني. لا توجد أي فائدة من شرب الكحول؛ فهو عديم الجدوى تماماً. ففي رسالة أفسس 5: 18، يقول الرسول بولس: "لا تسكروا بالخمير التي فيها الخلاعة، بل اامتثلوا بالروح". ويروي سفر التكوين (الإصحاح 9) قصة نوح -الذي باركه الله بعد الطوفان (الآية 1)- وكيف اشتغل بالزراعة، وغرس كرماً (الآية 20). وفي أحد الأيام، شرب الخمر وسكر، ثم استلقى عارياً داخل خيمته (الآية 21). لقد كان نوح "رجلاً باراً كاملاً في جيله"، وكان "يسير مع الله بأمانة" (6: 9)؛ ومع ذلك، انتهى به الأمر سكران وعارياً بعد شرب الخمر. إن التأمل في صورة نوح هذه يُدْكرنا بكلمات متى 24: 37-39: "كَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ، كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الْأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلَّكَ، وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَآخَذَ الْجَمِيعَ، كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ". وأعتقد أن عصرنا الحالي يشبه أيام نوح؛ فهو زمن يأكل فيه الناس ويشربون، غافلين عن كارثة الدمار الوشيكة. يبدو الناس وكأنهم سكارى بأشكال شتى من الملذات: الثروة والمجد، والإشباع الجنسي، والإدمان على أمور متنوعة. ومن بين هذه الأمور، يبدو إدمان الكحول شديد الخطورة بشكل خاص. وقد لخص الملك سليمان طبيعة السكر في عبارة واحدة: "السكر هو احتضانٌ للحماقة". ثانياً، كان أحد الأمور التي شرع فيها الملك سليمان كتجربة لاختبار المتعة هو "مشروع" ضخم.

انظر إلى الجزء الأول من الآية 4 في الإصحاح الثاني من سفر الجامعة: "عَظُمْتُ عَمَلِي...". لقد تمثلت الخطوة الثانية التي اتخذها -الملك سليمان في إطار تجربته- سعيًا لاكتشاف "مَا هُوَ صَالِحٌ لِّبَنِي الْبَشَرِ أَنْ يَفْعَلُوهُ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ طَوَالَ أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ" (الآية 3ب) في إدارة مشاريع عظيمة (الآية 4). لم تكن هذه المشاريع العظيمة التي أقامها مكرسة لله، بل لنفسه: فقد بنى بيوتاً، وغرس كروم عنب (الآية 4ب)، وأنشأ حدائق وبساتين مليئة بأشجار الفاكهة المتنوعة (الآية 5)، وحفر بركاً لري الغابات التي تنمو فيها الأشجار

(الآية 6). ولإدارة هذه البيوت والكروم والحدائق والبساتين، اشترى الملك سليمان عبيداً وإماءً، كما كان لديه خدم وُلِدوا في بيته (الآية 7). لماذا شرع في مثل هذه المشاريع الضخمة؟ وما هو السبب؟ ورغم أنه سعى بالتأكيد لاختبار المتعة، إلا أن الدافع الكامن وراء ذلك كان في النهاية "الثروة". انظر إلى الجزء الأخير من الآية 7 والجزء الأول من الآية 8: "...وَكَاثَتْ لِي مَوَاشٍ وَبَقَرٌ أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِي أُورُشَلِيمَ. وَجَمَعْتُ لِنَفْسِي أَيْضاً فِضَّةً وَذَهَباً وَخُصُوصِيَّاتِ الْمُلُوكِ وَالْوَلَايَاتِ...". لقد سعى الملك سليمان وراء هذا المجد الدنيوي من أجل نفسه؛ وقد حدث انحداره الأخلاقي في وقت ساد فيه السلام (سفر أخبار الأيام الأول 22: 9). (بارك يون-سون).

ومثل الملك سليمان، قد نسعى نحن أيضاً لحياة الرفاهية في أوقات السلام. ومع ذلك، فإن نمط الحياة المترف يؤدي في النهاية إلى فساد شخصيتنا (بارك يون-سون). فما هي الرفاهية؟ إنها تشير إلى إنفاق المال أو الموارد بما يتجاوز الضرورة، أو عيش نمط حياة بعنوان "لماذا يسيطر *OhmyNews* فوق الإمكانيات المادية للفرد (الإنترنت). لقد صادفتُ مقالاً على موقع الأخبار الإلكتروني *Luxury Korea: A Nation of Luxury* هوس العلامات التجارية الفاخرة على الناس؟" وقرأته (الإنترنت). وفي كتابه (كوريا الفاخرة: أمة الرفاهية)، يصنّف "كيم راندو" أنواع شراء السلع الفاخرة إلى أربع مجموعات رئيسية: "الرفاهية الاستعراضية"، و"الرفاهية المدفوعة بالحسد"، و"الرفاهية المدفوعة بالخيال"، و"الرفاهية القائمة على المحاكاة والامتثال للآخرين".

يشير مصطلح "الرفاهية الاستعراضية" إلى المشتريات التي يقوم بها الأثرياء المدركون لمكانتهم الطبقية؛ فهم يخشون أن يبدوا (1) عاديين أو مثل عامة الناس. ونظراً لامتلاكهم الثروة في مجتمع رأسمالي، فإنهم ينظرون إلى أنفسهم كأشخاص متميزين ويحملون وعياً طبقياً خاصاً؛ إذ تمثل الرفاهية بالنسبة لهم وسيلة لإظهار تلك المكانة.

ثانياً، هناك "الرفاهية المدفوعة بالحسد"، وهي نوع من البذخ يمارسه "الأثرياء الزائفون" الذين يسعون لتقليد الأثرياء (2) الحقيقيين. وبينما يشعر هؤلاء بالحسد تجاه الأثرياء، فإنهم يكافحون بشدة لتجنب نظرة الدونية من الآخرين؛ ونتيجة لذلك، يرفضون التخلي عن الإنفاق الباذخ حتى وإن كانوا يفتقرون إلى الموارد المالية التي تتيح لهم ذلك.

النوع الثالث هو "الرفاهية المدفوعة بالأوهام"، ويمارسه أفراد لديهم ميول نرجسية قوية؛ فهم يخشون الظهور بمظهر رث (3) ويحلمون بتغيير أنفسهم. يبذل هؤلاء جهوداً مضنية لامتلاك سلع باهظة الثمن وشهيرة، معتقدين أن ذلك سيرفع من شأنهم أو يعزز هويتهم بطريقة ما. ورغم أن هذه الرغبات مفهومة نظراً لأن الجميع يحمل قدراً من حب الذات، إلا أن هذا النمط من استهلاك الرفاهية يثير قلقاً بالغاً؛ إذ قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، مثل الإدمان.

وأخيراً، هناك "الرفاهية القائمة على المحاكاة" (أو الامتثال للآخرين). وينطوي هذا النوع على شراء سلع لمجاراة معايير (4) الأصدقاء أو الأقران تجنباً للاستبعاد الاجتماعي. ومن الأمثلة الشائعة على ذلك، ذلك الدافع القوي لارتداء ملابس باهظة الثمن تحمل

علامات تجارية شهيرة لمجرد أن الأصدقاء يفعلون ذلك؛ وهي ظاهرة تنتشر بشكل خاص بين المراهقين. وغالباً ما يبرر الناس، "بقولهم لأنفسهم: "الجميع يشترونها، لذا يجب عليّ فعل ذلك أيضاً—حتى وإن كان ذلك يفوق طاقتهم المالية—شراء السلع الفاخرة وبذلك يتخلصون من أي شعور بالذنب؛ وتكمن المشكلة في أن هذا السلوك قد يستمر معهم حتى مرحلة البلوغ.

يجب ألا نعيش بما يفوق إمكانياتنا المادية. ولتجنب ذلك، من الضروري أن يدرك المرء حدوده المالية. أود أن أشارككم قصة ساخرة تُروى غالباً في أوساط المهاجرين الكوريين في الولايات المتحدة: "عندما يصل المهاجرون إلى أمريكا، يبادر من يستقرون في لوس أنجلوس بشراء سيارة فاخرة أولاً، حتى وإن كانوا يقيمون في غرفة مستأجرة؛ أما من يتجهون إلى نيويورك فيبدأون بتأسيس عمل تجاري؛ في حين يضع القادمون إلى شيكاغو شراء منزل على رأس أولوياتهم". تعقد هذه المقولة مقارنة بين المهاجرين في نيويورك وبين المهاجرين في لوس —وشيكاجو— الذين يركزون على الجوهر، ويعيشون في حدود إمكانياتهم، ويبنون أساساً لمستقبلهم أنجلوس، الذين يتسمون بعقلية تهتم بالمظاهر وتُعطي من شأن "حفظ ماء الوجه" على حساب الجوهر الفعلي (وإن لم يكن هذا الالتزام (守分)؟* تعني *سوبون(守分知足) *بالضرورة هو الواقع الفعلي). هل سمعت يوماً بعبارة *سوبون-جيجوك الشعور (安分) *إدراك هذه المكانة، بينما تعني *أنبون (知分) *بالمكانة أو الحال التي يجد المرء نفسه فيها، وتعني *جيبون بالرضا والقناعة بها. لكل إنسان مكانته الخاصة في الحياة؛ لذا يجب علينا فهم مكانتنا فهماً صحيحاً والتصرف وفقاً لها، وتجنب عيش إن أي شيء يُمارس بإفراط يكون ضاراً؛ (過分) *حياة تفوق حدودها. ويُطلق على العيش بما يفوق الإمكانيات مصطلح *غوابون يحمل معنيين: الأول هو "الإفراط" أو "تجاوز الحد"، والثاني هو "الخطأ" أو "الزلل". فالإفراط (過) *ويُقال إن الرمز الصيني *غوا يؤدي حتماً إلى الوقوع في الأخطاء، ويُعد *غوا* سبباً في التعاسة وعاملاً مسبباً للمرض؛ إذ إن الإفراط في الأكل والشرب والعمل والممارسات الجنسية والإسراف، كلها أمور تضر بصحتنا وتقوّض سعادتنا. إن الالتزام بالمكانة يعني تجنب الإفراط في كل شيء؛ وعلينا أن نتعلم القناعة بحياتنا وأن نعرف متى نكتفي بما نحن عليه، كما يجب علينا الحذر من الرغبة في التملك. وينطبق هذا بشكل خاص على من يديرون مشاريع ضخمة، مثل الملك سليمان. ففي نهاية المطاف، لا يمكن إشباع الرغبة في التملك تماماً. انظر إلى الملك سليمان: رغم أنه "كانت له مقتنيات من البقر والغنم أكثر من كل من كانوا في أورشليم قبله" (الآية 7)، إلا أنه لم يكتفِ بذلك بل مضى يجمع لنفسه "الفضة والذهب وكنوز الملوك والأقاليم" (الآية 8). إن الرغبة في امتلاك كل هذه الأشياء هي أمر... لا يمكن أن يحقق الرضا؛ فطبيعة الرغبة في التملك تقتضي أنه كلما امتلك المرء أكثر، زادت تطلعاته ورغبته في المزيد. وفي النهاية، تظل هذه الرغبة في التملك أمراً عبثياً لا طائل منه. وهكذا، أقرّ الملك سليمان بأن هذا المسعى الثاني —أي خوض المشاريع التجارية لم يكن سوى "انغماس في الحماسة" (الآية 3) —الكبرى

"وثالثاً، وفي إطار سعيه العملي وراء المتعة، حاول الملك سليمان إشباع رغبات الجسد من خلال اتخاذ "زوجاتٍ وسراريّ كثيرات

لننظر إلى الجزء الأخير من الآية 8 في الإصحاح الثاني من سفر الجامعة (في نص اليوم): "...واقْتَنَيْتُ مغنين ومغنيات، ومباهج بني البشر: زوجاتٍ وسراريَّ كثيراتٍ". ويتناول سفر التثنية (17: 17) هذا الأمر فيما يخص ملوك إسرائيل، قائلاً: "لا يُكْثِرُ لنفسه زوجاتٍ لئلا يزيع قلبه، ولا يُكْثِرُ لنفسه فضةً وذهباً". غير أنَّ الملك سليمان خالف هذه الوصية. فقد كان الله قد أوصى شعب إسرائيل بوضوح بعدم المصاهرة مع الأجانب، مشدداً على عدم الاختلاط بين الطرفين (1 ملوك 11: 3-1). وكان سبب هذا التحريم —هو أنَّ هؤلاء الأجانب سيُحوّلون قلوب بني إسرائيل بعيداً عن الله لاتباع آلهة غريبة (الآية 2). ومع ذلك، فإنَّ سليمان —قائد الأمة أحبَّ نساءً أجنبياتٍ كثيراتٍ إلى جانب ابنة فرعون" (الآية 1). لقد كان لديه سبعمئة زوجةٍ من أصلٍ ملكي وثلاثمئة سريةٍ (الآية) ؛ وقد أَمَلَنَ قلبه (الآية 3)، ومع تقدمه في العمر، فُدَّنه لاتباع آلهة أخرى (الآية 4). وفي النهاية، قاد سعيَّ سليمان وراء إشباع (3) رغبات الجسد إلى ارتكاب خطية الزنا الروحي من خلال عبادة الأوثان. وبعبارة أخرى، فإنَّ فعل الزنا الجسدي —المدفوع بالرغبة يُثمّر حتماً خطية الزنا الروحي —في إرضاء الشهوة الجسدية

في مقال إخباري نُشر على موقع "ياهو" يوم الجمعة الماضي، وردت عبارة "ممارسة الجنس وفقاً لمشيئة الله"... لقد صادفتُ مقالاً بعنوان "قس يعتدي جنسياً على أتباع من النساء" وقرأته: "طُلب إصدار مذكرة توقيف بحق القس (أ) - 46 عاماً - من الجماعة الدينية بتهمة الاغتصاب القسري (أو ما يعادله قانوناً)، وذلك إثر اعتدائه جنسياً على نساء من أتباع الجماعة على مدى أكثر من عشر 'T' في منطقة 'دونغجك-غو' في سيول، يُزعم أن القس (أ) اعتدى جنسياً على ست نساء من 'T' سنوات. فبعد تأسيس الجماعة الدينية أتباعه -تتراوح أعمارهن في العشرينيات- عشرات المرات خلال العقد الماضي، مدعياً أن 'هذا الفعل يتم وفقاً لمشيئة الله، وأن إقامة علاقة جنسية معي تغسل جميع الخطايا'. ورغم أنني شعرت بالارتياح حين رأيت تعليقات تشير إلى أن الجماعة المعنية هي "كنيسة إلا أنني أؤمن بأن مثل هذه الأفعال الإجرامية المنحرفة جنسياً تمثل واقعا لا يمكن للمسيحية، (Unification Church) "التوحيد أيضاً أن تتأى بنفسه عنه. فعند الحديث عن رغبات الجسد، تُعد الرغبة الجنسية مثلاً بارزاً؛ إذ تُصنّف كواحدة من الدوافع الإنسانية الأساسية الثلاثة، إلى جانب الحاجة إلى الطعام والنوم. وحين يستعبد الرغبة الجنسي -وهو نزعة جسدية- الرجال والنساء، قد يرتكبون تجاوزات جسيمة مثل الاغتصاب، الذي يمثل نموذجاً صارخاً لتحول الرغبة الجنسية إلى فعل اندفاعي مدمر. "تبادل الزوجات في أوساط الطبقة الراقية دون أدنى شعور بالذنب؛ ترتيبات المساكنة المتغيرة باستمرار والتي تتجاهل مفهوم الزواج من أساسه؛ العلاقات الجنسية غير المقيدة قبل الزواج والمبررة باسم الحب؛ الاستخفاف بالطلاق وإنهاء الزواج لمجرد تلاشي مشاعر الحب؛ الجنس عبر الهاتف أو الفيديو بين أشخاص من مختلف الأعمار؛ النقل الفوري للصور الفاضحة عبر الهواتف المزودة بكاميرات أو كاميرات الويب؛ دعاية المراهقين التي تسهلها غرف الدردشة عبر الإنترنت؛ الانتشار المتسارع للتجارب الجنسية بين الطلاب -من المرحلتين المتوسطة والثانوية والجامعة- وصولاً حتى إلى أطفال المدارس الابتدائية؛ والإدمان الذي لا يقتصر على الرجال بل يطال النساء أيضاً..." وكل ذلك يتأجج بفعل الإنترنت والمواد الإباحية الرقمية؛ وبالنظر إلى ثقافتنا الجنسية -التي تزداد إثارةً وصراحةً وانحرافاً يوماً بعد يوم- يبدو وكأن أحداً لم يعد قادراً على كبح رغباته الجنسية؛ بل إن الإطلاق العنان للنزوات الجنسية دون قيود -بغض النظر عن الزمان أو المكان أو الشريك- بات يُنظر إليه غالباً على أنه ظاهرة طبيعية تماماً. إنها حقاً قضية اجتماعية بالغة الخطورة. في مجتمع اليوم، تبدو فكرة أن الخيانة الزوجية مجرد أمر شائع ومنتشر فكرةً سائدة؛ فنحن نعيش في

عصر يزخر بفرص الإشباع الجنسي. وفي ظل هذه الظروف، يتحتم علينا أن ندرك - من خلال قصة سعي الملك سليمان وراء الملذات ومحاولاته لإشباع رغباته الجسدية - مدى خطورة وحماسة مثل هذه المساعي.

ختاماً، ما هي الرسالة النهائية التي ينقلها إلينا الملك سليمان بعد أن خاض كل التجارب: الانغماس في شرب الخمر، وتكديس الثروات والممتلكات عبر مشاريع ضخمة، وإشباع الرغبات الجسدية مع ألف امرأة، وكل ذلك كان يتم تحت إشراف حكمته؟ لننظر إلى النصف الثاني من الآية الأولى والآية الثانية من الإصحاح الثاني في سفر الجامعة: "قُلْتُ فِي قَلْبِي: هَلُمَّ أَجْرَبُكَ بِالْفَرَحِ، فَتَرَيْنَ خَيْراً وَإِذَا بِهِذَا أَيْضاً بَاطِلٌ. قُلْتُ عَنِ الضَّحْكِ: مَجْثُونٌ! وَعَنِ الْفَرَحِ: مَاذَا يَفْعَلُ؟" باختصار، بعد تجربة مذهب المتعة (الهيدونية) لإسعاد نفسه والاستمتاع بالملذات، كانت خلاصة تجربة سليمان ببساطة هي: "هذا أيضاً باطل". لماذا يُعد السعي وراء المتعة أمراً عبثياً؟ وكيف أدرك الملك سليمان ذلك؟ لقد حدث ذلك لأنه طرح السؤال التالي: "قلت عن الضحك: ماذا يفعل؟" وبعبارة أخرى، تساءل قائلاً: "ما الذي تحققه المتعة؟" ويقدم الملك سليمان الإجابة: "ثُمَّ انْقَعْتُ أَنَا إِلَى كُلِّ أَعْمَالِي الَّتِي عَمِلْتُهَا يَدَايَ، وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعَبْتُهُ فِي عَمَلِهِ، فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ، وَلَا مَنَفْعَةَ تَحْتَ الشَّمْسِ" (الآية 11). وفي النهاية، ورغم أنه انغمس في كل ما اشتتهته عيناه وما سرَّ به قلبه (الآية 10)، إلا أن النتيجة التي خلص إليها من تلك التجربة كانت أن كل ذلك "باطل وقبض الريح" و"بلا منفعة تحت الشمس". باختصار، المتعة أمر عبثي ولا طائل منه.

- إذن، كيف ينبغي لي ولك أن نعيش؟ كيف ينبغي أن تكون حياتنا ونحن نستمتع إلى رسالة الملك سليمان - "الجامعة" (أو الواعظ) الذي خلص إلى أن هذا العالم هو "باطل الأباطيل"، وأن الملذات التي سعى وراءها كانت، في واقع التجربة، أموراً عبثية لا طائل. السؤال الأول، (Westminster Shorter Catechism) "منها؟ لقد وجدتُ الإجابة في "تعليم وستمنستر المسيحي المختصر علينا أن نعيش لمجد الله وأن نجد مسرَّتنا فيه. إن "التمتّع بالله" هنا يعني جعله مصدر فرحنا الأسمى (مزمو 43: 4). والحياة التي تجعل الله فرحنا الأسمى هي حياة تتقي الله وتحفظ وصاياه بفرح (جامعة 12: 13). لذا، عندما نثبت في محبة الرب بحفظ وصاياه. يكتمل فرحنا (يوحنا 15: 9-11). هذا هو فرح الطاعة ذاته. يجب علينا أن نسعى لنيل هذا الفرح الكامن في طاعة وصايا الرب، لقد اختبر الرسول بولس هذا الفرح، فأطاع وصية الرب وأعلن بشجاعة إنجيل يسوع المسيح؛ وفي رسالته إلى القديسين في فيلبي وصفهم قائلاً: "يا إخوتي الأحباء والمشتاق إليهم، يا فرحي وإكليلي، يا أحبائي" (فيلبي 4: 1). صلاتي هي أن نجعل نحن أيضاً يسوع أعظم أفرحنا، وأن نكرّس أنفسنا - طاعةً لوصيته - لعمل إعلان إنجيل يسوع المسيح وصنع التلاميذ. وليُقَدَّ هذا الأمر إلى تزايد مستمر في أعداد تلاميذ يسوع الأحباء - الذين هم فرحنا وإكليلنا - لكي يكتمل فرح الرب فينا.

2. يا رب، أنت فرحي ورجائي وحياتي؛
ورغم أنني أدعوك وأرتل تسابيحك ليلاً ونهاراً
إلا أن قلبي لا يزال يتوق للمزيد.

5. يا يسوع، الذي أتوق إليه حقاً؛ ما أجمل وقع صوتك؛
فحياتي ورجائي الحقيقي يكمنان في الرب يسوع وحده.

(الترنيمة رقم 82).

مَنْ يُرْضِي اللَّهَ

[سفر الجامعة 2: 12-26]

عندما تسمع عبارة "مَنْ يُرْضِي اللَّهَ"، آية آية من الكتاب المقدس تخطر ببالك؟ وماذا علينا أن نفعل لنُرضي اللَّه؟ تذكرت الآية في رسالة العبرانيين 11: 6: "وَيَدُونُ إِيمَانٍ لَا يُمَكِّنُ إِرْضَاؤُهُ. لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مُوجَدٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ". وعند التأمل في كلمات "بدون إيمان لا يمكن إرضاءه"، ندرك أننا لكي نُرضيه، يجب أن نعيش بالإيمان. بعبارة أخرى، لا يمكننا إرضاء اللَّه إلا عندما نعيش بالإيمان. إذن، ماذا يعني العيش بالإيمان من منظور سفر الجامعة الذي نتأمل فيه؟ عند النظر من هذه الزاوية، فإن العيش بالإيمان يعني إدراك بطلان هذا العالم (1: 1-11)، وبطلان الحكمة الدنيوية (1: 12-18) وبطلان الملذات الدنيوية (2: 1-11). ويعني التوقف عن السعي وراء هذه الأمور الباطلة، وجعل الدهر الآتي والحكمة السماوية واللذة نفساً — لا الملذات الزائلة — مصدر فرحنا الأسمى (مزمور 43: 4)، مع العيش لمجد اللَّه والابتهاج به. إن اللَّه يرضى عن أولئك الذين يعيشون بالإيمان بهذه الطريقة. وماذا عنا نحن؟ هل نعيش بالإيمان؟ هل نعيش حالياً حياة تُرضي اللَّه؟ في نص اليوم سفر الجامعة 2: 26، يذكر الملك سليمان — "الجامعة" — أن اللَّه يمنح الحكمة والمعرفة والفرح لأولئك الذين يُرضونه. دعونا نتأمل في جانبين من جوانب حياة هؤلاء الأفراد — الذين يُرضون اللَّه ويتمتعون بالعطايا التي يمنحها — مع التركيز على سفر الجامعة 2: 12-26، ولنسعى لنيل النعمة التي يقدمها.

أولاً، ينظر الذين يُرضون اللَّه إلى حكمتهم الخاصة من منظور الموت.

انظر إلى النصف الأول من الآية 12 في الإصحاح الثاني من سفر الجامعة: "ثُمَّ التَفَتُ لِأَنْظُرَ الْحِكْمَةَ وَالْحَمَاقَةَ وَالْجَهْلَ...؛ فَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ قَدْ عَزَمَ سَابِقاً عَلَى فَهْمِ الْحِكْمَةِ، وَكَذَلِكَ الْحَمَاقَةَ وَالْجَهْلَ (1: 17). رغم أنه كرس نفسه لطلب الحكمة، إلا أنه خلص إلى أنها مجرد "سعي وراء الريح". ومع ذلك، ففي نص اليوم، يعود ليوجه أفكاره مرة أخرى نحو موضوع الحكمة (2: 12-17) لقد صرح بوضوح قائلاً: "لأن في كثرة الحكمة كثرة الغم، ومن يزدد علماً يزدد حزناً" (1: 18)؛ وإن عودته لمناقشة هذا الموضوع: تعطينا انطباعاً بأنه يسير مجدداً في دروب الألم والقلق. وفي خضم هذا الألم والقلق، كان السؤال الذي طرحه الملك سليمان هو: ماذا عسى أن يفعل الخليفة الذي يأتي بعدي أكثر مما أنجزته أنا بالفعل؟" (الآية 12ب). إنه يتأمل بعمق فيما إذا كان بإمكان أبنائه

ونسله -الذين سيخلفونه في حكم إسرائيل- تحقيق أي شيء أعظم مما بناه هو باتباعه لحكمته. قبل أن نغادر هذا العالم، علينا أن نُعدَّ قلوبنا وأن نصلي. ومن آمالنا أن نورث إرثاً من الإيمان لأبنائنا ونسلنا. وعلاوة على ذلك، وكما فعل الملك سليمان في نص اليوم، ينبغي لنا أن نترك لمن يأتون بعدنا حكمة الحياة التي اكتسبناها خلال سنوات عمرنا السبعين أو الثمانين على الأرض. بعبارة أخرى وبينما تقترب من نهاية حياتنا، ينبغي أن نترك حكمتنا لتكون مرشداً لأبنائنا ونسلنا في مسارات حياتهم الخاصة. ولكن، يطرح هنا سؤال: حتى لو تركنا لهم هذه الحكمة، هل يمكننا أن نكون واثقين من أنهم سيقدرونها ويعملون بها؟ لنفترض، على سبيل المثال، أننا مثل الملك سليمان- قد جربنا كل شيء: الانغماس في شرب الخمر، وجمع الثروات الطائلة من خلال الأعمال التجارية، وإشباع الرغبات الجسدية مع نساء كثيرات، ثم أدركنا قبل موتنا أن كل ذلك كان عبثاً وبلا معنى. ولنفترض أننا قلنا لأبنائنا ونسلنا: "لا تعيشوا كما عشتُ أنا". كيف يمكننا أن نعرف ما إذا كانوا سيصغون حقاً لنصيحتنا ويتعلمون من حكمتنا، عاقلين العزم قائلين: "لن أفعل أبداً ما فعله أبي في سعيه وراء الملذات؛ بل لن أعيش مثله، بل سأجعل الله أعظم أفرحي وأختبر لذة الطاعة"؟ هل سيقدر أبنائنا ونسلنا حكمتنا حقاً، ويقبلون بتواضع الدروس التي تعلمناها من الحياة، ويعملون بموجبها؟ تراودني فكرة مقرفة: مهما اجتهدنا في تعليم أبنائنا وأحفادنا الدروس التي تعلمناها من تجارب حياتنا، فإنهم -مثلنا تماماً- قد يتجاهلون نصائح آبائهم. وربما لا يدركون خطأهم إلا بعد الانغماس في ملذات الدنيا، ليقولوا نادمين: "آه، كان يجدر بي أن أستمع إلى أبي وأطيعه في ذلك الحين". تتبع هذه الفكرة من سفر الجامعة (1: 9): "مَا كَانَ هُوَ مَا يَكُونُ، وَمَا صُنِعَ هُوَ مَا يُصْنَعُ، فَلَيْسَ تَحْتَ الشَّمْسِ جَدِيدٌ". وعند التأمل في هذه الآلية، أدرك أن أبنائنا لا بد أن يكرروا الأفعال ذاتها التي قمنا بها نحن يوماً ما. وحتى لو نقلنا إليهم الحكمة التي اكتسبناها -والتي غالباً ما جاءت نتيجة تجارب أو أخطاء ارتكبناها حين تجاهلنا نحن أيضاً نصائح آبائنا- فمن المرجح جداً ألا يستمع أبنائنا إلينا وأن يقعوا في الأخطاء نفسها التي وقعنا فيها. ولهذا السبب يقول الملك سليمان: "...مَاذَا يَصْنَعُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَأْتِي وَرَاءَ الْمَلِكِ؟ مَا قَدْ عَمِلَ قَبْلًا" (2: 12).

كما يذكر الملك سليمان: "فَرَأَيْتُ أَنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَمَاقَةِ كَمَا أَنَّ الصَّوَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الظُّلْمَةِ" (الآية 13). بأي معنى تتفوق الحكمة على الحمافة؟ انظر إلى الجزء الأول من الآية 14: "الْحَكِيمُ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ، أَمَّا الْجَاهِلُ فَيَسْتَلْكُ فِي الظُّلَامِ..." كيف يتفوق الحكيم على الجاهل؟ يتمتع الحكيم برؤية واضحة؛ فهو يتأمل في كيفية عيش ما تبقى من أيامه بحكمة، واضعاً حقيقة الموت نصب عينيه. وفي المقابل، يسلك الجاهل في الظلام ويفشل في الاستعداد للموت (ويرسبي). ومع ذلك، عندما نظر الملك سليمان إلى كل من الحكيم والجاهل من منظور الموت، أدرك أن المصير نفسه يؤول إليهما في النهاية (الآية 14 ب). ماذا يعني هذا؟ انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة (2: 16): "لَأَنَّهُ لَيْسَ ذِكْرٌ لِلْحَكِيمِ وَلَا لِلْجَاهِلِ إِلَى الْأَبَدِ، إِذْ فِي الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ الْكُلُّ يُنْسَى. وَكَيْفَ يَمُوتُ الْحَكِيمُ كَالْجَاهِلِ؟" بعبارة أخرى، أدرك الملك سليمان أن النهاية المحتومة لكل من الحكيم والجاهل هي الموت. كما أدرك أنها يُنسَى معاً في نهاية المطاف بعد الموت. وهكذا قال في قلبه: "مَصِيرُ الْجَاهِلِ يُصِيبُنِي أَنَا أَيْضاً. فَمَاذَا جَنَيْتُ إِذْنُ مِنْ كَوْنِي حَكِيماً؟" (الآية أ)، واعترف قائلاً: "هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (الآية 15 ب). ويُشير هذا النص إلى أنه طالما عجز الإنسان عن حل معضلة الموت، فإن 15 كل شيء يغدو عبثاً (بارك يون-سون). ونتيجة لذلك، صرَّح قائلاً: "كَرِهْتُ الْحَيَاةَ" (الآية 17).

لماذا رثى الملك سليمان حياته؟ ولماذا كرهها؟ السبب هو أنه أدرك أن العمل الذي يُنجز تحت الشمس كان أمراً مؤلماً ومزعجاً له؛ فكله باطل ومجرد سعي وراء الريح (الآية 17). وبالتأكيد، ليس هذا هو الموقف السليم تجاه الحياة بالنسبة للشخص الحكيم الذي يسعى لإرضاء الله. فالذين يُرضون الله لا يرثون ولا يكرهون الحياة التي وهبهم إياها؛ بل على العكس، إنهم يحبون الحياة (1 بطرس (ويرسبي)). وبعبارة أخرى، فإن من يُرضون الله يحبون حياتهم؛ وهم إذ يفعلون ذلك، ينظرون إلى حكمتهم من منظور (10: 3 الموت، فلا يسعون وراء حكمة عقيمة لا طائل منها. وبدلاً من ذلك، ومستعينين بالحكمة التي منحها الله - ومع وضع حقيقة الموت نصب أعينهم - يعيشون ما تبقى من حياتهم بحكمة لمجد الله، مُسترشدين بالحكمة النازلة من العلاء. إن الذين يُرضون الله لا يسلكون أبداً في الظلمة وعيونهم معصوبة كحال الجاهل؛ بل يسلكون في النور وعيونهم مستنيرة، ويعيشون كتلاميذ حقيقيين ليسوع، الذي هو النور. وعلينا نحن - أنت وأنا - أن نعيش بهذه الطريقة بالذات كتلاميذ ليسوع.

ثانياً، إن الشخص الذي يجد مسرته في الله ينظر إلى عمله من منظور الموت.

بعد أن رثى حياته وتأمل في حكمته في ضوء حقيقة الموت (الآية 17)، رثى الملك سليمان كل العناء الذي تكبده تحت الشمس (الآية انظر إلى الشطر الأول من الآية 18: "أبغضت كل تعبتي الذي تعبته تحت الشمس..." لماذا رثى الملك سليمان كل عمله تحت (18) الشمس؟ يطرح القس وارن ويرسبي ثلاثة أسباب لذلك:

السبب الأول هو أنه لم يكن بوسعه الاحتفاظ بالثروة التي جناها من خلال عمله الشاق.

انظر إلى الشطر الثاني من سفر الجامعة 2: 18: "...إذ عليّ أن أتركها للرجل الذي سيأتي بعدي" عندما نظر الملك سليمان -من منظور الموت- إلى الممتلكات المادية والثروة التي اكتسبها بفضل عمله، رثى ذلك العمل. لقد أدرك أن الحياة تنطوي على المجيء، والرحيل خالي الوفاض؛ فلم يكن بوسعه أن يأخذ تلك الثروة معه، بل كان عليه أن يتركها لمن يخلفه بعد وفاته. في الأسبوع الماضي سمعتُ أخباراً من كوريا عن انتحار رئيس سابق لإحدى الشركات الكبرى. وعند سماع نبأ وفاته، تبين أن هذا الرئيس -الذي كان يتمتع يوماً بثروة طائلة- لم يترك لأبنائه سوى الديون بدلاً من الأصول. ونظراً لسماحي أيضاً تقارير إخبارية عن العلاقة المتوترة بينه وبين شقيقه الأصغر -الذي شغل أيضاً منصب رئيس تلك المجموعة التجارية نفسها- وجدّ نفسي أتساءل: ماذا ترك الراحل لأبنائه بالضبط في نهاية حياته؟ وما الذي سنتركه أنا وأنت لأبنائنا وذريتنا؟ عندما ننظر إلى الحياة من منظور الموت، ما الذي نعتقد أننا نستطيع أخذه معنا عند مغادرة هذا العالم؟

السبب الثاني هو أن المرء لا يستطيع ضمان بقاء الثروة التي اكتسبها بجهد الشاق.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 2: 19: "منْ يعلم هل سيكون حكيماً أم أحمق؟ ومع ذلك، ستكون له السيطرة على كل ثمار تعبتي الذي تعبته وأظهرت فيه حكمة تحت الشمس. وهذا أيضاً باطل." عندما تأمل الملك سليمان في أتعابه "تحت الشمس" من منظور

الموت، تحسّر لإدراكه أنه لن يستطيع الاحتفاظ بالثروة التي جناها كنصيب له؛ بل كان عليه أن يتركها كلها لأبنائه عند وفاته. تخيل فقط: لو كنت تستعد لتوريث الثروة المادية وإنجازات العمر — سبعين أو ثمانين عاماً من العمل الشاق — لأبنائك، ثم أدركت أنهم حمقى وسيبددون كل ما بنيتهم؛ كم ستشعر بعبثية جهودك وبالأسف عليها. هذا هو بالضبط ما عبّر عنه الملك سليمان في تحسّره؛ فقد كان عليه أن يترك كل الثروة والمكاسب المادية التي لم يستطع حمايتها لابنه رحبعام. وكما نعلم، فبعد وفاة سليمان، وخلال عهد خليفته رحبعام، انقسمت أمة إسرائيل إلى شطرين؛ حيث حكم يربعام الشمال وحكم رحبعام الجنوب، وقد أضاع كلاهما الفرص المتاحة لهما (ماك آرثر).

هل يمكنك تخيل ذلك؟ تأمل وجهة نظر الملك سليمان: كيف كان شعوره وهو يعلم أن مملكة إسرائيل — التي قضى حياته كلها في بنائها — ستقسم إلى شطرين في عهد ابنه رحبعام بسبب خطاياهم؟ وكيف كان شعوره وهو يتأمل كل أتعابه "تحت الشمس" مدرّكاً وقوع هذا الحدث الحتمي الذي لا رجعة فيه؟ عندما تغادر هذا العالم بعد توريث ما كدحنا طوال حياتنا لأجله إلى أبنائنا، لا نعود قادرين على حماية ذلك الإرث من أجلهم. فنحن لا نعلم ما إذا كان أبنائنا سيكونون حكماء أم حمقى، أو ما إذا كانوا — بمجرد توليهم زمام الأمور فيما تركناه وراءنا (الآية 19) — سيبددون كل شيء أم سيستخدمون بحكمة الموارد التي تركناها لمجد الله. ولهذا السبب يقول الملك سليمان في الآية 20: "فَالْتَفْتُ وَجَعَلْتُ قَلْبِي يَأْسُ مِنْ كُلِّ التَّعَبِ الَّذِي تَعْبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ". وفي النهاية، عندما نظر إلى كل عمله الشاق من منظور الموت، تملكه اليأس.

السبب الثالث والأخير هو أننا لا نستطيع التمتع الكامل بالثروة التي جنيناها من خلال أتعابنا.

من المرجح أن الملك سليمان قد تمتع بالثروة التي كسبها خلال حياته. ومع ذلك، ففي الآيات من 21 إلى 23، يعبر عن نظرة متشائمة للغاية. على سبيل المثال، يشير إلى أنه حتى عندما يعمل المرء بحكمة ومعرفة ومهارة، فإنه يضطر في النهاية إلى ترك ثمار ذلك العمل ميراثاً لشخص لم يتعب في تحصيلها؛ ويصف ذلك بأنه باطل وشر عظيم (الآية 21). كما يتساءل قائلاً: "ماذا ينال الإنسان من كل تعب وعناء جهده تحت الشمس؟" (الآية 22)، ويخلص إلى هذه النتيجة: "كل أيامه ألم وحزن، وحتى في الليل لا يهدأ عقله وهذا أيضاً باطل" (الآية 23). ماذا يعني هذا؟ يعني أن النتيجة الوحيدة لحياة قضيت في تعب وجهد مشوب بالقلق هي الحزن. يعلن ليست — المشحونة بالقلق المستمر والليالي التي لا تعرف النوم — الملك سليمان: "وهذا أيضاً باطل"، لأن حصيلة حياة العمل الشاق سوى الحزن (الآيتان 21 و23).

وهكذا، عندما يتأمل الملك سليمان في حكمته وعمله من منظور الموت، يخلص إلى أنهما بلا جدوى. فما هو الدرس القيم الذي تعلمه من ذلك؟ لننظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 2: 24: "ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب ويجد الرضا في تعبهِ. وهذا أيضاً هو أن القدرة على إيجاد الرضا والفرح — مع إقراره بعبثية حكمته وعمله — كما أرى، هو من يد الله". إن الدرس الذي تعلمه سليمان في العمل على الأرض لا تتعب من الذات، بل من الله. فالقدرة على الأكل والشرب والتمتع بثمار تعبنا أثناء العيش على هذه الأرض

هي هبة يمنحنا إياها الله. وإذا كنا قادرين على التمتع بملذات الحياة المادية هنا، فهذا بفضل نعمة الله؛ وليس متعة مستمدة لمجرد حكممتنا أو معرفتنا أو موهبتنا. ولهذا السبب يتساءل الملك سليمان: "فمن يستطيع أن يأكل أو يجد متعة بمعزل عنه؟" (الآية 25) وفي الختام، يمنح الله الحكمة والمعرفة والفرح لأولئك الذين يرضونه، وبذلك يمكنهم التمتع بالبركات المادية التي يسبغها عليهم إلى أولئك — (الآية 26). يبلغ مدى هذا التدبير الإلهي حداً يجعل الله ينقل في النهاية الثروة — التي كدَّ الخطاةُ لجمعها وتكديسها فإنهم — الذين يرضونه (الآية 26). أما الخطاة الذين يعيشون حياةً تتسم بعدم الإيمان والعصيان — قاصرين بذلك عن إرضاء الله يُحرمون من التمتع حتى بتلك الثروة التي اكتسبوها بكدهم الدنيوي؛ وبدلاً من ذلك، يمنح الله المؤمنين به والمطيعين لكلمته والذين يرضونه، فرصة التمتع بتلك الثروة ذاتها التي جمعها أولئك الخطاة. وإنني أصلي لكي نكون -أنا وأنت- ممن يرضون الله، فننعم بالحكمة والمعرفة والفرح الذي يمنحه لمن ينالون رضاه ونعمته.

الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (1)

[سفر الجامعة 3: 14-1]

في أي وقت نعيش الآن برأيك؟ في مساء السبت الماضي، حضر أحد الشمامسة من كنيسة أخرى خدمة "المنطقة 1" في كنيسةنا وأثناء تناول العشاء بعد الخدمة، حدثني عن الفيلم الذي صدر حديثاً بعنوان "2012". وذكر أن مدة الفيلم تتجاوز الساعتين وأنه مليء بأحداث الحركة والإثارة من البداية وحتى النهاية. لذا، أجريْتُ بعض البحث على الإنترنت حول هذا الفيلم؛ فهو عبارة عن تتابع للكوارث، حيث تدور حبكة حول دمار الأرض في 21 ديسمبر 2012. ومن بين القصص التي تتحدث عن نهاية البشرية والتي تكرر تداولها بلا انقطاع منذ حضارة المايا القديمة، يبدو أن التنبؤ بدمار الأرض في 21 ديسمبر 2012 ينبع جزئياً من حقيقة أن التقويم الذي وضعه شعب المايا ينتهي عند هذا التاريخ. علاوة على ذلك، يؤكد علماء بارزون -بعد سنوات من البحث- أن عام الدمار الفعلي هو 2012. ويُقال إن الشمس تشهد نشاطاً عنيفاً غير مسبوق منذ 11 ألف عام (أي منذ بدء ذوبان الأنهار الجليدية نتيجة الاحتباس الحراري السريع في نهاية العصر الجليدي)، ولا سيما منذ أربعينيات القرن الماضي وبشكل خاص منذ عام 2003 واستناداً إلى الملاحظات المسجلة حتى الآن، يتوقع علماء الفيزياء الذين يدرسون الشمس أن يبلغ النشاط الشمسي ذروته مرة أخرى بحلول عام 2012. ويُقال إنه عندما تضرب عاصفة الشمس، تحدث عاصفة على الأرض أيضاً. وبناءً على ذلك، يصور الفيلم سيناريو تضرب فيه كوارث طبيعية متنوعة -كالزلازل والانفجارات البركانية وموجات التسونامي الهائلة- أنحاء العالم، مما يؤدي إلى حلول لحظة النهاية التي لا يمكن لأحد إيقافها. وبعد سماعي عن هذا الفيلم يوم السبت الماضي، وجدت نفسي أناقشه في اليوم التالي مباشرة -أي يوم الأحد- أثناء الغداء مع أحد شمامسة كنيسةنا الذي تجاوز التسعين من عمره. لقد أثرت هذا الموضوع لأنه كان قد شاركني سابقاً مقالاً من صحيفة يابانية يتنبأ بأن العالم سينتهي في عام 2050. في ذلك الوقت، علّقتُ مازحاً: "حسناً، لن تكون موجوداً في عام 2050، لذا لا داعي للقلق بشأن ذلك". ومع ذلك، ونظراً لأن التنبؤ الجديد كان يشير إلى أن العالم سينتهي في عام بدلاً من 2050، فقد بادرتُ بفتح حديث معه حول هذا الأمر بأسلوب ودي وخفيف. ما رأيك في مثل هذه الأفلام والمقالات 2012، الصحفية - تلك النقاشات الدنيوية حول "أواخر الأيام"؟ شخصياً، يتكوّن لدي انطباع بأنّ حتى أهل العالم يدركون، على مستوى ما أنّ النهاية قادمة يوماً ما. ووسط هذه الأفكار، تذكرتُ كلمات الكتاب المقدس في إنجيل لوقا 12: 56-57: "يَا مَرَاوُونَ! تَعْرِفُونَ أَنَّ تُمَيِّزُوا وَجْهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. وَأَمَّا هَذَا الزَّمَانُ فَكَيْفَ لَا تُمَيِّزُونَهُ؟ وَلِمَاذَا لَا تَحْكُمُونَ بَأَنْفُسِكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟". يعرف الناس كيف يفسرون علامات الطقس، ومع ذلك يعجزون عن تمييز الأزمنة التي نعيشها جميعاً. بالطبع، تستمر أفلام الكوارث -مثل فيلم والكتب التي تتحدث عن نهاية العالم في الظهور، لكن يبدو أن الكثيرين يواصلون حياتهم غير مدركين أن هذا العصر -2012* "الحالي هو حقاً" أواخر الأيام.

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 3: 11، يذكر الملك سليمان -أي "الجامعة" أو المعلم- أن الله جعل كل شيء حسناً في وقته، "ولذلك، وبينما أركز على هذا النص -وتحديدًا سفر الجامعة 3: 1-14- وعلى عنوان "الله الذي يجعل كل شيء حسناً في وقته (1) ، فإنني أركز في أن أتقبل بتواضع النعمة التي يقدمها الله، متأملاً في جانب واحد فقط من كيفية جعله كل شيء حسناً في أوانه المناسب

أولاً، يجعل الله كل شيء حسناً في وقته لأنه يُنمِّم كل غاية ومقصد

انظر إلى سفر الجامعة 3: 1 في نص اليوم: "لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتُ". هنا، يقرر الملك سليمان أن هناك وقتاً معيناً لكل شيء، ولحظة محددة لتحقيق كل غاية ومقصد. يوضح الكاتب (وبرسبي) أنه نظراً لأن الله يعمل في حياتنا الفردية فإنه يحقق في النهاية مقاصده ومشينته. وفي هذا السياق، يسرد الملك سليمان أوقاتاً متنوعة في الآيات من 2 إلى 8، وقد صنفنا هذه الأوقات في خمس مجموعات:

أولاً، هناك وقت للولادة ووقت للموت (1)

انظر إلى سفر الجامعة 3: 2: "لِلْوَلَادَةِ وَقْتُ وَلِلْمَوْتِ وَقْتُ. لِلْغُرْسِ وَقْتُ وَلِقْلَعِ الْمَغْرُوسِ وَقْتُ". كان الملك سليمان قد أشار سابقاً إلى أن "الْحَكِيمُ مِثْلُ الْجَاهِلِ، لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إِلَى الْأَبَدِ" وأن "الْحَكِيمُ يَمُوتُ كَالْجَاهِلِ" (2: 16). والآن، في الآية 3: 2، يؤكد أنه كما يوجد وقت للولادة، يوجد أيضاً -حتماً- وقت للموت. وفيما يتعلق بالولادة والموت -أو باستخدام استعارة الشجرة- هناك وقت للغرس ووقت لاقتلاع ما غرس. والنقطة الجوهرية هنا هي سيادة الله؛ أي أن الناس يولدون ويموتون في نطاق سيادة الله. فلا تقتصر حياة الإنسان فحسب، بل حياة الشجرة أيضاً، على خضوعها لسيطرة الله وسيادته. والأهم من ذلك كله هو أن تتحقق مشيئة الرب وحده من خلال حياتنا وموتنا. وبعبارة أخرى، يجب أن يتجلى مجد الرب وحده من خلال وجودنا ورحيلنا؛ وحينها فقط تصبح حياتنا وموتنا جميلتين حقاً. فالله هو الذي يجعل كل شيء جميلاً بتنفيذ مشيئته السيادية عبر حياتنا وموتنا. وبينما كنت أتأمل في نص اليوم الجامعة 3: 2- وجدت نفسي أصلي قائلاً: "يا الله، أرجو أن تجعل موتي أكثر جمالاً حتى من ولادتي". وما زلت أصلي أن يمنحني الله موتاً جميلاً. واستكمالاً لاستعارة الشجرة، أصلي لكي أكون مغروساً جيداً، وأنمو بقوة، وأثمر ثماراً وفيرة لمجد الله قبل أن أقتلع في النهاية. ومع ذلك، أصلي ألا تتحقق مشيئتي الشخصية، بل مشيئة الله السيادية، من خلال حياتي وموتي. السبب هو أن حياتي وموتي لا يمكن أن يصبحا جميلين حقاً إلا عندما تتحقق مشيئة الله السيادية - لا مشيئتي أنا

ثانياً، هناك أوقات للتأديب وأوقات للرد (أو الاستعادة) (2)

... تأمل النص الوارد في سفر الجامعة (3: 3، 5-6، والنصف الأول من الآية 7): "لِلْقَتْلِ وَقْتُ وَلِلشَّعَاءِ وَقْتُ. لِلْهَدْمِ وَقْتُ وَلِلْبِنَاءِ وَقْتُ. لِيَطْرَحَ الْجَارَةُ وَقْتُ وَلِجَمْعِ الْجَارَةِ وَقْتُ. لِلْمَعَانَقَةِ وَقْتُ وَلِلانْفِصَالِ عَنِ الْمَعَانَقَةِ وَقْتُ. لِلطَّلَبِ وَقْتُ وَلِلْإِثْلَافِ وَقْتُ. لِلْحِفْظِ

وَقُتْ وَلِلطَّرْحِ وَقُتْ. لِلتَّمْزِيقِ وَقُتْ وَلِلتَّخْيِيطِ وَقُتْ..." باختصار، يخبرنا هذا النص أن هناك أوقاتاً يؤديها فيها الله وأوقاتاً يردنا فيها (بارك يون-سون). إن أفعالاً مثل القتل، وهدم المباني، وطرح الحجارة، والامتناع عن المعانقة، والتمزيق، كلها تصور تأديب الله وفي المقابل، فإن أفعالاً مثل الشفاء، والبناء، وجمع الحجارة، والمعانقة، والبحث، والحفظ، والترميم (أو التخييط)، كلها تشير إلى الرد والاستعادة. لماذا يتحدث الملك سليمان عن أوقات التأديب وأوقات الرد؟ السبب هو أننا -من الولادة وحتى الموت- ورغم إيماننا بيسوع بنعمة الله، نظل ضعفاء وعرضة للعيش وفقاً للعادات القديمة؛ فنخطئ حتماً في حق الله ونواجه بالتالي تأديبه. ومع ذلك، تكمن نعمة الله المذهلة في حقيقة أنه إله لا يكتفي بتأديبنا عندما نخطئ، بل يردنا أيضاً. وما يجب أن نضعه في الاعتبار هنا هو أن هناك عنصرين حاسمين في هذا التأديب والرد الإلهي: محبة الله، واعترافنا بالخطيئة وتوبتنا.

لماذا يؤديها الله ثم يعيدنا إلى حالتنا السابقة (يردنا)؟ السبب هو أنه يحبنا. فلو لم يكن الله يحبنا، لما كانت هناك حاجة لأن يؤديها. ولأنه يحبنا، فإنه يضربنا عندما نعصي ونخطئ؛ ولأنه يحبنا، فإنه يضمد جراحنا. وعلاوة على ذلك، فبين تأديب الله المحب وعملية ردنا، لا بد من وجود اعتراف بالخطيئة وتوبة من جانبنا؛ إذ لا يمكن أن تتم عملية الردّ هذه دون الاعتراف بالخطيئة والتوبة. وفي النهاية، يحقق الله مقصده السيادي ويحولنا إلى شيء جميل —ومن خلال عملية التأديب والردّ— التي تشمل محبته واعترافنا وتوبتنا.

ثالثاً، هناك وقت للبكاء ووقت للضحك (3)

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 3: 4: "الْبُكَاءُ وَقُتْ وَلِلضَّحِكِ وَقُتْ. لِلنُّوحِ وَقُتْ وَلِلرَّفْصِ وَقُتْ". إن هذا العالم مليء بالهموم والمصاعب والخطيئة والموت. وكما قال موسى صاحب المزمور، قد تبلغ أيامنا سبعين سنة، أو ثمانين إن كانت لدينا القوة، ومع ذلك فإن أفضلها ليس سوى تعب وحزن (مزمور 90: 10). ولذلك، وسواء كان المرء يؤمن بيسوع أم لا، فإن العيش في هذا العالم المليء بالأحزان يجلب حتماً أوقاتاً للبكاء. ومع ذلك، فإن حزن المؤمن يختلف عن حزن غير المؤمن، أو بالأحرى، *ينبغي* أن يختلف. فلا ينبغي للمؤمنين وغير المؤمنين أن يذرفوا النوع نفسه من الدموع في عالم الأحزان هذا. فالدموع التي يجب علينا نحن المؤمنين بيسوع أن نذرفها هي دموع التوبة. فعندما نخطئ في حق الله ونواجه التأديب، ينبغي لنا أن نبكي وننوح وسط معاناتنا وألمنا؛ إذ إن مثل هذه الدموع وذلك الحزن أمران ثمينان حقاً. ولهذا السبب يقول الملك سليمان إن الحزن خير من الضحك (جامعة ينبغي أن تظهر علامات الحزن على وجوهنا، لأن هذا الحزن يمكن أن يُصلح قلوبنا. وكيف يُصلح قلوبنا؟ لأنه حزنٌ بمشيئة. (3: 7) الله يقودنا إلى التوبة، ويجلب لنا في النهاية الضحك والفرح. وبعبارة أخرى، إن الحزن على وجوهنا أمر ثمين لأن الحزن الذي يرضي الله يمكّننا من نيل مغفرة الخطايا والتمتع بنعمة الردّ التي يمنحها الله. ولذلك، يجب علينا أن نشكر الله في أوقات الحزن والفرح على حد سواء. نحن نقدم الشكر؛ لأنه من خلال الحزن الذي يسمح به الله ضمن مشيئته السيادية، نتمكن من الاعتراف بخطايانا والتوبة. وعندما نعترف بخطايانا ونتوب عنها، ننال الفرحة الحقيقي الذي يمنحه الله. وفي النهاية، يضيف الله علينا جمالاً من خلال تحقيق مقاصده، سواء كنا نبكي أو نضحك.

رابعاً: هناك وقت للصمت ووقت للكلام (4)

انظر إلى الجزء الأخير من الآية 7 في الإصحاح الثالث من سفر الجامعة في نص اليوم: "...وقت للصمت ووقت للكلام". لقد سبق وتحدث الملك سليمان عن هذا الأمر في الإصحاح الخامس، الآية 2: "لَا تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ، وَلَا يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلَامٍ قُدَّامَ اللَّهِ. لِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَنْتَ عَلَى الْأَرْضِ، فَلِذَلِكَ فَلْتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً". إنه يخبرنا ألا نتحدث بتهور أو تسرع عندما نصلي إلى الله وبالطبع، هذا لا يعني أنه ينبغي علينا تقديم صلوات قصيرة بدلاً من الصلوات الطويلة ونحن في حضرة الله. ومع ذلك، فأنا أؤمن بأن سكب القلب ورفع الطلبات إلى الله بإخلاص هو أمر يرضيه أكثر من تقديم صلوات طويلة ومشتتة مليئة بكلمات فارغة ومكررة. فما يهم حقاً ليس طول الصلاة -سواء كانت طويلة أو قصيرة- بل *الكيفية* التي نصلي بها.

.عندما نصلي، يجب علينا أولاً أن نسكن ونهدأ أمام الله. وهذا السكون يحمل معنيين: وضع ثقتنا المطلقة في الله، والإصغاء إلى صوته. يجب أن نبدأ صلواتنا بسكون نابع من الثقة الكاملة به. وفي ظل هذه الثقة، علينا أن نسعى لسماع صوته. وللقيام بذلك، ينبغي أن نركز أقل على التحدث *إلى* الله، وأن نركز أكثر على الإصغاء إلى صوته *من خلال* كلمته. وعلى وجه الخصوص، يجب أن نلتزم الصمت أمام الله ونسمح لكلمته بأن تخاطب قلوبنا. ومن خلال تلك الكلمة، يجب أن ندرك خطايانا؛ وحينها فقط ينبغي أن نفتح أفواهنا للاعتراف بتلك الخطايا أمام الله. وفي النهاية، يجعلنا الله جميلين من خلال قيادتنا إلى السكون وإلى الكلام في آن واحد؛ وبعبارة أخرى، هو يضيف علينا الجمال بتمكيننا من الثقة به تماماً، وبحثنا على فتح أفواهنا والاعتراف بخطايانا.

خامساً وأخيراً: هناك وقت للحب ووقت للكراهية. تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 3: 8: "لِلْحُبِّ وَقْتُ وَلِلْبُغْضِ وَقْتُ (5) لِلْحَرْبِ وَقْتُ وَلِلصُّلْحِ وَقْتُ". يزدان المؤمنون بيسوع جمالاً حين يطيعون كلمة الله ويحبون جيرانهم؛ كما يزدانون جمالاً حين يطيعون كلمته ويبغضون الشر. ومع ذلك، وبالنظر إلى حال كنيستنا في هذه الأيام، يبدو أننا نفعل العكس: إذ نبغض الجيران الذين ينبغي أن نحبههم، ونحب الخطيئة التي ينبغي أن نبغضها. ولهذا السبب، غالباً ما تبدو الكنيسة قبيحة بدلاً من أن تكون جميلة. لذا يتحتم علينا أن نميز بوضوح بين من ينبغي أن نحبههم ومن ينبغي أن نبغضهم؛ فالله يأمرنا بمحبة الجيران وبغض الشر. إنه يريد أن يضيف علينا الجمال من خلال تمكيننا من محبة بعضنا البعض بمحبة الرب، وكذلك بقيادتنا لبغض الشر. وعليه، وفي إطار طاعتنا لكلمة الله، يجب علينا خوض حرب روحية ضد تجارب الشيطان التي تسعى للخلط بين موضوعات محبتنا وموضوعات بغضنا. وعلينا خوض هذه الحرب الروحية ونحن واثقون من الانتصار، لأن يسوع قد انتصر بالفعل على الصليب؛ وانتصاره هو انتصارنا. إن الله يجعلنا جميلين بمنحنا النصر في هذه الحرب الروحية وإسباغ السلام علينا. وهكذا، يجعل الله كل شيء جميلاً، سواء في الحب والسلام أو في البغض والحرب. وفي النهاية، هو يجعلنا جميلين بتحقيق مشيئته السيادية وسط الحب والبغض، والحرب والسلام.

،إلهنا هو الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته. وسواء كنا نولد أو نموت، نبيكي أو نضحك، نخضع للتأديب أو نختبر الاسترداد نصمت أو نتكلم، نحب أو نبغض؛ ففي كل حال، يجعلنا الله جميلين بتنفيذ مشيئته السيادية. إن مشيئته السيادية تعمل في كل هذه

الأوقات، لتغيرنا وتجعلنا أكثر شبهاً بيسوع. وبذلك، وحتى إن لم نبذ متمتعين بذلك النوع من الجمال الذي يعجب به العالم (إشعياء 53: 2):
(31) فإننا سنصبح أبناءً جميلين لله في عينيه. ولذا، نرفع إلى الله ترنيمة "لتكن مشيئتك" (الترنيمة رقم 4، 53: 2):

(المقطع الأول) يا رب، لتكن مشيئتك؛ إنني أسلم جسدي وروحي بالكامل لك. قُذني وسط أفراح هذا العالم وأحزانه؛ تولّ أمري ولتكن مشيئتك.

(البيت الثاني) يا رب، لتكن مشيئتك؛ ولا تدعني أفقد الرجاء حتى في أشد المحن. فأنت أيضاً بكيت في أوقات مضت؛ تولّ أمري ولتكن مشيئتك.

(البيت الثالث) يا رب، لتكن مشيئتك؛ إنني أستودعك كل شؤوني. سأسير في هدوء نحو الوطن السماوي؛ وسواءً عشت أو متُّ، فلتكن مشيئتك. آمين.

الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (2)

[سفر الجامعة 3: 1-14]

في يوم الجمعة المقبل، سيقام حفل تأبين لابن الشمس "تشوي" من كنيسة. وبينما أستعد لإحياء ذكرى ابن الشمس -الذي وافته المنية فجأة وهو في الخامسة والخمسين من عمره- أتذكر الرسالة التي تأملت فيها يوم الأربعاء الماضي: "الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (1)". إن حياتنا تشمل وقتاً للولادة ووقتاً للموت؛ وسيأتي حتماً وقت يتعين علينا فيه جميعاً مواجهة الموت. وفي تأملي في سيرة الراحل ابن الشمس، فإنني أصلي وأتطلع بإيمان إلى أن الله، حتى في الموت، يجعل كل شيء جميلاً من خلال تحقيق مقاصده ومشيبته السيادية.

خلال اجتماع الصلاة يوم الأربعاء الماضي، ومع التركيز على النص الوارد في سفر الجامعة (3: 1-14)، استمعنا إلى الجزء الأول من الرسالة التي تحمل عنوان "الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته". وتتمحور الرسالة حول حقيقة أن الله يجعل كل شيء جميلاً في وقته المناسب من خلال إتمام كل مقاصده (الآية 1). وفيما يتعلق بهذا "الوقت"، يسرد الملك سليمان حالات متنوعة في الآيات من 2 إلى 8 من نص اليوم. وقد صنفنا هذه الحالات في خمس مجموعات للتأمل، ملاحظاً أن الله يجعل كل شيء جميلاً في كل لحظة من هذه اللحظات عبر تنفيذ مشيبته السيادية: (1) وقت للولادة ووقت للموت (الآية 2)؛ (2) وقت للتأديب ووقت للترميم (الآيات والنصف الأول من الآية 7)؛ (3) وقت للبكاء ووقت للضحك (الآية 4)؛ (4) وقت للصمت ووقت للكلام (النصف الثاني، 5-6، 3 من الآية 7)؛ و(5) وقت للحب ووقت للكراهية. إن الله هو الذي يجعل كل شيء جميلاً بتحقيق مقاصده في كل مرحلة وزمان. فكل شيء وقت محدد -الولادة والموت، الهدم والبناء، البكاء والضحك، الصمت والكلام، الحب والكراهية- وفي خضم هذه الأوقات، يحقق الله مشيبته السيادية، وبذلك يجعل كل شيء جميلاً. ولهذا السبب نرجم الترنيلة رقم 431: "لتكن مشيبتك يا رب" (أو "يا رب، حسب مشيبتك")، كتقدمة تسبيح له.

واليوم، ومواصلةً للنص الوارد في سفر الجامعة (3: 1-14)، أودُّ التأمل في موضوع: "الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (الجزء الثاني)". وعلى وجه التحديد، أرغب في التأمل في *كيفية* جعل الله كل شيء جميلاً في حينه، وكيف ننال النعمة التي يمنحها هو.

ثانياً، يجعل الله كل شيء جميلاً في وقته بأن يضع فينا توقاً إلى الأبدية.

انظروا إلى النصف الأول من الآية 11 في الإصحاح الثالث من سفر الجامعة: "جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ، وَأَيْضًا جَعَلَ الْآبِدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ...". فبينما نعيش في هذا العالم — وهو عالم يُوصف غالباً بأنه "باطلُ الأباطيل" — يبرز سؤالٌ يجب علينا، مثل الملك سليمان، أن نطرحه على أنفسنا: "ما هو الربح الحقيقي من كل الكدِّ والتعب الذي أتكدَّه على هذه الأرض؟". لقد طرح الملك سليمان هذا السؤال مرتين قبل هذا النص: "أَيُّ مَنَفَعَةٍ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتَعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ؟" (3: 1)، و"مَاذَا يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ وَمِنْ اجْتِهَادِ قَلْبِهِ الَّذِي تَعَبَ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ؟" (22: 2). ومع ذلك، يطرح السؤال ذاته مرة أخرى هنا في الآية 9 من الإصحاح الثالث: "أَيُّ مَنَفَعَةٍ لِلْعَامِلِ فِي مَا يَتَعَبُ فِيهِ؟". وبعد طرح السؤال نفسه مراراً، يقرر الملك سليمان قائلاً: "رَأَيْتُ الشُّغْلَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِبَنِي الْبَشَرِ لِيَشْتَغِلُوهُ" (3: 10). إنه يقر بأن الكدَّ والتعب اللذين نخترهما على هذه الأرض هما أمران عيّنهما الله لنا. لماذا يجعلنا الله نكدَّ ونتعب على هذه الأرض؟ لقد اعترف سليمان بوضوح قائلاً: "لَأَنَّ كُلَّ أَيَّامِهِ أَوْجَاعٌ وَعَمَلُهُ عَمٌّ، حَتَّى بِاللَّيْلِ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ. هَذَا أَيْضًا هُوَ بَاطِلٌ" (23: 2). لماذا يرتب الله مثل هذا العمل أو الكد الذي يبدو بلا معنى؟ لقد وجدتُ الإجابة في نص اليوم: سفر الجامعة 3: 11. إن السبب الذي يجعل الله يكلفنا بعبء العمل هذا ونحن نعيش على الأرض هو دفعنا للتوق إلى الأمور الأبدية والسعي وراءها. ولذا، يريد الله منا أن نتوقف عن الانخراط في أعمال أو كدح لا طائل منه، وأن نسعى بدلاً من ذلك وراء ما هو أبدي في الرب، فنقوم بأعمال وجهود ذات قيمة ومعنى في عينيه.

إذن، ما هو العمل الذي يحمل قيمةً في نظر الله؟ إنه "فعل الخير". انظر إلى سفر الجامعة 3: 12: "عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ خَيْرٌ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَفْرَحُوا وَيَفْعَلُوا الْخَيْرَ فِي حَيَاتِهِمْ". لا شيء أفضل لنا ونحن نعيش على هذه الأرض من أن نفرح ونفعل الخير وماذا يعني "فعل الخير" هنا؟ إنه يشير إلى القيام بأمور تعود بالنفع على الآخرين (وفقاً لـ "بارك يون-سون"). إذن، ما هي الأمور التي تنفع الآخرين؟ بما أن الله قد وضع توقاً إلى الأبدية في قلوبنا -نحن الذين صرنا خليفة جديدة في يسوع المسيح- فيجب علينا النظر إلى فعل نفع الآخرين من منظور أبدي. بعبارة أخرى، عندما نفعل الخير -أي عندما نقوم بأمور تنفع الآخرين- يجب أن ننظر إلى ذلك من منظور الأبدية. وماذا يعني نفع الآخرين بمنظور أبدي؟ إنه يعني محبتهم بحبة الله الأبدية. ومحبة الآخرين بحبة الله الأبدية تعني تعريفهم بالرب الأبدي؛ أي مشاركتهم إنجيل يسوع المسيح. وبفعلنا ذلك، تُمكنهم -مثلنا تماماً- من نيل الحياة الأبدية في يسوع المسيح. وهذا هو عمل الله بعينه. لا شيء أفضل لنا، ونحن نعيش في هذا العالم، من أن نجد الفرح والسرور في القيام بعمل الله ولذلك، ينبغي لنا أن نتمتع بثمار تعبنا -من أكل وشرب وعمل لأجل الله- (سفر الجامعة 3: 13). باختصار، سواء أكلنا أو شربنا أو فعلنا أي شيء آخر، ينبغي أن نجد الفرح في تحقيق قصد الله -أي مشيئته- هنا على الأرض. هذه هي عطية الله. فهل نحن نتقبل عطية الله هذه ونتمتع بها حقاً في الوقت الحاضر؟

بينما نعيش على هذه الأرض، يجب علينا أن نجتهد بجد في عمل الله. ولماذا يُعد هذا أمراً ضرورياً؟ تأملوا في نص اليوم، سفر الجامعة 3: 14: "عَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللَّهُ يَكُونُ إِلَى الْآبِدِ. لَا شَيْءٌ يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا شَيْءٌ يُنْقُصُ مِنْهُ. وَإِنَّمَا يَعْمَلُ اللَّهُ ذَلِكَ لِيَخَافَهُ

النَّاسُ". علينا أن نشارك في أعمال الله التي تدوم إلى الأبد، وأن نقوم بذلك بقلب يتقي الله ويوقره. وحين نفعل ذلك، سيجعل الله كل شيء جميلاً في حينه. في يوم الاثنين الماضي، فتحتُ نسخةً صغيرةً من العهد الجديد احتفظ بها في سيارتي -وأحملها معي أحياناً للقراءة- وبدأتُ بقراءة رسالة رومية. وتوقفت عيناى عند الآية 11 من الإصحاح الثالث عشر: "وَهَذَا إِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ: أَنَّهَا الْآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلَاصَنَا الْآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ جِئَ آمَنَّا". ما هي أفكاركم حول كلمة الله هذه -بأن الزمان الذي نعيشه الآن يعني أن "خلاصنا أقرب مما كان حين آمنا"؟ هل تعيشون وشعور اقتراب الخلاص يملؤكم في هذه الأيام الأخيرة؟ وهل تتوقون إلى ذلك الخلاص وتشتاقون إليه؟ عندما يعود يسوع إلى هذه الأرض، سيجعل كل شيء جميلاً من خلال خلاصنا. سيقودنا الرب - نحن الذين نتوق إلى الأبدية- إلى ملكوت السماوات الأبدى؛ وهناك سنعيش مع الرب إلى الأبد، متمتعين بالسعادة الأبدية. وبينما نعيش على الأرض اليوم متمسكين بهذا الرجاء، أصلي أن نسعى جميعاً لتحقيق مشيئة الله، مستمدين القوة من نعمته التي تمدنا بالعون في أوقات احتياجنا.

علينا أن نتمتع بالحياة بتوازن

أن يأكل كل إنسان ويشرب ويتمتع بالخير في كل تعب، فهذه هي هبة الله. أعلم أن كل ما يفعله الله يدوم إلى الأبد؛ لا يمكن إضافة شيء إليه ولا أخذ شيء منه. يفعل الله ذلك لكي يتقيه الناس" (سفر الجامعة 3: 13-14)

الحياة رحلة مُضنية (سفر الجامعة 1: 3). يبدو أن عناء البشرية يفوق الوصف (الآية 3، *النسخة الكورية المعاصرة*). إنها رحلة مؤلمة (الآية 13). "المصير الذي منحه الله للبشرية هو مصير مليء بالمشقة والمعاناة" (الآية 13، *النسخة الكورية المعاصرة*). إنها رحلة تملؤها الهموم والأحزان (2: 23). "حتى بعد حياة من الكدح، لا يوجد سوى القلق والألم"، وقلبي "لا يجد راحة حتى في الليل؛ وهذا أيضاً بلا معنى" (الآية 23، *النسخة الكورية المعاصرة*). إنها رحلة بلا معنى وعديمة الجدوى (الآية 11). "إنها لا تحمل أي معنى؛ فكل شيء عبثي كمن يطارد الريح" (الآية 11، *النسخة الكورية المعاصرة*). ولذا، "أشعر بالأسف على العمل الشاق الذي قمت به في هذا العالم" (الآية 20، *النسخة الكورية المعاصرة*). فماذا علينا أن نفعل إذن؟

علينا أن نتوقف عما نفعله ونتأمل بعمق. وبينما نتأمل، يجب أن نطرح على أنفسنا الأسئلة الصحيحة. بالطبع، هناك أسئلة كثيرة قد نطرحها على أنفسنا. على سبيل المثال، طرح الملك سليمان، "الجامعة" (1: 1)، أسئلة مثل: "ماذا يجني الإنسان من كل تعب الذي يكدح فيه تحت الشمس؟" (الآية 3)؛ "وعن الضحك قلت: ما فائدته؟" (2: 2)؛ "ماذا ينال الإنسان من كل تعب وسعيه الذي يكدح فيه تحت الشمس؟" (الآية 22)؛ و"ماذا يجني العامل من تعبهِ؟" (3: 9). لقد اختصرت هذه الأسئلة الأربعة في سؤالين من أجل التطبيق العملي: (1) ما الذي أجنّيه فعلياً في هذه اللحظة من خلال تعبتي وكدحي؟ (2) ما الذي أحاول تحقيقه من خلال كدحي وعملي الشاق؟

علينا أولاً أن نطرح على أنفسنا هذه الأسئلة ونتأمل فيما نكسبه ونخسره حالياً. وبعبارة أخرى، نحتاج إلى التفكير ملياً فيما ينبغي لنا كسبه وما ينبغي لنا التخلي عنه؛ وببساطة، يجب علينا الموازنة بين المكاسب والخسائر. ومن ثم، وبتميّز سليم، علينا أن نتخلى بحزم عما يجب التخلي عنه، بينما نسعى وراء ما يجب كسبه. فعلى سبيل المثال، الأمور التي ينبغي لنا بالتأكيد التخلي عنها هي تلك التي تُعد "باطلاً الأباطيل" في نظر الله (1: 2، 2: 14، 11: 15، 17، إلخ). وبصيغة أخرى، يجب علينا التخلص من الأمور التي لا طائل منها في نظر الله (2: 11). إذن، ما هي الأمور التي لا نفع فيها لنا في نظر الله؟ تشمل هذه الأمور: "إبهار نفسي بالخمير" (الآية 3) و"القيام بمشاريع عظيمة" (الآية 4)، واقتناء "ممتلكات أعظم" و"تجميع الثروات لنفسني" (الآيات 7-8)، وأن أصبح "أعظم" (3)

شأناً" (الآية 9)، و"امتلاك كل ما رغبت فيه" و"عدم حرمان نفسي من أي متعة" (الآية 10)، وما إلى ذلك. وما هو النافع حقاً لنا "في نظر الله إذن؟ إنه ببساطة أن يأكل الإنسان ويشرب ويجد الرضا في كل كدحه (الآية 24؛ 3: 13). وهذا أمر "مُعطى من الله وهو أيضاً "عطية الله" (3: 13) (24: 2).

ينبغي لنا أن نقبل هذه العطية من الله بتواضع وأن نتمتع بها. وبعبارة أخرى، علينا أن نجد المتعة في الأكل والشرب؛ ولا سيما الاستمتاع بالأكل والشرب مع أحبائنا. قد يتساءل المرء: "ما الأهمية الكبيرة في الأكل والشرب؟" ومع ذلك، فإن مراقبتي لحمي - الذي عجز عن الأكل أو الشرب عن طريق الفم منذ حوالي ست سنوات حتى الآن - تجعلني أدرك أي نعمة هائلة هي القدرة على الأكل والشرب، وهي وظيفة غالباً ما نعتبرها أمراً بديهياً أساسياً في حياة الإنسان. عندما أفكر فيه، وفي غيره من الأحياء الذين قضوا فترات في دور رعاية المسنين أو وحدات العناية المركزة، أزداد قناعةً بوجود أن نكون ممتنين - وأن نستمتع حقاً - بقدرتنا على الأكل والشرب. وعلاوة على ذلك، ينبغي لنا أن نجد الفرح في عملنا. لقد أقرَّ الملك سليمان، "الجامعة"، قائلاً: "فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَنْ يَفْرَحَ بِأَعْمَالِهِ..." (3: 22). ينبغي لنا أن نجد المتعة في العمل الذي نؤديه (الآية 22)، وأن نجد الرضا فإذا (3: 6) في ذلك العمل (5: 18، *الكتاب المقدس الكوري المعاصر*). ويجب أن تكون نفوسنا راضية بهذا النوع من السعادة أخفقنا في العثور على الفرح والرضا في عملنا، فإن كل ذلك يذهب سدى (5: 10). وحتى لو عشنا ألفي عام، فما الفائدة من ذلك إن لم نستمتع بالحياة (6: 6، *الكتاب المقدس الكوري المعاصر*)؟ لذا قال الملك سليمان: "هُوَذَا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا خَيْرٌ وَجَمِيلٌ: أَنْ يَأْكُلَ الْإِنْسَانُ وَيَشْرَبَ وَيَفْرَحَ فِي كُلِّ نَعْبِهِ الَّذِي يَتَعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ مَدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي يُعْطِيهِ إِيَّاهَا اللَّهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ نَصِيبُهُ" (5: الكتاب المقدس الكوري المعاصر): "أدركتُ أن أفضل ما يمكن فعله أثناء عيش الحياة القصيرة التي منحها الله هو الأكل" (18) والشرب وإيجاد الرضا في العمل؛ فهذا هو قدر البشرية؛ "فَمَدَحْتُ الْفَرَحَ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ تَحْتَ الشَّمْسِ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيَفْرَحَ، فَهَذَا يُلَازِمُهُ فِي تَعْبِهِ كُلِّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي يُعْطِيهِ إِيَّاهَا اللَّهُ تَحْتَ الشَّمْسِ" (8: 15) [*الكتاب المقدس الكوري المعاصر*]: "لذا، ينبغي للإنسان أن يستمتع بالحياة؛ إذ لا شيء أفضل في هذا العالم من الأكل والشرب والسعادة. ومع ذلك، يجب أن يقترن هذا الفرح بالعمل الجاد أثناء عيش الحياة التي منحها الله في هذا العالم". [ينبغي لنا أن نستمتع بالحياة القصيرة على الأرض التي وهبها الله إياها.

وأخيراً، ينبغي علينا أن نتأمل فيما نسعى ونكد لتحقيقه في حياتنا. لقد وجَّه الملك سليمان، "الجامعة"، قلبه "للبحث والاستقصاء بحكمة عن كل ما يُعمل تحت السماوات" (1: 13). كما وجَّه قلبه "لمعرفة الحكمة، ومعرفة الحماقة والجهالة" (الآية 17)، وتأمل بعمق في قرارة نفسه (2: 3). ثم جرَّب السعي وراء الملذات، باحثاً عن البهجة والاستمتاع (2: 1-2). وحاول الاستمتاع بالحياة مع الخمر بينما كان لا يزال يوجَّه قلبه بالحكمة (الآية 3، *النسخة الكورية المعاصرة*). وقد فعل ذلك لا اعتقاده بأن "هذه هي أفضل طريقة ليعيش أهل العالم حياتهم القصيرة" (الآية 3، *النسخة الكورية المعاصرة*). وعلاوة على ذلك، أقام الملك سليمان مشاريع عظيمة؛ فبنى بيوتاً، وغرس كروم عنب، وأنشأ لنفسه حدائق وبساتين متنوعة (الآيات 4-5). وجمع لنفسه "فضة وزهياً وكنوز الملوك والأقاليم" (الآية 8). ولم يحرم عينيه من أي شيء اشتتهه، ولم يمنع قلبه من أي شيء جلبت له الفرح (الآية 10). ومع ذلك، كانت

خلاصته: "ما الفائدة من هذا؟" (الآية 2)، "لا طائل منه" (الآية 2)، *النسخة الكورية المعاصرة*، "كان كل ذلك عبثاً" (الآية 11 النسخة الكورية المعاصرة*)، و"كان كل ذلك سعيًا وراء الريح" (1: 14). ونتيجة لذلك، صار يكره كل الكد الذي بذله في هذا* العالم وشعر باليأس (2: 18، 20). لقد أدلى الملك سليمان بالاقرافات التالية: "مصير جميع الناس واحد؛ وهذا هو الشر في كل ما يُعمل تحت الشمس: قلوب البشر مليئة بالشر والحماسة طوال حياتهم، وفي النهاية ينضمون إلى الموتى" (9: 3)؛ و"يأتي الإنسان عارياً عند الولادة؛ ومهما كد واجتهد ليكسب شيئاً، فلن يأخذ معه شيئاً حين يغادر هذا العالم" (5: 15)، *النسخة الكورية المعاصرة*، ومع ذلك، وفي خضم هذه التأملات، أدرك الملك سليمان حقيقة مفادها أن "الله صنع كل شيء حسناً في وقته، وجعل الأبدية في قلوب البشر" (3: 11)، وأن "كل ما يفعله الله يدوم إلى الأبد" (الآية 14).

لقد وضع الله في قلوبنا -نحن المؤمنون بيسوع المسيح- توقاً إلى الأبدية. ورغم أننا نعيش على هذه الأرض -نتمتع بعطايا الطعام والشراب التي يمنحنا إياها الله ونجد المسرة في عملنا طوال حياتنا القصيرة- إلا أن هذه الأفراح والمسرات ليست أبدية؛ فهي زائلة ومؤقتة، ومباهج لا نختبرها إلا في هذا العالم. ومع أنه ينبغي لنا أن نقبل عطايا الله هذه ونتمتع بها بتواضع، إلا أنه لا يجب أن نكتفي *بها وحدها؛ فالسبب هو أن الله يريدنا أن نختبر إشباعاً أبدياً. بعبارة أخرى، لا يريد الله منا أن نجد الفرح والمسرة في *هذا الدهر فحسب، بل يريدنا أن نبتهج ونجد المسرة إلى الأبد في *الدهر الآتي* أيضاً. ولهذا السبب وضع الأبدية في قلوبنا (3: 11). وعلاوة على ذلك، ففي إنجاز له لكل ما يدوم إلى الأبد، جعلنا الله تنقيته (الآية 14) ودعانا للمشاركة في عمله. وهذا العمل الإلهي يتمثل تحديداً في وصية يسوع المزدوجة وفي إعلان إنجيله. لذا، وبقيادة الروح القدس، يجب علينا أن نحب الرب إلهنا من كل القلب والنفوس والقدرة والفكر، وأن نحب قريبنا كنفسنا (لوقا 10: 27). وعلينا أن نحب الله وقريبنا بنفس المحبة التي يكنّها الله لنا أزلياً. وعندما نفعل ذلك، يفيض فرح الله في قلوبنا؛ ومن ثم، ينبغي أن نجد المسرة والفرح في طاعة وصية يسوع المزدوجة. كما يجب علينا أن نعلن إنجيل يسوع (مرقس 16: 15). وبقلب يسوع المسيح (فيلبي 1: 8)، علينا أن نشترك بشري يسوع المسيح السارة مع النفوس التي تهلك دون أن تعرفه. ومن خلال المشاركة المتواضعة -بإيمان- في عمل الله لخلاص تلك النفوس الضائعة، نجعل فرح الله فرحاً لنا ونتذوق فرح ملكوت السماوات (لوقا 15: 7، 10، 24).

علينا أن نجد الفرح بطريقة متوازنة. علينا أن نقبل بتواضع ونستمتع بالعطايا التي يمنحنا إياها الله في هذا العالم؛ فينبغي لنا أن نجد المسرة في المأكول والمشرب وفي عملنا، وأن نستمتع بحياتنا القصيرة. وفي الوقت ذاته، يجب علينا أن نقبل بتواضع ونتمتع تماماً بالعطايا التي يهبها الله في العالم الآتي. لقد أودع الله فينا توقاً إلى الأبدية، وأتاح لنا المشاركة في أعماله الأبدية؛ لذا ينبغي لنا أن نبتهج بطاعة وصية يسوع المزدوجة وبالأمر القاضي بإعلان إنجيله. وحين نفعل ذلك، سنفرح إلى الأبد، ليس في هذا العالم فحسب، بل في العالم الآتي أيضاً.

كل ما يفعله الله يدوم إلى الأبد.

كل ما يفعله الله يبقى إلى الأبد؛ لا يمكن إضافة شيء إليه، ولا يمكن أخذ شيء منه. يفعل الله ذلك لكي يتقيه"
الناس." (سفر الجامعة 3: 14)

أيُّ ربح في كل التعب الذي نكدح فيه طوال حياتنا على الأرض؟ (سفر الجامعة 1: 3) وما نفع الملذات التي نتمتع بها في هذا العالم؟
وأيُّ مكسبٍ نجنيه من كل العمل وسعي قلوبنا في هذا العالم؟ (2: 22) وأيُّ فائدة نجنيها من تعبنا؟ (3: 9) (2: 2)

يقول الملك سليمان، "الجامعة": "كل أيامه عمله حزن وألم؛ حتى في الليل لا يرتاح عقله. هذا أيضاً باطل." كم هو عبثي أن يكدح
ثم لا يجني شيئاً من ذلك التعب (5: 15) ولا يجد سوى الحزن؛—دون أن يجد عقله راحة حتى في الليل—المرء ويقلق طوال حياته
ولا سيما أننا لا نستطيع أن نأخذ معنا أي شيء اكتسبناه (5: 15). فكيف إذن ينبغي أن نعيش؟ ومن أجل ماذا ينبغي أن
نكدح؟

اليوم، تخبرنا الآية 14 من الإصحاح الثالث في سفر الجامعة: "كل ما يفعله الله يبقى إلى الأبد". فما هي بالضبط "أعمال" الله هذه
التي تدوم إلى الأبد؟ بالطبع، لا يمكننا استيعاب عمل الله بالكامل من البداية إلى النهاية (الآية 11). ومع ذلك، ووفقاً لما أعلنه الله من
خلال الأسفار المقدسة، فإن العمل الذي يقوم به هو بالتحديد عمل "الخلاص الأبدي" الذي يقدمه الرب (إشعياء 45: 17). هنا، يشير
، عمل الرب للخلاص الأبدي إلى خطته لمنح الحياة الأبدية (1 يوحنا 2: 25) لشعبه -الذين أحبهم محبة أبدية (إرميا 31: 3)
واختارهم في المسيح قبل تأسيس العالم، وعيّنهم مسبقاً للخلاص وفقاً لمسيرة مشيئته (أفسس 1: 4-5)- وإدخالهم إلى الملكوت الأبدي
للمخلص يسوع المسيح (مز مور 145: 13؛ 2 بطرس 1: 11)، مانحاً إياهم بذلك مجداً أبدياً يفوق كل شيء آخر (2 كورنثوس 4
: باختصار، تهدف كل أعمال الله الباقية إلى تمكيننا من "نيل الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي" (2 تيموثاوس 2: 17).
ولتحقيق ذلك، بذل الله ابنه الوحيد، يسوع، على الصليب؛ وبذلك، أنقذنا من "الغضب الأبدي" (ملاخي 4: 1) و"عقاب النار". (10
الأبدية" (يهوذا 1: 7)، مرشداً إيانا بدلاً من ذلك إلى "بيتنا الأبدي في السماوات" (2 كورنثوس 5: 1) -وهو مكان لمجد الله الأبدي
(بطرس 5: 10).

أيها الأحباء، لقد وضع الله فينا توقاً إلى الأبدية (الجامعة 3: 11). لذا، ينبغي لنا أن نتوق إلى ما هو أبدي. يجب أن نتوق إلى ملكوت الرب الأبدي، الذي يملك عليه إلى الأبد (مزمور 145: 13). ورغم أننا قد نعاني من ضيقات عابرة أثناء عيشنا على هذه الأرض إلا أنه يجب علينا أن نشارك بتواضع في عمل الله للخلاص الأبدي بقلب ممتن لنعمة الخلاص - التي منحنا إياها إله كل نعمة، الذي دعانا في المسيح لنشارك في مجده الأبدي (1 بطرس 5: 10). وتحقيقاً لهذه الغاية، يجب علينا أن نتقي الله (الجامعة 3: 14) ونطيع دعوته (1 كورنثوس 7: 22؛ رومية 1: 6؛ رؤيا 17: 14). وبصفتنا خداماً للمسيح، يجب علينا أن نعلن "الإنجيل الأبدي" ليسوع المسيح (رؤيا 14: 6). أصلي لكي نشارك جميعاً — سواء أكلنا أو شربنا أو فعلنا أي شيء آخر — في عمل الله لخلاص النفوس. وذلك بإعلان الإنجيل الأبدي للرب يسوع المسيح لمجد الله (1 كورنثوس 10: 31؛ فيلبي 1: 5، 7).

الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (3)

[تأمل في سفر الجامعة 3: 14-22]

خلال اجتماع القادة يوم الأحد الماضي، تناوبنا على استعراض العام المنصرم ومشاركة لمحات موجزة عن النعمة التي أغدقها الله علينا. وعلى الصعيد الشخصي، وبينما كنت أتأمل في أحداث العام، كتبت رسائل أرفقتها ببطاقات التهنية بعيد الميلاد التي أرسلتها وقد وردت في تلك الرسائل عبارة تقول: "بفضل نعمة الله، استطعت أن أبتسم طوال هذا العام. لقد مررت بلحظات من الكآبة وأوقات من البكاء وفترات من الألم والمعاناة، لكن الله منحني في النهاية الفرح والضحك. إن هذا حقاً شهادة على محبته العظيمة ونعمته. إنني قادر على تقديم الشكر والتسبيح لله الذي منحني نعمة العثور على العون في كل مرحلة من مراحل العام الماضي. فإلهنا هو حقاً". "من" يجعل كل شيء جميلاً في وقته.

على مدى الأسبوعين الماضيين، وخلال اجتماعات الصلاة التي نعقدها أيام الأربعاء، كنا نتأمل في موضوع "الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته"، مع التركيز على سفر الجامعة 3: 1-14. وقد استعرضنا نقطتين رئيسيتين: الأولى، أن الله يجعل كل شيء جميلاً في وقته لأنه يُتِمُّ كل غاية؛ والثانية، أنه يجعل كل شيء جميلاً في وقته من خلال زرع الحنين إلى الأبدية في داخلنا. واليوم وبينما نركز على سفر الجامعة 3: 14-22، أرغب في أن أقبل بتواضع النعمة التي يقدمها الله لنا ونحن نتأمل في عنوان "الله الذي يجعل كل شيء جميلاً في وقته (3)"، وننظر في التوقيت والكيفية التي يحقق بها هذا الجمال.

ثالثاً، الله هو الذي يجعل كل شيء جميلاً؛ فحتى عندما تصدر أحكام جائزة في المحاكم الأرضية، يظل هو ماضياً في تنفيذ غايته ومشيبته. انظروا إلى نص اليوم في سفر الجامعة 3: 16: "وَرَأَيْتُ أَيْضاً تَحْتَ الشَّمْسِ: مَوْضِعَ الْحُكْمِ هُنَاكَ الظُّلْمُ، وَمَوْضِعَ الْعَدْلِ هُنَاكَ الْجَوْرُ". لقد شهد الملك سليمان -ذلك الرجل الحكيم- أمراً ما في هذا العالم، أي "تحت الشمس"؛ إذ لاحظ أن القضاة في المحاكم الدنيوية عجزوا عن التمييز بإنصاف بين البار والشرير (بارك يون-سون). كم من الظلم يُرتكب في محاكم العالم، سواء في زمن، حيث يقبل القضاة، الذين يُفترض بهم إقامة العدل، الرشوى ويصدرون أحكاماً جائزة—سليمان أو في يومنا هذا؟ في هذه المحاكم ألا نرى الظلم بدلاً من العدل، والباطل—وحيث يمكن للأثرياء توكيل محامين بارزين لضمان البراءة حتى بعد ارتكاب جرائم كالقتل بدلاً من الحق؟ ونتيجة لذلك، قد يعاني المؤمنون؛ وهذا بالضبط ما اختبره لوط في مدينتي سدوم وعمورة. فبينما كان يعيش وسط

في سدوم وعمورة، كان لوط البار يتعذب في نفسه يوماً بعد يوم وهو يرى ويسمع أعمالهم—أي الأشرار—الخارجين عن القانون وتحديداً عند صدور أحكام—المخالفة للشريعة (2 بطرس 2: 6-8). ومع ذلك، يعلن الملك سليمان أنه حتى في خضم هذا الظلم يُظهر الله الجمال وهو يُنمّ مقاصده ومشيبته (الجامعة 3: 14-22). كيف يُظهر الله هذا الجمال؟ يشير الكتاب المقدس—جائزة إلى طريقة أو اثنتين:

أولاً، يخبرنا الكتاب المقدس أنه عندما تُنفذ أحكام جائزة في هذا العالم، فإن الله يجعل كل شيء جميلاً من خلال دينونة الأبرار (1) والأشرار في الحياة الآتية. انظر إلى نص اليوم، الجامعة 3: 17: "قُلْتُ فِي قَلْبِي: اللهُ يَدِينُ الصِّدِّيقَ وَالشَّرِيرَ، لَأَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ وَلِكُلِّ عَمَلٍ وَقْتاً". لقد آمن الملك سليمان في قلبه بحقيقة أن الله سيُجري الدينونة بالتأكيد. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الدينونة لا تشير إلى تدخل الله لإقامة العدل في الحياة الحاضرة، بل إلى دينونة الله للجميع في الحياة الآتية (بارك يون-صن). ولهذا السبب قال في الجامعة: "الله يُخْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدِّينُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ: إِنْ كَانَ خَيْراً أَوْ شَرّاً". وفي النهاية، الحقيقة هي أن الله سيدين جميع: 14: 12 في الحياة الأبدية. ولكن، أين تكمن المشكلة؟ تكمن في أن الكثيرين يعيشون في—سواء كان خيراً أو شراً—أعمالنا وكل فعل خفي، هذا العالم دون إدراك لدينونة الله هذه. وحتى نحن المسيحيين الذين نؤمن ببسوع، غالباً ما نفكر إلى الوعي بدينونة الله. وبالطبع، تختلف دينونة غير المؤمنين عن دينونة المؤمنين. سيواجه غير المؤمنين، الذين لم تُكتب أسماؤهم في "سفر الحياة" الخاص بالله الدينونة الأخيرة التي ستفضي إلى طرحهم في بحيرة النار (وهو مكان للعقاب الأبدية يُعرف عادةً بالجحيم)، في حين أننا - نحن المؤمنين - سننال مكافآت بحسب أعمالنا. ولذلك، يقدم الملك سليمان هذه النصيحة للشباب: "افرح أيها الشاب في حداثتك، وليُسِرَّ قلبك في أيام شبابك، واسلك في طرق قلبك ومرأى عينيك؛ ولكن اعلم أن الله سيُحاكمك على كل هذه الأمور" (سفر الجامعة 11: 9) إنه يحذر الشباب من اتباع شهوات قلوبهم وما تراه أعينهم في فترة شبابهم. فكيف يوجه هذا التحذير؟ يحذر الملك سليمان الشباب بأن الله سيُجري الدينونة بعد الموت؛ ففي تلك الدينونة الأخيرة، سنُحاسَب على جميع أعمالنا.

وبما أننا ملزمون بتقديم حسابٍ عن كل أعمالنا، فما هو الموقف الذي ينبغي أن نتخذه تجاه دينونة الله الأخيرة هذه؟ علينا - مثل الملك سليمان - أن نقول في قلوبنا: "الله سيدين الصديق والشرير، لأن لكل أمرٍ ولكل عملٍ وقتاً" (3: 17). فلكل شيء تحت السماء وقتٌ محدد، ولكل غايةٍ وقتٌ معين (الآية 1). ومن بين تلك الأوقات المحددة، هناك بالتأكيد وقتٌ للدينونة (الآية 17). يجب أن نؤمن بأنه حتى في وقت الدينونة ذاك، يجعل الله كل شيء جميلاً وهو يُجري مشيئته السيادية. وعلينا أن ننظر إلى المظالم التي تحدث في المحاكم الأرضية من منظور الله؛ أي يجب أن نؤمن بأن الله سيدين الجميع بالعدل. وحتى لو عانينا من الظلم في هذا العالم، فيجب علينا الصبر والثبات مع تطلعنا إلى دينونة الله العادلة. وعلاوة على ذلك، يجب علينا أن نتقي الله (الآية 14). ولأننا نتقي الله، يجب علينا أن نطيع وصاياه - أي كلمته. وفي طاعتنا هذه، يجب أن نتصرف ونحزن ندرك أن الله سيكافئنا على جميع أعمالنا؛ وانطلاقاً من مهابتنا لله، يجب أن نعيش حياة بارّة.

ثانياً وأخيراً، يجعل الله كل شيء جميلاً بأن يضعنا في حالة من التواضع حين يُنفذ القضاء على ظلم العالم (2)

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 3: 18: "قُلْتُ فِي قَلْبِي مِنْ جِهَةِ أُمُور بَنِي الْبَشَرِ: إِنَّ اللَّهَ يَمْنَحُهُمْ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُمْ كَالْبَهَائِمِ". يوضح الملك سليمان أنه في حين قد نعاني نحن المؤمنين بسبب أحكام جائرة في هذا العالم (الآية 16)، فإن الله يستخدم حتى الأحكام الجائرة التي يصدرها الأشرار ليمتحننا. وهنا، فإن القول بأن الله "يمتحننا" يعني أنه يضعنا في حالة من التواضع من خلال التجارب (وفقاً لـ بارك يون-سون). لماذا يضع الله القديسين في حالة من التواضع من خلال التجارب؟ وما هو الغرض من ذلك؟ يشرح الدكتور بارك يون-سون الغرض من هذه التجارب قائلاً: "الغرض من التجربة هو جعل الناس يدركون أنهم -من حيث الموت الجسدي الناجم عن الظلم- لا يختلفون عن الحيوانات، وبالتالي منعهم من عيش حياة تتمحور حول الجسد". وفي النهاية، فإن الغرض من التجارب هو إخضاعنا للتواضع كي لا نعيش وفقاً للجسد. وهكذا، يتحدث الملك سليمان في سفر الجامعة 3: 19-20 قائلاً: "لأنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهَائِمِ، وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمَا: مَوْتُ هَذَا كَمَوْتُ ذَاكَ، وَتَسْمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْجَمِيعِ. فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ، لِأَنَّ كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ: كَانَا مِنَ التُّرَابِ، وَكِلَاهُمَا يَرْجَعَانِ إِلَى التُّرَابِ". ومغزى كلامه هنا هو أنه بما أن كلاً من البشر والحيوانات يموتون في النهاية، فإن عيش حياة تتمحور حول الجسد هو أمر عبثي. أحياناً، عندما نرى قاتلاً ارتكب جريمة مروعة على التلفاز أو في الأخبار عبر الإنترنت، قد نقول: "ذلك الشخص أسوأ من الوحش". منذ فترة وجيزة، اطلعت على قصة رجل اغتصب وقتل امرأة كورية كانت حاملاً بتوأم، وتساءلت: "كيف يمكن لأي شخص أن يكون بهذه القسوة؟" لقد حاول شخص في الستينيات من عمره التدخل عندما شهد الاعتداء لكنه فشل؛ ورغم اتصاله بخدمات الطوارئ، إلا أن المرأة وأطفالها الذين "لم يولدوا بعد لقوا حتفهم في النهاية. ومع ذلك، هل تعلم أن آساف، كاتب المزامير، وصف نفسه أيضاً قائلاً: "كُنْتُ... كَبْهِيمَةٍ عِنْدَكَ (مزمور 73: 22)؟ هل ارتكب آساف جريمة قتل وحشية؟ لا، لم يفعل ذلك. إذن، لماذا وصف نفسه بالبهيمة؟ لقد تمثلت خطيئته في حسد الأشرار على ازدهارهم. ولكن، هل يُعد حسد ازدهار الأشرار حقاً فعلاً يشبه تصرفات البهائم؟ إن الدرس الذي ينبغي أن نستخلصه هنا -في ضوء نص اليوم المأخوذ من سفر الجامعة 3: 19-20- هو أن الحياة التي تتمحور حول الجسد لا تختلف عن حياة البهيمة. ويصف الملك سليمان مثل هذه الحياة بأنها حياة "عبثية" أو "عديمة المعنى". وكما تأملنا سابقاً في سفر الجامعة 3: 11 فقد تعلمنا أن الله قد وضع في قلوبنا توقاً إلى الأبدية. ولذلك، يجب علينا أن نسعى وراء الأمور الأبدية؛ وألا نعيش أبداً حياة عبثية تشبه حياة البهائم من خلال السعي فقط وراء أمور الجسد.

علينا أن نصغي إلى الرسالة التي يقدمها لنا الملك سليمان: "فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ خَيْرٍ مِنْ أَنْ يَفْرَحَ الْإِنْسَانُ بِأَعْمَالِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ نَصِيبُهُ. لِأَنَّهُ مَنْ يَأْتِي بِهِ لِيَرَى مَا يَكُونُ بَعْدَهُ؟" (الآية 22). ماذا يعني هذا؟ الرسالة هنا هي أنه بينما نعيش على هذه الأرض، لا يوجد شيء أفضل من إيجاد الفرح في عملنا والبقاء مخلصين له - وتحديداً، العمل الأبدي للرب. فهذا هو النصيب المخصص لنا ولماذا هذا الأمر؟ كما ورد في الجزء الأخير من الآية 22، بمجرد أن يموت الإنسان، لا يمكنه العودة إلى هذا العالم. وبما أننا نعيش مرة واحدة فقط، فلا يجب أن نضيع حياتنا في شؤون الجسد فحسب. ونظراً لأن مصير النفس البشرية يختلف عن مصير البهائم (الآية 21)، فكيف يمكننا أن نعيش ونموت مثل الحيوانات بينما نركز فقط على الأمور الدنيوية؟

خلال خدمة الصلاة في الصباح الباكر يوم أمس، وبينما كنا نتأمل في رسالة تسالونيكي الثانية 3: 3، توقفنا عند تحريض الرسول بولس: فإدراكاً منه لقصر الوقت المتبقي قبل المجيء الثاني ليسوع، يسعى الشيطان لتجربة المؤمنين وإسقاطهم؛ ولذلك، يجب علينا يعصون الإنجيل ويرتكبون — أن نثبت في الإيمان. إن الخارجين عن القانون — أولئك الذين لا يحبون الحق بل يؤمنون بالأباطيل أعمال الظلم في هذا العالم. وحتى عندما نواجه، نحن المؤمنين، معاملةً مجحفة أو أحكاماً ظالمة في المحاكم الأرضية، يجب أن نثق، بأن الله يجعل كل شيء حسناً في حينه. وكيف يجعل الأمور حسنة؟ إنه يفعل ذلك بتعزيز إيماننا بحكم الرب العادل في الحياة الآتية وباستخدام هذه المحن لزرع التواضع فينا. وعلاوة على ذلك، فهو يجعل كل شيء حسناً بأن يصرفنا عن أمور الجسد ويوجهنا نحو مما يتيح لنا التمتع بالنصيب الحقيقي المخصص للبشرية. أصلي أن يجعل الله، الذي يُحسِّن كل — العمل الروحي — أي عمل الرب شيء في حينه، حياة كل واحد منكم تزداد جمالاً.

"لا يوجد معزٍ"

[سفر الجامعة 4: 1-3]

وقعت حادثتان بعد أن عقدتُ اجتماع صلاةٍ ختامياً مع قادة الكنيسة في 3 يناير/كانون الثاني، وهو الأحد الأول من العام الجديد، تمثلت الحادثة الأولى في محاولة أحد شمامسة الكنيسة الانتحار بتناول جرعة زائدة من الحبوب المنومة. وفي ظهيرة ذلك الأحد، ذهبت زوجتي بصحبة أحد الشيوخ وأختين لتقديم المساعدة. وعندما زارت زوجتي شقة الشماس في اليوم التالي، علمت أنه قد نُقل بالفعل إلى المستشفى بواسطة سيارة إسعاف وأنه يقيم الآن في دار للرعاية. أما الحادثة الثانية، فكانت تلقي خبر غرق طالب جامعي كان ينتمي للكنيسة التي خدمتُ فيها في كوريا- أثناء مشاركته في رحلة إرسالية. لقد تذكرت رؤيته في خدمة اللغة الإنجليزية حين- كان في المرحلة المتوسطة -وهي الفترة التي خدمتُ فيها أيضاً إلى جانب والدته في خدمة اللغة الإنجليزية- ولذا كان سماع خبر غرقه أثناء رحلة إرسالية بمثابة صدمة عميقة. وإذ كنتُ مضطرباً للغاية ومتسائلاً عن كيفية تعزية والديه، كتبتُ رسالةً مفعمَةً بالمشاعر الصادقة والاهتمام القلبي، ورفعتُ صلاةً إلى الله. صرختُ قائلاً: "يا أبأ، يا أبناه"، وتوسلتُ إلى الله أن يعزِّي بنفسه والدي الشاب وأخته وأصدقاءه وعائلته في الكنيسة.

حقاً، إن هذا العالم مليء بالحزن والمشقة والخطية والموت. ومع بداية العام الجديد، نرى إخوةً وأخواتٍ أحباءً يقاسون أشكالاً شتى من الألم والمعاناة. فكيف يمكننا إذن أن نُعزِّي هؤلاء الأحباء تعزيةً حقيقيةً في محنتهم؟ على الصعيد الشخصي، كلما فكرتُ في كلمة تعزية"، أتذكر أصدقاء أيوب المذكورين في سفر أيوب (16: 2) وبرنابا المذكور في سفر أعمال الرسل (4: 16). ففي سفر أيوب" يصف أيوب الأصدقاء الذين جاؤوا لتعزيته بأنهم "معزّون متعبون"؛ أي معزّون تسببوا له في الواقع بمزيد من الضيق، (2: 16) وفي المقابل، يصف سفر أعمال الرسل (4: 16) برنابا بأنه "ابن التشجيع". وبينما كان أصدقاء أيوب مصدرأ للإزعاج والقلق بدلاً من التعزية أثناء معاناته، كان برنابا -وهو شخصية بارزة في الكنيسة الأولى- معزياً حقيقياً. ونتيجة لذلك، عندما أصلي من أجل نفسي، غالباً ما أقول: "ليتني أصبح معزياً ومبشراً متقدماً بالمحبة". ومع ذلك، غالباً ما أجد صعوبة في معرفة كيفية مواساة الإخوة والأخوات الأعزاء من حولي الذين يواجهون الشدائد والألم. ورغم توقي الشديد لمواساتهم بمحبة الرب، إلا أنني أجد نفسي في أوقات كثيرة عاجزاً تماماً عن معرفة ما ينبغي فعله.

للقس روبرت ستراند على 101 قصة حول مواساة (The Spirituality of Comfort) "يحتوي كتاب "روحانية المواساة النفوس الجريحة. وفي المقدمة، يوضح الأب هنري نووين أن كلمة "مواساة" تعني في جوهرها "التواجد مع" الشخص الوحيد؛ ويشير إلى أن المواساة لا تعني إزالة الألم، بل تقتصر ببساطة على الحضور مع الآخر. ويصف نووين فعل الحضور هذا بأنه رعاية للروح؛ فالبكاء معاً، وتحمل الشدائد سوياً، ومشاركة المشاعر... كلها أمور تجعل الرعاية الحقيقية متجذرة في التعاطف" وفي هذا الصدد، قال الأب هنري نووين: "غالباً ما يدفعنا حزننا للرقص، ويخلق رقصنا مساحة لحزننا. ففي الدموع التي نذرفها على فقدان صديق عزيز، قد نكتشف فرحاً غير متوقع؛ وعلى العكس من ذلك، قد نشعر بحزن عميق وسط احتفال بالنجاح. وكما أن وجه المهرج -الذي يجعلنا نضحك ونبكي في آن واحد- قد يبدو حزيناً ومبتهجاً في آن معاً، كذلك فإن الحزن والرقص، والأسى والضحك، والحداد والفرح، كلها أمور مترابطة ومتلازمة. إن جمال الحياة يكمن تحديداً في تلك النقطة التي يلتقي فيها الحداد بالرقص" (ستراند). وماذا عنا نحن؟ هل نعيش حياتنا ونحن نرى هذا الجمال حيث تتقاطع لحظات الحداد والرقص؟

يصف الملك سليمان -المُعَلِّم في نص اليوم المأخوذ من سفر الجامعة 4: 1-3- ما شاهده قائلاً: "ثُمَّ غُدْتُ وَرَأَيْتُ كُلَّ الْمَظَالِمِ الَّتِي تُجْرَى تَحْتَ الشَّمْسِ: هُوَذَا دُمُوعُ الْمَظْلُومِينَ وَلَا مُعَزِّي لَهُمْ، وَفِي يَدِ ظَالِمِهِمْ قُوَّةٌ وَلَا مُعَزِّي لَهُمْ" (الآية 1). لقد كان ما رآه في هذا العالم هو تسلط الأقوياء على الآخرين؛ إذ رأى ضحايا الظلم، ورأى الدموع التي يذرفها المظلومون. ولكن، أين تكمن المشكلة؟ تكمن في عدم وجود من يواسي هؤلاء المظلومين. وهذا بالضبط ما رآه الملك سليمان: غياب المعزّي للمظلومين. عند تأمله لهذا الوضع، يعلن قائلاً: "فَرَأَيْتُ أَنَّ الْمَوْتَى الَّذِينَ مَاتُوا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ أَكْثَرُ سَعَادَةً مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ؛ وَأَفْضَلُ مِنْهُمَا جَمِيعاً مَنْ لَمْ يُؤَلَدْ بَعْدُ وَلَمْ يَرَ الْأَعْمَالَ الشَّرِّيرَةَ الَّتِي تُقْتَرَفُ تَحْتَ الشَّمْسِ" (الآيتان 2-3). ماذا يعني هذا؟ بالتأكيد، لا يعني ذلك أن الموت أفضل من العيش في ظل الظلم. فالملك سليمان لا يدعو بأي حال من الأحوال إلى الانتحار، ولا يلمح إلى أن إنهاء المرء لحياته أفضل من تحمل الظلم. نحن نعيش اليوم في عالم يبدو أنه يشجع على الانتحار؛ ويمكننا ملاحظة ذلك في وجود مواقع إلكترونية مخصصة لهذا الغرض، بل إن تقارير إخبارية كورية قد تناولت سابقاً حوادث التقى فيها غرباء عبر مثل هذه المواقع للإقدام على الانتحار معاً. وأنا شخصياً أعرف عدداً من الأشخاص الذين أنهوا حياتهم بأيديهم. ومع تزايد المصاعب الاقتصادية وازدياد الحياة إيلاماً، يصارع الكثيرون رغبات انتحارية ويحاولون إنهاء حياتهم الثمينة؛ ونتيجة لذلك، يبدو أن أعداد حالات الانتحار الناجحة في تزايد. قد يسيء الأشخاص الذين يمرون بمثل هذه الظروف العصبية فهم الآية الثانية من الإصحاح الرابع في سفر الجامعة، فيظنون قائلين: "حتى الملك الحكيم سليمان يقول إن الموت أفضل من العيش تحت وطأة الظلم". ومع ذلك، لا ينبغي للمرء أن ينهي حياته لمجرد أن العيش يبدو أمراً لا يُطاق. فالملك سليمان لا يدعو إلى الانتحار في هذا النص، بل إنه يراقب دموع أولئك الذين يتعرضون للظلم على يد الأقوياء في هذا العالم، ويشير إلى أن حياة هؤلاء الضحايا تبدو أسوأ من الموت. بعبارة أخرى لا يقول الملك سليمان في نص اليوم إن الحياة التي يمنحها الله أسوأ من الموت، بل يقرر أن الوجود المؤلم الذي يتسم بظلم جائر هو أسوأ من الموت (بارك يون-سون).

أي نوع من الحياة هو حقاً أسوأ من الموت؟ حين أتأمل هذا السؤال، أتذكر المنشقين عن كوريا الشمالية. لقد صادفت ذات مرة مقالاً على الإنترنت في صحيفة "وول ستريت جورنال" (بتاريخ 1 مايو 2006) يسرد تفاصيل الحياة البائسة للمنشقين في الصين، وذلك قصة امرأة من خلال شهادات نساء دخلن الولايات المتحدة بموجب "قانون حقوق الإنسان في كوريا الشمالية". وقد عرض المقال تبلغ من العمر 36 عاماً استُخدم لها الاسم المستعار "هانا"؛ كانت تعمل معلمة في بيونغ يانغ لكنها بدأت في تجارة الأقمشة لمساعدة أسرته التي كانت تعاني من ضائقة معيشية؛ أثناء زيارتها لبلدة حدودية لشراء بضائع، فقدت وعيها خلال العشاء واستيقظت لتجد نفسها ضحية لعملية اتجار بالبشر نُقلت على إثرها إلى الصين. وهناك، بيعت لرجل صيني انهال عليها بالضرب المبرح حتى كسر عظامها، ووجه إليها إهانات لفظية قائلاً: "إن قتل كورية شمالية مثلك أسهل من قتل دجاجة". وقد شهدت بأنها فكرت حتى في الانتحار، واصفةً تلك التجربة بأنها "عيش في الجحيم". وهناك شهادات لا حصر لها من هذا القبيل أدلى بها منشقون كوريون شماليون. لا يمكنني الادعاء بأنني أدرك تماماً محتهم، لكنني لم أنس أبداً ما قاله لي أحد القساوسة يوماً: "عندما ألتقي بمنشقين". كوريين شماليين، أشعر وكأن سفر الخروج ينبض بالحياة أمامي.

بعمق على المستوى —بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، إلى أي مدى قد يتردد صدى كلمات سفر الجامعة 4: 3 —الواردة في نص اليوم الشخصي؟ تلك الكلمات التي تقول: "خيراً من كليهما [الموتى والأحياء] من لم يولد بعد، ولم يرَ الشر الذي يُصنع تحت الشمس". كم كان سيكون أفضل لو أن هؤلاء المنشقين الكوريين الشماليين لم يولدوا من الأساس؟ إذ لم يكونوا ليضطروا إلى مشاهدة الشر المرتكب في هذا العالم، ولا إلى تحمل ذلك النوع من المعاناة التي تجعل المرء يتمنى الموت. وماذا عنك أنت؟ عندما تنظر إلى حياتك، هل مرت عليك أوقات عشت فيها لمجرد أنك لم تستطع أن تقدم على إنهاء حياتك؟ هل عشت لحظات من الألم المبرح لدرجة أن مجرد التنفس كان يبدو أسوأ من الموت ذاته؛ أوقاتاً غرقت فيها في دموع لا تنتهي؟ ومع ذلك، عندما نعاني لدرجة تمنى الموت، فإن ما يصعب تحمله أكثر من الألم نفسه هو حقيقة عدم وجود من يواسينا (الآية 1). ففي لحظات الشدة والأسى وألم القلب العظيم، ما يزيد عذابنا هو غياب من حولنا ممن يفهمون ألمنا حقاً ويتعاطفون معه ويقدمون لنا مواساة صادقة. ويزداد الأمر إيلاًماً عندما يكون حولنا أشخاص يحبوننا ويحاولون مواساتنا، ومع ذلك لا أحد يمنحنا السكينة الحقيقية؛ أو ربما نكون نحن من يرفض مواساتهم بسبب عمق أسانا. وحين يبدو شر الظالم بلا نهاية، ولا تلوح في الأفق أي بادرة لانتهاة الإساءة والاستبداد، نتوقف عن الحلم. ونكف عن التمسك بالأمل؛ نتخلى عن ذلك الحبل الأخير للنجاة المعروف بالأمل، وهذا يزعج بنا في هذه اليأس؛ فالحياة الخالية من الأمل تؤدي حتماً إلى اليأس. فماذا عسانا نفعل إذن حين نجد أنفسنا في مثل هذا اليأس؟ يمكننا استخلاص ثلاثة دروس من الكتاب المقدس:

أولاً، عندما نكون في أعماق اليأس، يجب أن نخاطب نفوسنا

للدكتور مارتين لويدي جونز. ومما أثر (Spiritual Depression) "من الكتب التي لا تُنسى بالنسبة لي كتاب "الاكتئاب الروحي في بعمق أثناء قراءته تلك الرؤية التي تشير إلى أنه عندما يغمرنا الإحباط أو اليأس، ينبغي علينا أن نخاطب نفوسنا تماماً كما فعل: كاتب المزمور. كيف ينبغي أن نتحدث؟ يشير الدكتور لويدي جونز إلى الكلمات الواردة في المزامير 42: 5 و 11 والمزمور 43: 5

لِمَاذَا أَنْتَ مُنَحْنِيَّةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَنْتَبِهِينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي الله، لِأَنِّي سَأَعُودُ أَحْمَدُهُ: خَلَّصَنِي وَجْهِي وَإِلَهِي". ونتيجة لذلك، كلما شعرت "بالإحباط، أتذكر هذه الآيات وأصلي معلناً لنفسي: "يا جيمس، لماذا أنت منحني؟ لماذا أنت قلق؟ يا جيمس، ضع رجاءك في الله وبينما أفعل ذلك، أجتهد أن أتطلع بقصد وإرادة إلى الرب -مصدر عوني- في الصلاة. وغالباً ما أختبر عون الله حين أقوم بذلك. وأنا أشجعك أن تجرب هذا الأمر أيضاً؛ فعندما يمتلئ قلبك بالإحباط أو اليأس، جرب أن تخاطب نفسك بكلمة الله، تماماً كما فعل كاتب المزمور. وحتى إن لم تستخدم هذه الآيات المحددة من المزامير، يمكنك التمسك بأي من وعود الله التي تعتر بها، معلناً إياها بصوت مسموع أثناء الصلاة. فعندما أواجه صعوبات أثناء خدمتي للكنيسة، أمضي قدماً بالصلاة إلى الله وإعلان الوعد الذي قطعه: "...على هذه الصخرة أبني كنائسي" (متى 16: 18). فאלله سيساعدنا بالتأكيد

ثانياً، يجب أن نتوق إلى يسوع وسط اليأس

عندما نكون في حالة يأس، يجب أن نتوق إلى يسوع؛ يجب أن نرغب فيه بصدق وعمق. وعلى وجه الخصوص، عندما يغمرنا اليأس بسبب المعاناة، يجب أن نتأمل في معاناة يسوع على الصليب. ولماذا ذلك؟ لأن التعزية والشفاء الحقيقيين لا يتحققان إلا عندما نتأمل بهدوء في معاناته، ونربط بذلك ألمانا الخاص بمعاناة يسوع. شخصياً، عندما أشعر بالإحباط، غالباً ما أتذكر كلمات سفر يونا فقلت: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامَ عَيْنَيْكَ! وَلَكِنِّي أَعُودُ أَنْظُرُ إِلَى هَيْكَلِكَ الْمُقَدَّسِ". والسبب في تأملي في سفر يونا هو رغبتني في: 2: 4: الاقتداء بيونا؛ ذلك الخادم للرب الذي -رغم مواجهته لعاصفة من التأديب وغوصه في أعماق اليأس وسط البحر بسبب عصيانه لكلمة الله- صمم على "النظر مجدداً نحو هيكل الرب المقدس" والتوق إليه بصدق. أمل أنك عندما تواجه الإحباط واليأس أيضاً ستستند إلى رسالة يونا وتتطلع إلى الرب "مجدداً". وأمل أن تتمكن من تحويل لحظات الإحباط واليأس إلى فرص للتوق إلى الرب

ثالثاً، يجب أن نضع رجاءنا في يسوع وسط يأسنا

في النهاية، أؤمن بأن اليأس هو ما يقودنا إلى وضع رجائنا في يسوع. فعندما نواجه تجارب متنوعة في هذا العالم تدفعنا نحو اليأس يصبح هذا اليأس بالذات فرصة سانحة للتوق إلى الرب. وعلاوة على ذلك، أعتبر اليأس فرصة يمنحنا إياها الله؛ فهي لحظة تتوارى فيها أمور العالم والذات عن الأنظار، مما يتيح لنا توجيه أنظارنا بالكامل نحو الرب ووضع رجائنا فيه. لذا، ينبغي أن نكون مستعدين لاختبار خيبة أمل عميقة، بل وحتى اليأس، فيما يتعلق بهذا العالم. وعلاوة على ذلك، يجب أن نكون مستعدين للشعور بخيبة أمل تامة واليأس من أنفسنا؛ فالسبب هو أننا -بدون هذا اليأس- نادرًا ما نتوق إلى الله أو نضع رجاءنا فيه. ولهذا السبب، أحب شخصياً المقطع الثالث من الترانيم رقم 488 (التي كانت تحمل الرقم 539 سابقاً) بعنوان "رجائي مبني على": "حين تتداعى كل الأمور من حولي -يظل هو وحده رجائي وسندي". إنني أعتر بهذه الكلمات لأننا -في اللحظة التي تنهار فيها كل الأشياء التي وثقنا بها في هذا العالم- نؤمن حقاً بالرب ونعتمد عليه؛ وعندها يتلاشى اليأس الكامن فينا، ونختبر معجزة الامتلاء بالرجاء فيه. عندما يحدث ذلك، يمكننا أن نقدم هذا التسبيح لله: "(المقطع الأول) يا فرحي ورجائي و... "مع أنني أدعو الرب وأسبحه -وهو حياتي ذاتها- ليلاً ونهاراً، يظل

يراودني شعور دائم بأن ذلك لا يكفي أبداً" (المقطع الخامس)؛ "يا يسوع، الذي أتوق إليه حقاً - ما أجمل صوتك؛ أنت وحدك حياتي ورجائي الحقيقي" [الترنيمة 82، "أنت فرحي ورجائي"، المقطعان 1 و5]

ليمنحك الرب، الذي هو رجاؤنا، تعزيةً. وليعزّك ربنا حين يعجز الآخرون عن ذلك. حتى عندما يكون ألمك عميقاً لدرجة تجعلك ترفض كل تعزية بشرية، أصلي أن يملأ الرب قلبك بالشوق إليه وبالرجاء المعقود عليه. أصلي أن تكتشف جمال الحياة - وتحديدًا جمال المسيحي - عند تلك النقطة التي يلتقي فيها الحزن والفرح. وفي ختام هذه التأملات، أشاركك كلمات كتبتها وأنا أفكر في: غوونسا" (قائدة علمانية مخضمة في الكنيسة) كشفت لي عن الجمال الحقيقي للمسيحي

.أنتِ جميلة"

.أنتِ، التي ترسم البسمة على وجهك حتى وسط الدموع التي تملأ قلبك - أنتِ جميلة

.أنتِ، التي تشكرين الله حتى وابنك الحبيب يرقد في الموت - أنتِ جميلة

.أنتِ، التي تهتمين بعائلة الكنيسة أكثر من اهتمامك ببيتك الخاص - أنتِ جميلة

.أنتِ، التي تقدمين التعزية بدلاً من طلبها - أنتِ جميلة

.أنتِ، التي تجدين سعادتك في العطاء لا في الأخذ - أنتِ جميلة

.أنتِ، التي تحتصنين قلب الله الأب وتكرسين نفسك لخلاص النفوس - أنتِ جميلة" إلى تلك الشماسة المخضمة التي تمجد الله - أنتِ جميلة.

...أرى المسيح فيك

"إن رؤية حضور الله معك تدفعني لأقول: "أنتِ جميلة

مع خالص المحبة، القس جيمس

"السكينة"

[سفر الجامعة 4: 4-6]

كيف حال قلبك في هذه الأيام؟ هل تسكنه السكينة؟ هل سبق لك أن قرأت "صلاة السكينة"؟ تقول كلماتها: "يا الله، امنحنا السكينة لتقبل الأمور التي لا نستطيع تغييرها، والشجاعة لتغيير الأمور التي نستطيع تغييرها، والحكمة لمعرفة الفرق بينهما. آمين." ما رأيك؟ هل سبق لك، على غرار هذه الصلاة، أن طلبت من الله "السكينة لتقبل الأمور التي لا نستطيع تغييرها"؟ لا أعتقد أنني رفعت هذه الصلاة المحددة إلى الله يوماً؛ فبينما صليت طلباً للسلام الذي لا يستطيع العالم أن يمنحه، لا أذكر أنني طلبت السكينة لتقبل الأمور الخارجة عن سيطرتي. بل على العكس، غالباً ما أجد نفسي أحاول تغيير الأمور بجهد ذاتي، عاجزاً عن تقبل واقع ما لا يمكن لأنني لم أستطع أن أخضع—محاولاً عبثاً تغيير أمورٍ أمام الله—تغييره. بعبارة أخرى، مرت عليّ أوقات لا حصر لها عانيت فيها نفسي للاعتراف بالأمور التي لا يمكن تغييرها وتقبلها. ونتيجة لذلك، كثيراً ما وجدت نفسي أتخطئ في الصراعات والقلق ولوم الذات، مفتقراً إلى السلام الداخلي. ومع ذلك، فقد أظهر الله لي رحمته وأرشدني من خلال كلمته؛ إذ قادني لأتقبل بتواضع جوانب وأن أستودعها بين يديه في الصلاة، وأنتظر لمستته. ومن خلال ذلك، منحني—كما كشفها الكتاب المقدس—حياتي التي لا تتغير وأن السكينة في قلبي—ولا يزال يمنحني—الله.

أود أن أشارككم "الوصايا العشر للسكينة" التي صاغها البابا يوحنا بولس الثاني. يبدو أن البابا يوحنا بولس الثاني قد وضع هذه الوصايا وسعى جاهداً للالتزام بها للحفاظ على السلام في قلبه:

1. لهذا اليوم فقط، سأحاول أن أعيش يومي وحسب، دون محاولة حل جميع مشاكل حياتي دفعة واحدة.
2. لهذا اليوم فقط، سأتصرف بعناية فائقة؛ فلن أنتقد أحداً ولن أحاول تصحيح مسار الآخرين، بل سأصّب تركيزي فقط على انتقاد نفسي وتقويمها.
3. لهذا اليوم فقط، سأكون سعيداً وموقناً بأنني خلقتُ للسعادة؛ ليس من أجل الآخرين فحسب، بل من أجل العالم بأسره. 4. لهذا اليوم فقط، سأتكيف مع الظروف بدلاً من محاولة تطويع المواقف أو الأحداث لتلائم رغباتي الخاصة.
5. لهذا اليوم فقط، سأخصص عشر دقائق من وقتي للقراءة؛ فكما يحتاج الجسد إلى الغذاء، تحتاج الروح إلى القراءة النافعة.

6. لهذا اليوم فقط، سأقوم بعملٍ صالحٍ دون أن أخبر أحداً بذلك.
7. لهذا اليوم فقط، سأفعل شيئاً لا علاقة له برغباتي الشخصية. وإذا شعرت بأي استياء، فسأحرص على ألا يلاحظه أحد.
8. لهذا اليوم فقط، سأؤمن إيماناً راسخاً - حتى وإن سارت الأمور عكس إرادتي - بأن العناية الإلهية ترعاني وكأنني الشخص الوحيد في هذا العالم.
9. لهذا اليوم فقط، لن أخاف من شيء. وعلى وجه الخصوص، لن أخشى الاستمتاع بالأشياء الجميلة أو تقدير قيمتها.
10. لهذا اليوم فقط، سأضع جدولاً دقيقاً لمهامي. وحتى إن لم أتمكن من تنفيذه بحذافيره، فسأقوم بإعداده على أية حال. وعلاوة على ذلك، يجب أن نحذر من آفتين: التسرع المفرط والتردد في اتخاذ القرار.

في نص اليوم -سفر الجامعة 4: 4-6- يقدم لنا الملك سليمان، "الجامعة" (أو الواعظ)، ثلاثة دروس حول كيفية الحفاظ على راحة البال.

أولاً: للحفاظ على راحة البال، يجب علينا أن نتخلص من الحسد.

انظر إلى الآية 4 من الإصحاح الرابع: "وَرَأَيْتُ كُلَّ التَّعَبِ وَكُلَّ بَرَاغَةِ الْعَمَلِ أَنَّهَا حَسَدُ الْإِنْسَانِ مِنْ قَرِيبِهِ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ". خلال اجتماع الصلاة يوم الأربعاء الماضي، وبينما كنا نتأمل في الآيات 1-3 من الإصحاح الرابع، توقفنا عند مشهد رؤية الملك سليمان للأقوياء وهم يظلمون الضعفاء والمستضعفين؛ وبعبارة أخرى، رأى المظلومين ودموعهم. أما في نص اليوم، وتحديدًا، في الآية الرابعة، فهو يصف رؤيته لأشخاص يحركهم الحسد وهم يخرطون في أعمالهم الشاقة ومساعدتهم الماهرة. وفي الجوهر ما لاحظته سليمان في هذا العالم هو أناسٌ يكذبون مدفوعين بالحسد وروح المنافسة. وكل هذا عبثٌ لا طائل منه، أشبه بمحاولة القبض على الريح.

إذن، ما هو الحسد؟ يشير هذا المصطلح إلى فعل - أو عقلية - إضرار كراهية أو بغض لا أساس له تجاه شخص في حال أفضل من من (猜) "si" المرء؛ كما ينبع من رفض تقبل الهزيمة والميل إلى تمنى امتلاك ما حققه الآخرون من نجاح. يتكون الرمز الصيني ؛ وهو يصور كلباً يتغير لونه إلى الأزرق (青) "مع الرمز الدال على اللون "الأزرق/الأخضر (犬) "دمج الرمز الدال على "الكلب اختصاراً (忌) "gi" (أو يزرَق وجهه غضباً) ويصدر أزيزاً (زمجرة) لأن كلباً آخر يمتلك طعاماً. وفي الوقت نفسه، يُعد الرمز وتعني "القلب المتمحور حول الذات"، ويشير إلى مشاعر الحسد والكراهية الناشئة عن عقلية تركز (己心) "gi-sim" لعبارة ،فتوحي بـ "النظر بحقد" وتشير إلى حالة ذهنية ترمي "العين الشريرة". وبعبارة أخرى *invidia* على الذات. أما الكلمة اللاتينية الحسد هو شعور بالأسى والاستياء تجاه ما يمتلكه شخص آخر - لا سيما الأشياء التي تفوق ما يمتلكه المرء - ويصاحبه رغبة في انتزاع تلك الأشياء. يذكر الكتاب المقدس في سفر صموئيل الأول (9: 18) أن الملك شاول كان يراقب داود عن كثب. وتحديدًا، بعد

أن هزم داود جليات وخرجت النساء يرقصن ويغنين: "ضرب شاول ألوفه، وداود ربواته" (الآية 7)، بدأ الملك شاول ينظر إلى داود بعين الحسد" منذ ذلك اليوم فصاعداً؛ ونتيجة لذلك، سعى لقتل داود. ومؤخراً، وأثناء قراءة سفر التكوين في اجتماعات الصلاة الصباحية، لاحظنا حالات من الحسد بين شخصيات الكتاب المقدس. فعلى سبيل المثال، يصور سفر التكوين (30: 1) راحيل زوجة يعقوب - التي كانت عاقراً - وهي تحسد أختها الكبرى ليئة التي كانت تنجب أطفالاً؛ إذ ألحّت راحيل على زوجها يعقوب قائلة: "هب لي بنين، وإلا فأنا أموت". وبالإضافة إلى ذلك، يظهر سفر التكوين (37: 11) حسد إخوة يوسف له لأنه كان محبوباً لدى أبيهم يعقوب. وفي النهاية، وتحت وطأة الحسد، وصل الأمر بإخوة يوسف إلى حد التآمر لقتله. يا لها من قوة مرعبة يمثلها الحسد! حتى أساف، كاتب المزامير، حسد يوماً ما ازدهار الأشجار (المزمور 73). من الطبيعي تماماً أن نشعر بالحسد حين نرى الأشرار يعيشون في رغدٍ وفاهية، بينما يقاسي الصالحون الشدائد والمحن. ينشأ الحسد عندما يتحول الإعجاب إلى أسيء وضغينة، ليتطور في النهاية إلى رغبة في امتلاك — أو حتى انتزاع — ما يملكه الأشرار. ولهذا السبب قال الملك سليمان: "القلب الهادئ حياة للجسد، أمّا الحسدُ فَنَحْرُ في العظام" (أمثال 14: 30). فبينما يمنح السلام الداخلي والسكينة الحياة للجسم، يحدث الحسدُ نَحْرًا يتغلغل في أعماق العظام ذاتها. وكما عبّر أحد الرعاة عن ذلك قائلاً: "الكلمات الطيبة والقلب المسرور والسلام الداخلي أمورٌ نافعة للعظام؛ وفي المقابل، فإن الحسد والقلق والغضب أمورٌ ضارة. فالحسد يُنخر العظام، والقلق يُذوّبها، والغضب يُميتها" (مصدر على الإنترنت)

ثمة أمر أتذكره بوضوح تام، وهو حضوري حفل تنصيب رئيس لمعهد لاهوتي، حيث ذكر أحد القساوسة الكبار أنه يشجع "المنافسة الحميدة" بين القساوسة المساعدين له. في ذلك الوقت، انتابني شيء من الحيرة؛ إذ تساءلت كيف يمكن لقس كبير أن يضع مساعديه في مواجهة وتنافس مع بعضهم البعض، وشككت في صواب وصف هذا النوع من التنافس بأنه "منافسة حميدة". غالباً ما يعمل الناس بروح تنافسية، سواء داخل الكنيسة أو خارجها. وحتى في المنزل، قد يعزز الآباء أحياناً هذا النوع من "المنافسة الحميدة" أثناء تربية أبنائهم. هل تعتقد أن "المنافسة الحميدة" أمر صائب؟ استناداً إلى كلمات الملك سليمان في سفر الجامعة 4: 4 — وهو النص أرى أن تبني روح المنافسة تجاه الآخرين ليس أمراً صائباً؛ فالسبب يكمن في أن روح المنافسة تسلبنا في النهاية — الذي نتأمله اليوم. راحة البال. فإذا تعاملنا مع كل الأمور بعقلية تنافسية، فمن المرجح جداً أن تمتلئ قلوبنا بالحسد والقلق والغضب بدلاً من السلام. ولهذا السبب، يعلن الملك سليمان في سفر الجامعة 4: 4 أن الكدح المدفوع بالرغبة في منافسة القريب هو أمر عبثي. لذا، علينا أن نتخلص من روح المنافسة والحسد التي تسلبنا سلامنا الداخلي، وألا نواصل الانخراط في ذلك الكدح العبثي النابع من الطمع والرغبة في منافسة جيراننا. أمل أن نتخلّى -أنا وأنت- عن الحسد وأن نحافظ على السلام في قلوبنا.

ثانياً، للحفاظ على راحة البال، يجب علينا أن نعمل بجد واجتهاد

-انظر إلى سفر الجامعة 4: 5: "الْجَاهِلُ يَأْكُلُ لَحْمَهُ وَهُوَ طَاوِي الْيَدَيْنِ". يذكر الملك سليمان أن "الجاهل" -أي الشخص عديم الحكمة يطوي يديه". فماذا يعني "طي اليدين" في هذا السياق؟ إنه يعني أن الجاهل يرفض العمل. يقول الكتاب المقدس: "شَهْوَةُ الْكَسْلَانِ تَقْتُلُهُ، لِأَنَّ يَدَيْهِ تَأْبِيَانِ الشُّعْلَ" (أمثال 21: 25). فالشخص الكسول الذي يرفض العمل بيديه هو شخص جاهل (جامعة 4: 5). وقد

ذكرني التأمل في هذا النص بآية من رسالة تسالونيكي الثانية 3: 10 -وهي آية ربما تكون مألوفة لديك:- "...إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغَلَ فَلَا يَأْكُلْ أَيْضاً..." في جماعة تسالونيكي إبان عهد الرسول بولس، كان هناك إخوة يرفضون العمل. لم تكن المشكلة تقتصر على كونهم كسالى فحسب، بل كانوا يتصرفون أيضاً بطريقة غير منضبطة داخل الكنيسة، مسببين المتاعب بدلاً من القيام بعمل مثمر (الآية 11). لماذا رفضوا العمل واكتفوا بإثارة المشاكل في الكنيسة؟ بعبارة أخرى، لماذا اتسموا بكسلٍ أحمق، ممتنعين عن العمل بأيديهم؟ كان السبب يكمن في نظرهم الخاطئة للأمور الأخروية (المتعلقة بالمجيء الثاني). لقد توقف أولئك المؤمنون في كنيسة تسالونيكي عن العمل لأنهم تبنوا فهماً مشوهاً للمجيء الثاني ليسوع. ويشبه هذا ما فعلته جماعة "شهود يهوه" -الذين توقفوا، عن كافة الأنشطة الأخرى استعداداً للحدث بناءً على نبوءة مؤسسهم "تشارلز تيز راسل" بأن يسوع سيعود عام 1874-؛ وبالمثل، توقف بعض المؤمنين في تسالونيكي عن العمل بسبب فهمهم الخاطئ لعودة المسيح. وبغض النظر عن هذا الفهم الأخروي الخاطئ، ما هي الأسباب الأخرى التي تدفعنا نحن المسيحيين إلى التوقف عن العمل والانغماس في الكسل والخمول؟

:أيها الأصدقاء، ما هي سمات الشخص الكسول؟ إحدى هذه السمات هي الميل إلى اختلاق الأعذار. انظروا إلى سفر الأمثال 26 يقول الكسول: 'يوجد أسد في الطريق! أسد في الشوارع!'. يمثل الطريق والشارع الأماكن التي يمارس فيها الناس أعمالهم؛ 13: ولو وُجد أسد هناك، لما أمكن للمرء الذهاب إلى ذلك المكان. يوضح هذا نوع العذر الذي يختلقه الشخص عندما يشعر بالخوف أو يفتر إلى الثقة للقيام بمهمة ما. ومن سمات الكسول الأخرى حبه للنوم. انظروا إلى سفر الأمثال 26: 14: "كما يدور الباب على مفصلات، كذلك يتقلب الكسول على فراشه". وهذا يعني أن الكسول يلزم مكان نومه؛ وبعبارة أخرى، هو يحب التقلب في الفراش والنوم. وإلى جانب هذه الآيات، يتحدث سفر الأمثال باستفاضة عن الكسل: "إلى متى تظل مستلقياً أيها الكسول؟ متى تنهض من نومك؟ قليل من النوم، قليل من النعاس، قليل من ضم اليدين للاستراحة... فيأتيك الفقر كلص، والعوز كرجل مسلح" (أمثال 6: 9-11). "يُدُّ الرَّخْوَةُ تُصَيِّرُ فَقِيرًا، أَمَّا يَدُ الْمُجْتَهِدِينَ فَتُعْزِي" (أمثال 10: 4)؛ "نَفْسُ الْكَسَلَانِ تَشْتَهِي وَلَا شَيْءَ لَهَا، أَمَّا نَفْسُ الْمُجْتَهِدِينَ" (11: 11). "فَتُسَمَّنُ" (أمثال 13: 4)؛ "الْكَسْلُ يُوقِعُ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ، وَالنَّفْسُ الْمُتَرَاخِيَةُ تَجُوعُ" (أمثال 19: 15). وفي نص اليوم، سفر الجامعة 4: 5، يقول الملك سليمان: "الْجَاهِلُ يَأْكُلُ لَحْمَهُ وَهُوَ طَائِي أَلْيَدَيْنِ". وهذا يعني أن الشخص الجاهل، بسبب كسله، لا يكسب دخلاً بل يتسبب في هلاك نفسه (بارك يون-صن). ولذا يقول: "بِالْكَسْلِ الْكَثِيرِ يَهْبِطُ السَّقْفُ، وَبِتَدَلِّي أَلْيَدَيْنِ يَكْفُ الثَّيْتُ" (10: 18) يشير هذا النص إلى أن نمط الحياة المستهتر للحكام الكسالى يؤدي إلى سقوط الأمة. وفي المقابل، يصبح الشخص المجتهد غنياً (أمثال 10: 4). وبعبارة أخرى، يعتمد ازدهار الإنسان على الاجتهاد (12: 27). يعلم الكتاب المقدس أن المجتهدين لا يصبحون أغنياء فحسب (10: 4)، بل يسودون أيضاً على الآخرين (12: 24)، ويجدون الرضا القلبي (13: 4)، وينالون كمال الرجاء (عبرانيين 6: 11). يسكن السلام قلب المجتهد، بينما لا يحمل قلب الكسول سوى القلق والهموم والأعذار والاستياء والشكوى.

ثالثاً، للحفاظ على سلام القلب، يجب أن نكتفي بالله وحده.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 4: 6: "حَفَنَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الرَّاحَةِ خَيْرٌ مِنْ حَفَنَتَيْنِ مِنَ النَّعْبِ وَمُحَاوَلَةٌ الْقَبْضِ عَلَى الرِّيحِ". وهذا يعني أنه من الأفضل امتلاك حفنة واحدة مع التمتع بسلام القلب، بدلاً من امتلاك حفتين مع الكدح في مساعٍ عقيمة. بعبارة أخرى كمية الممتلكات ليست بأهمية امتلاك سلام القلب. تكمن المشكلة في أننا عندما نسعى وراء الوفرة المادية أو الممتلكات، غالباً ما نجد أنفسنا نعمل بدافع الطمع، وننافس جيراننا ونحسداهم؛ ونتيجة لذلك، نفقد سلامنا الداخلي حتماً. وثمة خطر أعظم يكمن في أننا، وإلى جانب فقدان هذا السلام، قد نجد الاكتفاء في الثروة المادية بدلاً من الله. فمدفوعين بالرغبة في الحفاظ على ذلك الاكتفاء، يزداد جشعنا؛ وكلما تملكنا الجشع، امتلأت قلوبنا بالتوتر والقلق والهموم بدلاً من السلام. وحين تصل قلوبنا إلى هذه الحالة، تُحجب كلمة الله، مما يجعلنا عاجزين عن عيش حياة مثمرة (متى 13: 22). ولهذا السبب يعلن صاحب المزمور: "القليل الذي للصدِّيق خَيْرٌ مِنْ ثَرَوْه أَشْرَارِ كَثِيرِينَ" (مزمور 37: 16). كما قال الملك سليمان: "القليل مع البر خَيْرٌ مِنْ دَخْلِ عَظِيمٍ مَعَ الظُّلْمِ" (أمثال 16: 8). ماذا يعني هذا؟ يعني أن مقدار الدخل ليس هو الأمر الأهم؛ بل إن الفارق بين الصدِّيق والشرير — وبين البر والظلم — هو ما له القيمة الحقيقية. وهذا لا يعني بالضرورة أن يمتلك الصدِّيق القليل دائماً؛ فالكتاب المقدس يرينا أن شخصيات بارّة مثل إبراهيم وأيوب امتلكت ثروات طائلة. كما أنه لا يعني أن الأشرار يمتلكون الوفرة دائماً؛ فهناك أشرار لا حصر لهم في هذا العالم لا يملكون سوى القليل. يكمن الفرق الجوهرى في أن قلب الصدِّيق يجد الاكتفاء في الرب وحده، بينما يسعى قلب الشرير وراء الاكتفاء في الوفرة المادية بعيداً عن الرب. ومثل هذا القلب — قلب الشرير — لا يمتلك السلام الذي يمنحه الله، ولا هو قادر على استيعابه أو الحفاظ عليه.

للحفاظ على السلام في قلوبنا، علينا أن نتعلم سر الاكتفاء بالرب وحده. تأمل ما ورد في رسالة فيلبي 4: 11-13: "لا أقول هذا من جهة احتياج، فإني قد تعلّمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل. في كل شيء وفي جميع الأحوال قد تدربّت أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني". ومثل الرسول بولس، علينا نحن أيضاً أن نتعلم كيفية التعامل مع أوقات العوز وأوقات الوفرة على حد سواء. يجب أن نتعلم سر القناعة وسط هذه الظروف المتباينة. وهذا السر يكمن في إيجاد الاكتفاء في الرب وحده؛ ذاك الذي يمنحنا القوة. عندما نفعل ذلك، يمكننا التمتع بالسلام الحقيقي الذي يمنحه الرب، رئيس السلام.

ثمّة ذكرى محفورة في قلبي لا يمكنني نسيانها؛ إنها ذكرى زيارة قمت بها قبل سنوات لأخٍ يُدعى "مارك" في مركز لرعاية المرضى الميؤوس من شفائهم، حيث رنّمتُ ترنيمة "سلامي أمنحك" والدموع تنهمر من عيني. وتقول كلماتها: "سلاماً أمنحك؛ سلاماً لا يستطيع العالم أن يمنحه، ولا أن يدرك كنهه... سلاماً أمنحك!". تُذكّرني هذه الترنيمة بالسلام الذي شعرت به حين رنّمتها في حلم - خلال سنوات دراستي الثانوية. ورغم أننا نعيش في عالم يفتقر إلى السلام، إلا أننا - بفضل سَكْنَى يسوع، رئيس السلام، في قلوبنا - قادرون على تقديم ترنيمة السلام هذه لله. أصلي باسم يسوع أن ننعم جميعاً اليوم بتلك السكينة الحقيقية التي لا يمنحها إلا الرب؛ ذلك السلام الذي يعجز العالم عن تقديمه.

اثنان خير من واحد.

[سفر الجامعة 4: 7-12]

في مقدمة حديثه عن "مبادئ الخدمة التعاونية" المستوحى من عظة حول شخصية "نحميا"، يستعرض القس "لي دونغ-وون" مبادئ التي ذكرها "لي ياكوكا" -الذي عُرف بعبقريته الإدارية في إعادة بناء شركة السيارات (P ثلاث كلمات تبدأ بحرف) "IPs-3" الأمريكية المتعثرة "كرايسلر"- وذلك عندما سأله أحد الصحفيين عن أسرار الإدارة. تشير هذه المبادئ الثلاثة إلى: المبدأ وباختصار، هو درس حول ترسيخ المبادئ ووضعها. (Persistence) والمثابرة، (Practice) والممارسة، (Principle) موضع التنفيذ، مع الالتزام بذلك باستمرار وبقوة. ثم ينتقل القس "لي" لمناقشة "القيادة المرتكزة على المبادئ"، والتي طُرحت مؤخراً كنموذج مثالي للقيادة السليمة؛ مشيراً إلى أن القائد الكتابي "نحميا" تمكن من إنجاز مشروع عظيم من خلال تجسيد هذا النوع من القيادة بفعالية أثناء إعادة بناء مدينة أورشليم. بعد ذلك، طرح القس تساؤلاً حول ماهية مبادئ القيادة التي كان "نحميا" يقدِّرها ولخصها في ثلاث نقاط رئيسية؛ أولها وأهمها هو "مبدأ التعاون". لقد أعاد "نحميا" بناء أسوار أورشليم بمشاركة أكثر من 75 شخصاً -كما ورد في الإصحاح الثالث من سفر نحميا- حيث وقف هؤلاء الأشخاص جنباً إلى جنب في تعاون تام لإتمام عملية إعادة الإعمار. وفي المقابل، يُقال إن غياب روح التعاون هذه يُعد العائق الأكبر أمام القيادة الكورية؛ فحتى نحن المسيحيين نميل بشكل مفرط إلى الفردية ونفتقر إلى روح التعاون. ويُشبَّه هؤلاء الأشخاص الذين يتسمون بالفردية وعدم التعاون بـ "سرطانات البحر في وعاء". فعلى الرغم من أن كل سلطعون داخل الوعاء يمتلك القدرة الكاملة على الزحف للخارج، إلا أن أيّاً منها لا ينجح في الهروب؛ والسبب هو أنه كلما حاول أحدها التسلق للخارج، يقوم سلطعون آخر بجذب أطرافه الخلفية وسحبه للأسفل مجدداً. باختصار، تتمثل استراتيجيتهم للبقاء في عقلية: "إذا سقطت أنا، فسوف تسقط معي". ألا تُعد هذه الأنانية المفرطة انعكاساً لحال الكنيسة في يومنا هذا؟

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 4: 7، يتحدث الملك سليمان عن رؤيته لأمرٍ يُعد "باطلاً تحت الشمس". فما هو ذلك الأمر الباطل؟ تأمل الآية 8: "يوجد واحدٌ منفردٌ بلا رفيق، ليس له ابنٌ ولا أخ، ومع ذلك لا نهاية لكل تعبهِ، ولا تشبع عينه من الغنى، هذا أيضاً باطلٌ وبلاءٌ عظيم". يشير هذا النص إلى عبثية كدح الفردي المتطرف 'لكنه لا يسأل: 'لمن أتعب وأحرم نفسي من الخير؟ الذي تحركه فقط الرغبة في إشباع جشعه (بارك يون-سون). لقد لاحظ الملك سليمان "تحت الشمس" أناساً ينخرطون في شتى أنواع الكدح والعمل المتقن بدافع الحسد المتبادل (الآية 4). ومثل هذا الحسد يثير في النهاية الجشع في قلب الحاسد؛ وعلاوة على ذلك يتحول ذلك الشخص إلى فردي متطرف في سعيه لإشباع ذلك الجشع. وهكذا، يصف النص هذا الفردي المتطرف بأنه "منفردٌ بلا

رفيق - ليس له ابنٌ ولا أخ" (الآية 8). وهذا يعني أن مثل هذا الفردي المتطرف لا يكثر حتى بابنه أو أخيه (بارك يون-سون) وفي النهاية، لا يدخر الفردي المتطرف جهداً في هذا العالم لجمع الثروة لنفسه فقط، ليقر لاحقاً: "لمن أتعب وأحرم نفسي من الخير؟ هذا أيضاً باطلٌ وبلاءٌ عظيم". باختصار، إن حياة الفردية المتطرفة حياة باطلة وعقيمة؛ وكل هذا الكدح يفتقر إلى المعنى. لقد رأى الملك سليمان في هؤلاء الأفراد المتطرفين نمطاً يتلخص في أنهم، بعد قضاء عمرٍ كاملٍ في الكدح دون أن يجدوا أبداً الرضا الحقيقي "أنفوسهم، ينظرون إلى الوراء ويدركون قائلين: "لقد عشت حياة باطلة

في الواقع، ومثلما فعل الملك سليمان، نلاحظ نحن أيضاً الكدح الباطل والعقيم للأفراد المتطرفين في هذا العالم... هل رأيت يوماً مثل هذه الحيوانات المثيرة للشفقة حقاً؟ أناسٌ أهملوا أبناءهم وإخوتهم، وعملوا بلا كلل طوال حياتهم لمجرد جمع الثروة، ومع ذلك لم يجدوا، أي رضا أو فرح حقيقي في نفوسهم؟ قد يدّعون أنهم عملوا بجد من أجل أبنائهم وعائلاتهم، ولكن لأنهم فشلوا في الاهتمام بهم فعلياً. انقطعت علاقاتهم؛ ونتيجة لذلك، وبينما كانوا يعتقدون أن كدحهم كان من أجل عائلاتهم، لم يرَ أفراد العائلة الأمر بتلك الطريقة وهكذا، غالباً ما يجد الأناثيون المتطرفون أنفسهم في وحدة عميقة، متسائلين: "لمن، بالضبط، بذلت كل هذا الجهد في العمل؟" هل رأيت يوماً أشخاصاً من حولك يطرحون مثل هذه الأسئلة؟ هل شهدت حالة شخص قضى حياته في الكدح والمشقة، وحين حقق أخيراً الأمان المالي، وافته المنية -سواء بسبب المرض أو حادث- دون أن ينعم بالثروة التي جمعها، بل ومات وحيداً بسبب توتر علاقاته مع أبنائه وإخوته؟ "هذا أيضاً باطل وشغل رديء" (الآية 8).

لقد لاحظ الملك سليمان أمراً لم يكن باطلاً ولا عبثياً، بل أمراً نافعاً حقاً (الآيات 9-12). فما هي تلك المنفعة؟ باختصار، ما رآه الملك "سليمان نافعاً هو حقيقة أن "الاثنين خير من الواحد". انظر إلى الآية 9: "اثنتان خير من واحد، لأن لهما أجراً صالحاً عن تعبهما لماذا يُعد الاثنان أفضل من الواحد؟ السبب هو أنهما يجنيان أجراً صالحاً مقابل عملهما المشترك (الآية 9). إن القول بأن "الاثنين خير من الواحد" لا يشير فقط إلى عدد الأشخاص، بل إلى فوائد الوحدة والتعاون (بارك يون-صن). فما هي هذه الفوائد بالضبط؟ ولماذا يُعد الاثنان أفضل من الواحد؟ يوضح الملك سليمان ثلاثة أسباب في نص اليوم:

أولاً، الاثنان خير من الواحد لأنه إذا سقط أحدهما، يمكن للآخر أن يساعده على النهوض

انظر إلى سفر الجامعة 4: 10: "لأنه إن وقع أحدهما، يُقيم رفيقه الآخر. ولكن ويل لمن هو وحده؛ إذ إن وقع، فليس ثابٍ ليقمه". إذا كنت وحدك وسقطت، فمن ذا الذي ينهض بك؟ أما إذا كان اثنان يسيران معاً وسقط أحدهما، فيمكن للآخر مساعدته على النهوض. وهكذا، يوضح الملك سليمان أن الاثنين خير من الواحد لأنهما يستطيعان دعم بعضهما البعض ومساعدة بعضهما على النهوض بعبارة أخرى، الاثنان خير من الواحد لأنهما يستطيعان مساعدة بعضهما في الأوقات العصيبة. وماذا عنك أنت؟ هل يوجد من يستطيع مساعدتك عندما تواجه صعوبات حقيقية؟ يجب أن تكون جماعة الكنيسة مكاناً يساعد فيه الأعضاء بعضهم البعض في أوقات الشدة؛ فالمجتمع الذي يدعم ويقوّي ويساعد من سقطوا هو الذي يمثل الطبيعة الحقيقية للكنيسة.

ثانياً، الاثنان خير من الواحد لأنهما يستطيعان تعزية بعضهما البعض

انظر إلى سفر الجامعة 4: 11: "أيضاً إن اضطجع اثنان يكون لهما دفء. أما الواحد فكيف يدفأ؟" لقد نظر الملك سليمان إلى المظلومين في هذا العالم ورأى دموعهم، ورأى في الوقت ذاته أنه لم يكن لهم من يُعزّيهم (الآية 1). ففي أوقات الشدة والمحنة، لا نحتاج فقط إلى من يساعدنا، بل نحتاج أيضاً -وبشكل ملح- إلى من يواسينا. إننا بحاجة إلى مُعزّي يبقى إلى جانبنا حين نشعر بالوحدة ويزرف الدموع معنا حين نبكي من لوعة القلب وألمه. ومن خلال هذا المُعزّي، يمكننا أن نختبر محبة الله الدافئة ونجد العزاء. هذا هو نوع الكنيسة الذي ينبغي أن نكونه؛ فالمجتمع الذي يواسي ويشجّع ويقوّي بعضه بعضاً هو الصورة الحقيقية للكنيسة.

ثالثاً، اثنان خير من واحد؛ لأنه بتضافر الجهود يمكنهما الصمود والتغلب بنجاح على أي محنة.

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 4: 12: "إِنْ غَلَبَ أَحَدٌ عَلَى الْوَاحِدِ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ، وَالْخَيْطُ الْمُثْلُوثُ لَا يَنْقَطِعُ سَرِيعاً". أليس هذا أمراً مشيراً للاهتمام؟ يتحدث الملك سليمان عن شخص واحد في الآية 8، وعن شخصين في الآيات من 9 إلى 11، ثم يشير في الآية 12 إلى ثلاثة أشخاص من خلال صورة "الخيطة المثلثة" (أي المجدول من ثلاث خيوط). ماذا يعني "الخيطة المثلثة"؟ إنه يشير إلى أنه بينما ينقطع الخيط الواحد بسهولة، وقد تكون الخيوط المزدوجة أكثر مقاومة قليلاً، فإن الحبل المجدول من ثلاثة خيوط لا ينقطع في سان فرانسيسكو؟ هل تعرف شيئاً عن (Golden Gate Bridge) "بسهولة (ويرسي). هل زرت يوماً جسر "البوابة الذهبية الكابلات التي تدعمه؟ يُقال إن تلك الكابلات تتشكل من جميع عدد لا يحصى من الأسلاك الفولاذية في كابل ضخمة واحد. يبلغ سمك الكابل 92.4 سم - أي أعرض من معظم الأشجار المعمرة - مما يجعل من الصعب على شخص بالغ أن يحيط به بذراعيه. ولصنع كابل واحد، تم دمج 27,572 سلكاً رفيعاً؛ حيث جُمعت أسلاك - تضاهي في سمكها قلم الرصاص - في 61 حزمة، ثم ضُغِطت، ورُبطت معاً لتشكيل كابل بقطر ثلاثة أقدام. وأخيراً، غُلف الكابل بسلك رفيع للحصول على ملمس خارجي أملس. وفي المجموع تُسجّت أسلاك فولاذية بطول 129,000 كيلومتر معاً لإنشاء ذلك الكابل الضخم (الإنترنت). أليس هذا أمراً مذهلاً؟ تماماً كما أن كابلات جسر البوابة الذهبية لا تنقطع بسهولة، فعندما يتحد ثلاثة أشخاص بقلب وفكر واحد، فإنهم يصمدون ويصبحون قادرين على التغلب على أي محنة معاً. إنهم لا يكتفون بمساعدة بعضهم البعض ومواساة بعضهم، بل يحمون بعضهم أيضاً وهم يواجهون صعوبات الحياة ويتغلبون عليها. ألا تتوق إلى مثل هذه الشركة المليئة بالمحبة في الرب؟ ألا ترغب في أن تحلم بمثل هذا المجتمع؟

في العصر الذي نعيش فيه، تزداد حدة النزعة الفردية المفرطة - حيث لا يحب الناس إلا أنفسهم (2 تيموثاوس 3: 2). ونحن نرى هذا الميل لدى أولئك الذين يكذبون فقط لإشباع جشعهم الخاص (الجامعة 4: 8). عندما نرى أشخاصاً كدحوا طوال حياتهم لجمع —مستمرين في تكديس الأموال لينتهي بهم المطاف منقطعين عن عائلاتهم ووحيديين تماماً— الثروة ومع ذلك ظلوا غير راضين نجد أنفسنا مدفوعين للتساؤل: "لمن أعمل حقاً؟". وحين نشاهد من يموتون في وحدة بعد حياة من المشقة، دون أن يجدوا فرحاً حقيقياً، في نفوسهم، لا يسعنا إلا أن نردد كلمات الملك سليمان في نص اليوم: "هذا أيضاً باطل وعناء شديد". وإلى جانب هذه الفردية المفرطة

أعتقد أننا نشهد أيضاً ظاهرة تُعرف بـ "النزعة العائلية الأنانية" في عالمنا اليوم؛ إذ لا يهتم الناس إلا بعائلاتهم ولا يكثر ثون للآخرين وأرى في ذلك رد فعل متطرفاً تجاه حالة تفكك الأسرة التي نعيشها؛ فمع تداعي الأسر، برزت نزعة عائلية أنانية يصب فيها الناس تركيزهم حصراً على حماية ذويهم، غافلين عن بقية الناس. ونتيجة لذلك، غالباً ما نميل نحن المسيحيين المؤمنين ببسوع إلى حصر حياتنا الإيمانية داخل الكنيسة في الصلاة من أجل عائلاتنا فقط. فهل هذه حقاً هي الطريقة المثلى لممارسة إيماننا؟ يعلمنا الملك سليمان، من خلال نص اليوم، مبادئ الحياة السليمة داخل جماعة المؤمنين؛ وهذا المبدأ هو أن "الاثنتين خير من الواحد". بعبارة أخرى، يكمن مفتاح الجماعة المؤمنة السليمة في التعاون المتبادل وروح العمل المشترك. وتكمن أهمية مبدأ التعاون هذا في أننا نستطيع مساندة بعضنا البعض ومواساة بعضنا في الأوقات العصيبة؛ فبالوقوف معاً بثبات ووحدة، نصبح قادرين على التغلب على أي محنة. وإنني أمل أن تظل جماعتنا متمسكة بمبدأ التعاون هذا، فنساعد ونواسي بعضنا البعض ونحن نمضي قدماً نحو الانتصار معاً.

حكمة الفقراء بالروح

[سفر الجامعة 4: 13-16]

أثناء تأملي في سفر الخروج (36: 1-7) خلال اجتماع الصلاة الصباحي الباكر يوم السبت الماضي، تلقيت ثلاثة مواضيع للصلاة ورفعتها إلى الله. كانت تلك المواضيع الثلاثة هي: (1) أولاً: "يا الله، امنحنا الحكمة —تتعلق بكيفية خدمة الكنيسة— أي جسد المسيح والفهم"؛ (2) ثانياً: "يا الله، امنحنا قلباً راعياً ومستعداً"؛ و(3) ثالثاً: "يا الله، انزع الطمع من قلوبنا". إن السبب الذي يدعونا لطلب هو الرغبة في إتمام ما يأمرنا به. بعبارة أخرى، يجب علينا أن نطلب —الحكمة والفهم من الله— وهو موضوع الصلاة الأول الحكمة والفهم من الله لكي ندرك مشيئته (أي "ماذا" يريد) ونعرف كيفية تنفيذ تلك المشيئة (أي "كيف" ننفذها). وببساطة، نحن نطلب —الحكمة من الله لنتعرف على مشيئته وطرقه في آن واحد. وكما دعا الله عمالاً من بين بني إسرائيل —مُنعمًا عليهم بالحكمة والفهم وأعطاهم تعليمات محددة حول كيفية بناء خيمة الاجتماع، فإن ربنا يُقيم اليوم عمالاً لبناء كنيسته، مانحاً إياهم الحكمة لكي تتحقق مشيئته على أرض الواقع. لذا، لا ينبغي لنا أن نخدم الكنيسة بحماقة، بل يجب أن نخدم بحكمة، مستعينين بالحكمة التي يمنحنا إياها الله.

وبينما كنت أتأمل في نص اليوم —سفر الجامعة 4: 13-16— وأركز تحديداً على عبارتي "وإن كان فقيراً" (الآية 13) و"الرجل الفقير" (الآية 13)، قادني ذلك للتفكير في طبيعة الحكمة (والعزلة) التي يتمتع بها الفقراء بالروح. بالطبع، يشير الفقر والفقراء المذكورون في نص اليوم إلى الفقر المادي الفعلي وليس إلى حالة روحية. ومع ذلك، وأثناء تأملي في هذا النص وسعيي لتطبيقه على حياتنا، شعرت بدافع للنظر في البعد الروحي؛ وتحديدًا الحكمة التي يمتلكها أولئك الذين هم "فقراء بالروح". إنني أؤمن بوجود رابط بين الفقر المادي والفقر بالروح. ويكمن أساس هذا الرابط، في رأيي، في الآية الواردة في إنجيل متى 5: 3: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات". بالتأكيد، هناك العديد من المؤمنين الأتقياء حقاً ممن يتمتعون بالثراء المادي، ومع ذلك يتحلون بروح الفقر (التواضع والافتكال على الله). وفي المقابل، هناك كثيرون ممن يعانون من الفقر المادي لكنهم يفتقرون إلى تلك الروح المتواضعة. إن النقطة الجوهرية لا تكمن في كون المرء فقيراً أو غنياً من الناحية المادية؛ بل في أن روح المؤمن يجب أن تظل دائماً

فقيرة" (أي متواضعة ومحتاجة إلى الله)، سواء كان غنياً أو فقيراً. ويعود ذلك إلى أن الله يفيض ببركاته على "فقراء الروح"، وتُعدّ "الحكمة إحدى تلك البركات".

سفر الجامعة 4: 13-16—تحت عنوان "حكمة فقراء الروح"، أود أن أستعرض ثلاثة جوانب لهذه—عند التأمل في نص اليوم الحكمة وأن نستخلص الدروس التي يريد الله منا تعلمها.

أولاً، تكمن حكمة فقراء الروح في القدرة على الإصغاء للتحذير وقبوله.

لننظر إلى الآية 13 من سفر الجامعة: "خَيْرٌ فَتَى فَقِيرٌ وَحَكِيمٌ مِنْ مَلِكٍ شَيْخٍ وَأَحْمَقَ، لَا يَعْرِفُ أَنْ يَقْبَلَ التَّحْذِيرَ". هنا، يعقد الملك سليمان ثلاث مقارنات: "فتى" مقابل "ملك"، وحكمة مقابل حماقة، وفقر مقابل غنى. وخلاصة هذه المقارنة هي أن النص يضع في كفة فتىً فقيراً وحكيماً، وفي الكفة الأخرى ملكاً غنياً وشيخاً وأحمق. فما هو جوهر هذه المقارنة؟ إنها لا تتمحور حول الفقر مقابل الغنى، ولا الشباب مقابل الشيخوخة، ولا الفرق بين الصبي والملك؛ بل إن العنصر الجوهرى حقاً هو الحكمة. فالشخص الحكيم بينما يرفض الشخص الأحمق أو قليل الفهم قبول النصيحة. وهذا الملك الشيخ والأحمق—أي النصيحة—يعرف كيف يقبل المشورة. لا يعرف كيف يصغي للمشورة أو النصيحة (الآية 13).

وأثناء تأملي في هذا النص، تبادر إلى ذهني سؤال: "هل كان هذا الملك الشيخ والأحمق هكذا دائماً، حتى في شبابه؟" لقد خطر لي كان يستمع بتواضع إلى الحث المحب أو النصائح أو التحذيرات التي يقدمها المحيطون—أو قبل أن يصبح ملكاً—أنه ربما في شبابه به. وإذا كان الأمر كذلك، فما الذي جعله يفقد بصيرته ويصبح قليل الفهم في شيخوخته؟ أظن أن ثروته وسلطته كملك قد عززتا لديه ذلك الكبرياء الذي جعله قليل الفهم. أشار الدكتور بارك يون-سون قائلاً: "إن هذا يوضح مأساة من يجلس على العرش حتى يبلغ الشيخوخة، فيتملكه الكبرياء ويرفض بالتالي قبول المشورة السديدة" (بارك يون-سون). فالمتكبرون لا يصغون أبداً إلى المشورة إذ يفتقرون إلى الأذن والقلب القادرين على استيعابها؛ أما الحكماء فيصغون إلى المشورة السديدة. وكما—السديدة—أو الصانبة يقول كاتب سفر الأمثال: "طريق الجاهل مستقيم في عينيه، أما الحكيم فيصغي إلى المشورة" (أمثال 12: 15). وعندما كان سليمان على وشك أن يصبح ملكاً، طلب من الله "قلباً حكيماً"؛ وقد فعل ذلك لأنه أراد أن يكون قادراً على التمييز بين الخير والشر عند الحكم بين شعب الرب (1 ملوك 3: 9). وثمة نقطة مثيرة للاهتمام هنا، وهي أن الكلمة العبرية التي تُرجمت بكلمة "حكيم"—وهي كلمة: تعني في الواقع "الاستماع". وهذا يكشف أن موقف سليمان الإيماني كان موقف طاعة، وكأنه يقول في جوهره —*shema*—إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ، فسيصغي هذا العبد؛ تَكَلَّمْ يَا رَبُّ!—وعلينا نحن أيضاً أن نصغي إلى كلمة الله بروح الطاعة، تماماً كالملك سليمان وينبغي لنا أن نصغي إلى كلمات سفر الأمثال 19: 20: "اسمع المشورة واقتل التأديب، لكي تكون حكيماً في آخرتك". وإنني أمل أن نكتسب—أنا وأنت—حكمة "المساكين بالروح"، وأن نصبح أشخاصاً يصغون إلى المشورة السديدة.

ثانياً، نعلم أن الرب يرفع شأن حكمة الفقراء بالروح

انظر إلى نص اليوم، الوارد في سفر الجامعة 4: 14: "خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ لِيَمْلِكَ، مَعَ أَنَّهُ وُلِدَ فَقِيْرًا فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ". هنا، يوضح الملك سليمان لماذا يُعد الشاب الحكيم - رغم فقره - أفضل من ملك عجوز أحمق لم يعد يعرف كيف يصغي للتحذير. ما هو السبب؟ السبب هو أن الشاب الحكيم، ورغم ولادته في فقر وتعرضه للسجن، قد أخرج في النهاية من السجن ليصبح ملكاً على تلك البلاد. لا يعني هذا النص أنه كان هناك ملك آخر يحكم إلى جانب الملك العجوز الأحمق الذي رفض الاستماع للمشورة؛ بل يعني أن الملك العجوز الأحمق قد تنحى عن السلطة، وخلفه ذلك الشاب الفقير الحكيم في الملك. عندما تسمع هذا، أي شخصية كتابية تخطر ببالك؟ "ألا يذكرك الأمر بيوسف في سفر التكوين؟ بالطبع، لم يصبح يوسف ملكاً على مصر. ومع ذلك، فعندما تأمل في "الشاب الحكيم الموصوف في سفر الجامعة 4: 13-14 - الذي "خرج من السجن ليملك" رغم فقره - أتذكر يوسف. لقد كان في السجن، ولكن بفضل الحكمة التي منحها الله له، فسر حلم فرعون وارتقى في النهاية ليصبح رئيساً لوزراء مصر. تأمل في قصة يوسف: رغم أن إخوته أبغضوه وكادوا يقتلونه وباعوه عبداً في مصر، إلا أن الله أحبه محبة عميقة وكان معه، مانحاً إياه النجاح والحكمة. لقد فسر أحلام ساقى الملك (والخباز) وهو في السجن، وفسر في النهاية حلم فرعون نفسه؛ ولم يؤد ذلك إلى إطلاق سراحه من السجن فحسب، بل أدى أيضاً إلى تعيينه رئيساً لوزراء مصر.

الدرس الذي نتعلمه هنا هو أن الله يرفع شأن الفقراء بالروح - أي المتواضعين. ويتحدث الكتاب المقدس عن هذه الحقيقة في مواضع كثيرة. تأمل، على سبيل المثال، في حث الرسول بطرس لـ "الشباب" في رسالة بطرس الأولى 5: 5-6: "أَيُّهَا الْخُدَنَاءُ، اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ. وَكُونُوا جَمِيعاً مُتَسَرِّبِينَ بِالتَّوَاضُعِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، لِأَنَّ اللَّهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً: فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللَّهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ" انظر أيضاً ما يقوله الرسول يعقوب في رسالته (الإصحاح 4: 10): "الرب، فإنه يرفعنا. هل تؤمن بهذا تَوَاضَعُوا قُدَّامَ الرَّبِّ فَيَرْفَعَكُمْ". وهكذا، يوضح الكتاب المقدس بجلاء أننا عندما نتواضع أمام الوعد الإلهي؟

لماذا لا يملك "المساكين بالروح" خياراً سوى التواضع أمام الرب؟ السبب هو أن يسوع، ربنا، قد تواضع. وإلى أي مدى تواضع يسوع؟ يسوع، "إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلُوسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ!" (فيلبي 2: 6-8). وبفعل ذلك، "رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا عَالِيًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ! لِكَيْ تَخْبَتُوا بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْنَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرَفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ" (الآيات 9-11). فلنتواضع جميعاً كما فعل يسوع؛ ولنتواضع أمام الرب وحين نفعل ذلك، سيرفعنا الله بالتأكيد.

ثالثاً، تدرك حكمة "المساكين بالروح" بطلان المجد الدنيوي.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة (4: 15-16): "رَأَيْتُ كُلَّ الْأَحْيَاءِ السَّائِرِينَ تَحْتَ الشَّمْسِ مَعَ الْفَتَى الثَّانِي الَّذِي يَقُومُ عَوَضًا عَنْهُ. لَا نِهَآيَةَ لِكُلِّ الشَّعْبِ، لِكُلِّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ. وَأَيْضًا الْمُتَأَجَّرُونَ لَا يَفْرَحُونَ بِهِ. فَإِنَّ هَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ." ما لاحظته الملك سليمان "تحت الشمس" كان الآتي: شاب فقير ولكنه حكيم (الآية 13) - صعد من السجن ليصبح ملكاً رغم ولادته في فقر مدقع (الآية 14) - حظي في البداية بتبعية واحتفاء الجماهير الغفيرة الخاضعة لحكمه (الآية 15). ومع ذلك، وفي نهاية المطاف يجدون —عندما شاخ ذلك الملك الشاب، لم يعد "الذين أتوا بعده" —أي الجيل اللاحق من الأشخاص أنفسهم الذين رافقوه في شبابه مسرة في الملك المسن. ولذا، فهو يعلن قائلاً: "هذا أيضاً باطل وقبض للريح" (الآية 16). وعندما نُسْقِطَ هذا الأمر على أنفسنا، نجد أن المغزى الذي يرمي إليه الملك سليمان هو أن المجد الدنيوي أمرٌ عقيم، ويشبه تماماً السعي وراء الريح (الآيات 15-16).

أحياناً، وخلال الانتخابات الرئاسية في كوريا أو الولايات المتحدة، أجد نفسي أتساءل: "لماذا يستمتيتون في رغبتهم ليصبحوا رؤساء؟" إن حكم أمة ما لا بد وأن يكون أمراً بالغ الصعوبة؛ فلماذا يسعون جاهدين للفوز بالانتخابات؟ ما الذي تعتقد أنه يحرك هذه الرغبة في تولي الرئاسة؟ هل هو التعطش للسلطة؟ ففي بعض البلدان، استولى القادة على السلطة حتى عن طريق الانقلابات. ومع ذلك، فإلى جانب الرغبة المحضة في السلطة، هناك أيضاً السعي وراء المجد الدنيوي. وهذا يدفعني للتساؤل: "ما هو المجد الدنيوي في حقيقته؟" لقد استخلصت ذات مرة من أحد الأفلام أن هناك جنوداً محترفين —مثل مشاة البحرية (المارينز) — يعيشون ويموتون من أجل الشرف. ولكن، أي فائدة حقيقية يحملها هذا المجد الدنيوي في نظر الله أو من منظور أبدي؟ وأي قيمة حقيقية له عندما ننظر إليه من خلال منظور الأبدية؟

فإنني لا —وفيما يتعلق بالملك المذكور في نص اليوم (سفر الجامعة 4: 15-16) —حتى وإن كان قد حظي بمجد دنيوي عظيم أعتقد أنه اختبر ذلك بنفس القدر الذي اختبره سليمان نفسه. بل في الواقع، وعلى امتداد العهدين القديم والجديد، ربما لم يكن هناك ملك حظي بمجد دنيوي بقدر ما حظي به سليمان. ومع ذلك، فهو يعلن أن هذا المجد باطل، وأن السعي وراءه "تحت الشمس" أشبه بمطاردة الريح. إنه يؤكد أن المجد الدنيوي لا يحمل أي فائدة حقيقية. أما "المساكين بالروح" فهم يدركون هذه الحقيقة ويفهمونها؛ إذ يمتلكون الحكمة التي يمنحها الله، ويعلمون أن السعي وراء المجد الدنيوي أمرٌ عقيم. ولذلك، فبدلاً من طلب مجد العالم، هم يسعون لمجد الله. إن المساكين بالروح لا يعيشون من أجل مجد دنيوي تافه، بل من أجل مجد الله الحقيقي والمفيد، الذي يحمل قيمة أبدية. إنهم يصغون إلى المشورة التي يقدمها الرب من خلال كلمته، ويضعون أنفسهم في تواضع أمامه، ويعيشون طائعين لكلمته، وبذلك يحظون بحياة ترضي الله.

أصلي لكي نلتمس جميعاً من الله حكمة "المساكين بالروح"، فنصبح أشخاصاً يحسنون الإصغاء - ليس فقط لمشورة الرب التي يمنحنا إياها ونحن نعيش على هذه الأرض، بل أيضاً لنصائح من حولنا. وعلاوة على ذلك، أصلي لكي نعيش حياة ملوها بالتواضع، فنخفض

أنفسنا أمام الرب واثقين بأنه سيرفعنا حتماً في الوقت الذي يختاره هو. فلنكن أفراداً حكماء، فقراء بالروح حقاً، نعيش لمجد الله بدلاً من السعي وراء أمجاد هذا العالم الزائلة.

"بَلِ اتَّقِ اللَّهَ"

[سفر الجامعة 5: 1-7]

هل نتقي الله حقاً -أنا وأنت-؟ خلال دراسة للكتاب المقدس مع مجلس الشيوخ والشمامسة المُرسّمين عقب اجتماع الصلاة يوم الأربعاء الماضي، طرحنا هذا السؤال: "بين خادم الرب، النبي يونان، والبحارة الأمميين (غير المؤمنين)، مَنْ كان يتقي الله حقاً أكثر؟" في الإصحاح الأول من سفر يونان، ترد كلمة "خوف" أو "اتقاء" أربع مرات: "خَافَ الْمَلَأُحُونَ" (1: 5)، "أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ" (1: 9)، "خَافَ الرَّجَالُ خَوْفاً عَظِيماً" (1: 10)، و"خَافَ الرَّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفاً عَظِيماً" (1: 16). هنا، تشير حالة واحدة إلى النبي يونان بكونه رجلاً يتقي الله، بينما تصف الحالات الثلاث الأخرى الخوف الذي انتاب البحارة الأمميين. ورغم أن يونان اعترف للبحارة الأمميين بأنه رجل يتقي الله، إلا أن تصرفاته تثير بعض الشكوك حول ما إذا كان يتقي الله حقاً. وفي المقابل شعر البحارة الأمميون بالخوف عندما كادت السفينة تتحطم بسبب عاصفة عاتية، لكنهم شعروا بخوف عظيم عند سماع اعتراف يونان؛ إذ بدأوا يتقون الله الخالق، الإله الذي صنع البحر واليابسة، وأخيراً -بعد إلقاء يونان في البحر ورؤيتهم لهدوء الأمواج- خافوا من الرب خوفاً عظيماً (1: 16). في الواقع، مَنْ كان يتقي الله أكثر؟ هل هو يونان، خادم الرب؟ أم البحارة الأمميون؟

"بالنظر إلى الجزء الأخير من الآية 7 في الإصحاح الخامس من سفر الجامعة (نص اليوم)، يقول الواظ الملك سليمان: "بَلِ اتَّقِ اللَّهَ". أود اليوم أن أستخلص ثلاثة دروس حول كيفية تصرف من يتقون الله، وذلك استناداً إلى النص الوارد في سفر الجامعة 5: 1-7. أصلي أن نتبنى -أنا وأنت- هذه الدروس ونعيش حياة تتسم بتقوى الله حقاً.

أولاً: من يتقون الله يصغون إلى كلمته

انظر إلى سفر الجامعة 5: 1: "احْفَظْ قَدَمَيْكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَالِاسْتِمَاعُ أَقْرَبُ مِنْ تَقْدِمَةِ ذَبِيحَةِ الْجُهَالِ، لِأَنَّهُمْ لَا يُبَالُونَ بِفِعْلِ الشَّرِّ." في النص الذي تأملناه سابقاً —سفر الجامعة 4: 13-16— قارن الملك سليمان بين شاب فقير ولكنه حكيم، وبين ملك عجوز أحمق رفض قبول المشورة أو التعليم (الآية 13). لقد تعلمنا هناك أن الحكماء هم الذين يعرفون كيف يتلقون المشورة والآن، في سفر الجامعة 5: 1، يتحدث سليمان مجدداً عن "الاستماع إلى الكلمة"؛ فيخبرنا أن الشخص الحكيم يدخل بيت الله ويستمع باهتمام إلى كلمة الله. وبينما كنت أتأمل في هذا النص، أدركت أن الحكماء ليسوا وحدهم من يستمعون إلى كلمة الله، بل إن الذين يتقون الله يصغون إليها أيضاً. وخلاصة فكري هي: الشخص الحكيم (4: 13) هو الذي يتقي الله (5: 7)، ومن يتقي الله هو الشخص

الحكيم؛ فالحكمة ومخافة الله مترابطتان. ونجد أساس ذلك في سفر الأمثال 1: 7: "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجُهَالُ فَيَحْتَوِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالتَّأْدِيبَ". إذن، ماذا يفعل الحكيم الذي يتقي الله؟ عند دخوله بيت الله، لا يكتفي بحفظ خطواته، بل يقترب من الله متلهفاً لسماع صوته (الجامعة 5: 1). وفي المقابل، يحتقر الحمقى الحكمة والتعليم (الأمثال 1: 7) ويقدمون الذبائح بدلاً من الاستماع إلى صوت الله. أي شخصية من العهد القديم يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذا الأمر؟ ألا يذكر ذلك بالملك شاول؟ لقد أمر الله بإبادة العماليق تماماً، لكن شاول عصى الأمر وفشل في إبادتهم كلياً؛ إذ أبقى على أفضل الماشية، وعندما واجهه النبي صموئيل لاحقاً، ساق الأعداء مدعياً أنه احتفظ بأفضل الحيوانات ليقدمها ذبائح لله. وماذا كان رد صموئيل؟ كان ببساطة: "الطَّاعَةُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ" (1 صموئيل 15: 22). فما يريده الله هو الطاعة، لا تقديم الذبائح مع التقصير في الطاعة.

، علينا أن نتقي الله. فالحكماء الذين يتقون الله لا يكتفون بالاستماع إلى كلمته، بل يطيعونها. يجب علينا أن نسمع كلمة الله ونطيعها، وأن نصغي إليها ونعمل بها. في يوم الثلاثاء الماضي، وأثناء صلاة الصباح الباكر، وبينما كنا نقرأ ونتأمل في الأصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين، رأينا أن الله يوجه لنا وصايا: فإذا سمعناها وأطعناها لنلنا البركة، أما إذا لم نصغ إليها فسنواجه التأديب. ومن النقاط المثيرة للاهتمام أن شعب إسرائيل، إذا تقاعس عن سماع جميع وصايا الله وإطاعتها (الآية 14)، كان يتعرض لتأديب الله؛ ومع ذلك، إذا استمروا في العصيان حتى بعد أن ضربهم الله، فقد أعلن مراراً وتكراراً -أربع مرات في الواقع- أنه سيعاقبهم سبعة أضعاف" (الآيات 18 و 21 و 24 و 28). ماذا يعني هذا؟ إنه يكشف مدى إصرار شعب إسرائيل على عدم الإصغاء لكلمة الله. إن الله يؤدبنا عندما نعصيه، وإذا استمررنا في رفض الاستماع وأصررنا على العصيان، فإنه يضربنا بشدة تفوق الأولى بسبعة أضعاف. ولماذا يفعل ذلك؟ إنه يفعل ذلك لأنه يرغب في أن نستمع أنا وأنت إلى كلمته ونطيعها. هذا الإله هو ذاته الإله الذي نخدمه أنا وأنت. إن إلهاً يبتغي طاعتنا؛ فالطاعة خير من الذبيحة. ولذلك، يجب ألا ندخل بيت الله للعبادة إلا بعد أن نكون قد استمعنا إلى كلمته وأطعناها. يجب ألا نأتي أبداً إلى بيت الرب يوم الأحد للعبادة ونحن مقصرون في العمل بكلمته في حياتنا اليومية؛ فمثل هذا السلوك يُعد حماقة في نظر الله، وتصرفاً لا يصدر إلا عن لا يخشاه. لذا، ينبغي لي ولك أن نكون ممن يتقون الله من خلال الإصغاء باهتمام لكلمته وإطاعتها.

،ثانياً، إن الذين يتقون الله يرفعون صلواتهم إليه بالطريقة الصحيحة. انظر إلى نص اليوم في سفر الجامعة 5: 2: "لَا تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ وَلَا يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلَامٍ قُدَّامَ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَنْتَ عَلَى الْأَرْضِ، فَلِذَلِكَ فَلْتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً". يوضح الملك سليمان أن من يتقي الله لا يكتفي بدخول بيت الله للإصغاء لكلمته فحسب، بل يمتنع أيضاً عن الكلام المتهور أو المتسرع في حضرته. فالذين يتقون الله لا يتحدثون بلا مبالاة عند دخولهم بيته للصلاة؛ وبعبارة أخرى، إنهم يقتصدون في كلماتهم أثناء الصلاة (كما يشير بارك يون-سن). لماذا يقلل خائفو الله من الكلام عند الصلاة إليه؟ السبب هو أن الله في السماوات ونحن على الأرض (الآية 2). لقد ذكرني التأمل في هذا النص بما ورد في سفر إشعياء 55: 8-9: "لِأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلَا طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لِأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ، هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ". فكيف يمكننا نحن القاطنين على الأرض- أن ندرك تماماً عمق أفكار الله واتساعها وسموها، وهي التي تسكن في السماوات؟ ومع ذلك، أخشى أننا كثيراً ما نفيض بكلمات كثيرة

في الصلاة دون أن ندرك حقاً أفكار الله السامية. ينبغي لنا أن نصلي ونحن نسعى لفهم أفكار الله العالية تدريجياً من خلال كلمته. وفي الوقت نفسه، ومع نمو إيماننا، يجب أن نصلي إلى الله بإيمان متزايد. علينا أن نتمسك بكلمة الله بإيمان ونحن نرفع صلواتنا، واضعين ثقتنا الكاملة فيه. وهناك سبب آخر يدعونا للإقلال من الكلام عند الصلاة - احتراماً ورهبةً لله - وهو أن "كثرة الكلام" تؤدي إلى صوت الجاهل" (الآية 3). فكيف يكون صوت الجاهل؟

تأمل في سفر الجامعة 10: 12-14: "كَلَامٌ فَمِ الْحَكِيمِ نِعْمَةٌ، وَأَمَّا شَفَقَتَا الْجَاهِلِ فَتَبْتَلِغَانِيهِ. ابْتِدَاءُ كَلَامِهِ حَمَاقَةٌ، وَآخِرُهُ هَذْيَانٌ رَدِيٌّ. وَالْجَاهِلُ يُكْثِرُ الْكَلَامَ. لَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا يَكُونُ. فَمَنْ يُخْبِرُهُ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ؟" إن الكلمات التي تخرج من فم الجاهل تبدأ بالحماقة وتنتهي بهذيان رديء؛ وعلاوة على ذلك، فإن الجاهل يكثر الكلام. ومع ذلك، فإن كثرة هذا الكلام الأحمق ليست سوى باطل فما أشد حماقة الظن بأن الله سيستجيب لصلوات مليئة بمثل هذا الثثرة الفارغة! إن الذين يتقون الله يمتلكون الحكمة؛ فهم يصغون إلى كلمة الله ويقدمون طلباتهم وفقاً لمشيئته. ونتيجة لذلك، فهم لا يقعون في فخ التكرار عديم المعنى. بعبارة أخرى، لا يصلي الذين يتقون الله عن طريق الهذيان غير المترابط أو تكرار عبارات بلا معنى أمامه بلا توقف. وفي المقابل، فإن الشخص الجاهل - الذي لا يصغي لصوت الله وبالتالي يصلي دون معرفة مشيئته - يتكلم بهتور نابع من الارتباك والعجلة، مكرراً الصلاة نفسها مراراً وتكراراً. لماذا يستمرون في تقديم الصلاة نفسها؟ ولماذا يتكلمون كثيراً عند الصلاة إلى الله؟ يمكننا العثور على الإجابة في إنجيل متى 6: 7: "وَجِئْنَا تَصَلُّونَ لَا تُكْرَرُوا الْكَلَامَ بَاطِلًا كَالْأَمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلَامِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ". لقد اعتقد الوثنيون أنه يتحتم عليهم الكلام بإطالة لكي يسمع الله صلواتهم. وهذا يمثل، بمعنى ما، اعتماداً على الاستحقاق البشري؛ أي الاعتقاد بأن المرء يمكنه ضمان استجابة الصلاة من خلال الجهد البشري، مثل تقديم صلوات طويلة أو الكلام بإسهاب. يجب علينا أن نصلي إلى الله معتمدين على استحقاق صليب يسوع. وعندما نصلي، يجب أن نفعل ذلك بالطريقة الصحيحة. فكيف ينبغي لنا أن نقدم الصلاة إلى الله بالطريقة السليمة؟ لكي نصلي بشكل صحيح، يجب أن نقترّب من الله بقلب مستعد؛ وذلك لأن ما في قلوبنا هو ما يخرج من أفواهنا، قد كتب: "في الصلاة" (The Pilgrim's Progress) * (متى 12: 34-37). يُقال إن جون بونيان، مؤلف كتاب *رحلة الحاج من الأفضل أن يكون لديك قلب بلا كلمات، على أن تكون لديك كلمات بلا قلب" (ويرسبي). يجب علينا أن نرفع صلواتنا إلى الله بقلب صادق لا بمجرد كلمات؛ فهذا هو نوع الصلاة المقبول في نظر الله. وعندما نفعل ذلك، لن نتحدث بتسرع أو إهمال أثناء الصلاة (سفر الجامعة 5: 2). وبعبارة أخرى، سنتجنب التكرار عديم المعنى وسنقتصد في الكلام. بالطبع، لا تعني الآية الثانية من نص اليوم أنه لا ينبغي لنا أن نصلي مطولاً؛ فالنصح بالاعتقاد في الكلام لا يعني بالضرورة أن تكون صلواتنا قصيرة. وقد صرح الدكتور بارك *يون-سون قائلاً: "لا يعترض هذا النص على فكرة أن الصلاة الصادقة يمكن أن تكون طويلة ومفصلة. فالصلاة الصادقة *يمكن أن تكون طويلة ومفصلة؛ وذلك لأن الإيمان ينطوي على الثقة في الله الموجود في السماوات، مما يدفع المرء إلى سكب روحه، والصلاة بتفصيل" (بارك يون-سون). ينبغي لنا أن نرفع مثل هذه الصلوات إلى الله؛ صلوات نسكب فيها أرواحنا ونتحدث بتفصيل، واضعين كامل ثقتنا فيه.

عند التأمل في سفر الجامعة 5: 1-7 جنباً إلى جنب مع النص الذي درسناه سابقاً في سفر الجامعة 4: 13-16، أدركت أنه عندما نصلي إلى الله، يجب علينا أولاً أن نستمع إلى كلمته ونطيعها. وبعبارة أخرى، يجب أن تسير الصلاة وطاعة الكلمة جنباً إلى جنب فلا ينبغي أبداً الفصل بين طاعة كلمة الله والصلاة إليه؛ فهما كوجهي عملة واحدة. لذا، عندما نصلي إلى الله، وبدلاً من مجرد الإطالة في الكلام، يجب علينا أولاً أن نطيع كلمته. وبعبارة أخرى، فإن الذين يتقون الله يسكبون أرواحهم في صلاة صادقة بينما يطيعون كلمته.

ثالثاً، يفي الذين يتقون الله بالنذور التي قطعوها له.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 5: 4: "إِذَا نَذَرْتُ نَذْرًا لِلَّهِ فَلَا تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، لِأَنَّهُ لَا يُسَرُّ بِالْجَهَالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ". إذا كنا نخشى الله حقاً، فإننا نعيش إيماننا من خلال العمل بكلمته والصلاة بقلب صادق. ومن خلال حياة الإيمان هذه، نُبرهن على صدقنا كيف نُظهر صدق قلوبنا أمام الله؟ نُظهره من خلال حياة الاستقامة؛ وحياة الاستقامة هذه تعني الوفاء بالوعود التي قطعناها لله. يجب علينا أن نفي بالنذور التي قطعناها له (5: 5). ما هو "النذر" هنا؟ وماذا يعني أن يقطع الإنسان نذراً لله؟ إنه يعني أداء قَسَمٍ غليظٍ له؛ قَسَمٍ يترتب على الوفاء به بركة، وعلى نقضه لعنة. في العهد القديم، كان يعقوب أول شخص يقطع مثل هذا النذر لله. فبينما كان يعقوب مسافراً من بئر سبع نحو حاران (تكوين 28: 10)، توقف في مكان ما، واتخذ حجراً وسادة له ونام؛ وفي حلمه، رأى ملائكة الله يصعدون وينزلون على سُلَّمٍ يمتد من الأرض إلى السماء. وبعد سماع صوت الله (الآيات 11-15) والاستيقاظ من نومه، سمى ذلك المكان "بيت إيل"؛ وهناك، قطع يعقوب نذراً لله قائلاً: "إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعِيَ، وَحَفَظَنِي فِي هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي أَنَا سَائِرٌ فِيهِ، وَأَعْطَانِي خُبْرًا لِكُلِّ لَأْكُلٍ وَثِيَابًا لَأَلْبَسَ، وَرَجَعْتُ بِسَلَامٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي، يَكُونُ الرَّبُّ لِي إِلَهًا. وَهَذَا الْحَجَرُ الَّذِي أَقْمَتُهُ عُمُودًا يَكُونُ بَيْتَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَا تُعْطِينِي فَإِنِّي أُعَشِّرُهُ لَكَ" (الآيات 20-22). ووفقاً للكتاب المقدس، كانت النذور التي تُقطع لله تنبع إما من توقع نيل نعمة منه (تكوين 28: 20) أو من الامتنان لبركاته (مزمور 116: 12-14) (يونغبلود). وعلاوة على ذلك، كان قطع النذر جزءاً من التعبd اليومي لله (مزمور 61: 8) أو مرتبطاً بالأعياد السنوية (1 صموئيل 1: 21). كان لا بد أن تُقطع مثل هذه النذور طواعيةً، وبمجرد قطعها، كان يتحتم الوفاء بها (تثنية 23: 21-23؛ جامعة 5: 4-6). ولذلك، كان على المرء أن يتأمل ويتروى جيداً قبل قطع النذر (أمثال 20: 25) (يونغبلود).

وبينما كنت أتأمل في هذا النص المتعلق بالنذور، فكرت في علاقة العهد القائمة بين الله وبيئنا. وما تعلمته من ذلك هو أنه تماماً كما يفي الله بأمانة بالعهد الذي قطعه معنا، يجب علينا نحن أيضاً أن نفي بأمانة بالنذور التي قطعناها له. فإذا قطعنا نذراً لله أثناء نيلنا نعمته وتقديماً صلوات التكريس، فلا ينبغي لنا أن نتوانى عن الوفاء بذلك النذر (جامعة 5: 4). وإذا قطعنا نذراً لله ولكننا أخفقنا في الوفاء به، أو تأخرنا في ذلك، فإننا نرتكب خطيئة في حقه. تأمل في هذا الأمر: إذا قطعنا نذراً لله ولم نَفِ به، ألا نكون بذلك كاذبين أمام إله الحق؟ وعلاوة على ذلك، إذا أخفقنا في الوفاء بنذر ما وحاولنا تبرير أنفسنا بادعاء أنه كان خطأً غير مقصود، فإن الكتاب المقدس يحذرنا قائلاً: "إِمَادًا يَعْضَبُ اللَّهُ عَلَى صَوْتِكَ وَيُفْسِدُ عَمَلَ يَدَيْكَ؟" (الآية 6). وهكذا، يقرر الكتاب المقدس أنه "أَنْ لَا تَنْذُرَ

خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْدُرَ وَلَا تَفِي" (الآية 5). وعلينا أن نصغي إلى كلمات الكتاب المقدس: "لأنَّهُ فِي كَثْرَةِ الْأَحْلَامِ وَالْأَقْوَالِ أَبَاطِيلُ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ أَحْسَنَ اللَّهُ" (الآية 7).

أود أن أشارككم صلاة عهدٍ للقس "أ. و. توزر": "يا رب! لقد خفتُ حين سمعتُ صوتك. ففي وقتٍ عصيبٍ وحرصٍ، دعوتني لأضطلع، بمهمةٍ مقدسة. إنك ستزِعُ الأمم والأرض والسموات، لكي لا يبقى إلا ما لا يتزعزع. يا رب، يا سيدي! لقد وضعتُ ذاتك ورفعتني مُقيماً إياي خادماً لك. لا أحد يستطيع أن ينال شرف الخدمة لك ما لم يكن مدعواً من الله، تماماً كما دُعي هارون. لقد منحتني التفويض لأكرز بالإنجيل لأولئك الذين قست قلوبهم وثقلت آذانهم عن السماع؛ ولأنهم رفضوك أنت -سيدهم- فإنهم سيرفضونني أنا أيضاً -خادمك-. إلهي! لن أضيع الوقت في رثاء ضعفي وعجزِي؛ فأنت -لا أنا- من يتحمل المسؤولية. لقد قلتُ: 'عرفتُك، وفرزتُك وقدستُك، وقلتُ أيضاً: 'اذهب إلى حيث أرسلك، وتكلم بكل ما أمرك به. فمن أنا لأجادلك؟ ومن أنا لأشكك في اختيارك السيادي؟ أنت -لا أنا- من يتخذ القرار. يا رب، أنت صاحب القرار؛ فلنكن مشيئتك لا مشيئتي. يا إله الأنبياء والرسل! إن مجدّتك، مجدّتي أنت ولذا، أيها الإله الرحيم، هبني أن أحفظ هذا العهد المهبب طوال مسيرة خدمتي، وأن أجلب لك المجد -سواء كنتُ أبحر مع رياح مواتيّة أو أجاهد ضد رياحٍ معاكسة-. هبني أن أحفظ هذا العهد ما دمتُ أنفُس -سواء في الحياة أو في الموت-. يا الله! لقد حان وقت تدخلك، وعملك؛ فقد دخل العدو مرعاك، ومزّق الخراف وشتتها. ومع ذلك، هناك الكثير من الرعاة الكذبة الذين يزعمون عدم وجود خطر متجاهلين المخاطر التي تحدق بقطيعك. والمؤسف أن الخراف -التي خدعها هؤلاء الأجراء- تتبعهم بحماس، بينما يقترب الذئب ليفتك بها ويهلكها. يا الله! أصلي أن تمنحني الحكمة لأدرك اقتراب العدو، والشجاعة لأعلن بأمانة ما رأيته. واجعل صوتي صدئاً لصوتك؛ وحينئذٍ، حتى المرضى بين الخراف سيسمعون صوتك من خلالي ويتبعونك. يا رب يسوع، بينما أمثل أمامك، هيّئي روحيّاً ضع يديك عليّ. امسحني بزيت نبي العهد الجديد. لا تجعلني مجرد كاتب ديني. احفظني من خطأ نسيان دعوتي النبوية. نجّني من، بذور اللعنة التي تبدو وكأنها ترتسم على وجوه الكثير من رجال الدين المعاصرين؛ تلك النزعة الملعونة للمساومة، وتقليد الآخرين والسقوط في فخ الروتين المهني. ساعدني لتجنب حماقة الحكم على الكنيسة من خلال حجمها، أو شهرتها، أو مقدار تقدماتها السنوية. دعني أتذكر أنني نبي، ولست مؤدياً استعراضياً أو إدارياً دينياً. لا تدعني أنسى أبداً هويتي كنبي. لا تجعلني خادماً للجماهير الصاخبة. اشفِ طموحاتي الجسدية؛ ونجّني من التوق إلى الشهرة... نجّني. كذلك، لا تجعلني عبداً للمقتنيات المادية. ولا تجعلني ممن يضيعون الوقت في الخمول داخل المنزل. يا الله! امنحني أن أتقّيك! وحينئذٍ سأبحث عن مكان للصلاة وأخوض معركة ضد الرئاسات والسلطين وولاة العالم على ظلمة هذا الدهر. ساعدني ألا أفرط في الأكل أو النوم. مكّني من ضبط نفسي لأصبح جندياً صالحاً ليسوع المسيح. أختار أن أعمل بجد في هذا العالم وأن أنال القليل في المقابل. أنا لا أسعى إلى منصب مريح. سارفض أي أساليب دنيئة قد تجعل حياتي أكثر راحة. وحتى لو سلك الآخرون الطريق السهل، فسأختار أنا الطريق الصعب دون أن أحكم عليهم بقسوة. سيكون هناك من يعارضني، ومع ذلك سأرد عليهم بهدوء. وعندما يحاول شعب الرب الطيب -كما يفعلون غالباً مع خدام الرب- أن يصروا على تقديم هدايا الامتنان لي، تثبّتي لكي لا أتعثر. امنحني الحكمة لأحسن استخدام ما يُعطى لي؛ فلا تتضرر نفسي ولا قوتي الروحية بسبب ذلك. وإذا منحتني، في تدبيرك العميق، كرامةً داخل كنيستك، فدعني أتذكر دائماً أمرين: أولاً، أنني غير مستحق حتى لأصغر نعمك؛ وثانياً، لو عرف الناس حقيقتي لما خصّوني بهذا المجد، أو لمنحوا هذا الشرف لمن هم أكثر استحقاقاً

مني. يا رب السماء والأرض! إنني أكرّس بقية أيامي لك؛ سواء قدّرتَ لها أن تكون قصيرة... أو جعلتَ حياتي مديدة. إن كانت مشيئتك، فأقيمني أمام العظماء؛ وإن كانت مشيئتك، فدعني أبحث عن البسطاء والفقراء وأخدمهم. لستُ أنا صاحب القرار في ذلك؛ بل حتى لو كان الخيار لي، لما اخترتُ شيئاً؛ فأنا لستُ سوى خادمٍ يُتَمَم مشيئتك. إن مشيئتك أعلى عندي من المكانة أو الثروة أو الشرف؛ فأنا أختار مشيئتك فوق كل شيء في السماء وعلى الأرض. لقد اخترتني ومنحتني مجد دعوة مقدسة وسامية. ومع ذلك أعنيّ لا أتذكر أنني لستُ سوى رمادٍ وتراب، وألا أنسى أبداً أنني إنسانٌ وُلد بنقائص وشهواتٍ فطريةٍ تلازم البشر. لذا، يا ربي ومخلصي، نجّني من نفسي؛ ولا تدعني أجرح روعي بينما أسعى لأكون بركةً للآخرين. املأني بقوة الروح القدس، لكي أسير بقوتك وأعلن برك. وطالما فيّ نفسٌ، سأُنشر رسالة حبك الفادي. وهكذا، أيها الرب المحب، حين أشيخ وأتعب ولا أعود قادراً على العمل، هيئ لي مسكناً في السماء، واجعلني في عداد قديسيك المقيمين في المجد الأبدي. أصلي باسم يسوع. آمين.

"لا تتفاجأ بهذا"

[سفر الجامعة 5: 8-9]

(Skyrose) "في ظهيرة يوم الثلاثاء الماضي، حضرت جنازة صهر أحد شمامسة الكنيسة. وفور وصولي إلى كنيسة "سكايروس اقتربت أولاً من النعش حيث كان يرقد، (Rose Hills Memorial Park) داخل مجمع "روز هيلز" التذكاري (Chapel) الراحل ووضعت يدي على يده؛ كانت يده باردة. أتذكر حين زرت في وحدة العناية المركزة بمستشفى "سانت فنسنت" ووضعت يدي على يده للصلاة، كانت يده دافئة؛ أما الآن، وقد دخل في نومه الأخير، فقد كانت باردة حقاً. بعد ذلك، حبيب العائلة المكلومة ودخلت غرفة خاصة للاستعداد لمراسم الجنازة؛ وهناك، قرأت وثيقة قدمها منسق الجنازات الأمريكي في "روز هيلز"، واكتشفت الذي كان قد فارق الحياة (Ju-young) "أن الراحل يشترك في نفس يوم الميلاد — الثالث من مارس — مع طفلي البكر "جو-يونغ بين ذراعي. ونتيجة لذلك، شاركت قصة "جو-يونغ" أثناء إلقاء الرسالة الروحية في الجنازة، معلناً بذلك عن "محبة الله" للعائلة الحزينة. ورغم أنني لم أكن أعرف الراحل إلا منذ أقل من ثلاثة أسابيع، إلا أنني - وبينما كنت أعبد الله - شعرت بأن الروح القدس يحرك قلبي نحو عائلته وإخوته، ويدفعني لإعلان كلمة الله بكل صدق وحماس. وفي ذلك المساء، دخلت الغرفة التي تتشاركها ابنتاي وأخبرت "ييري" - التي لم تكن قد نامت بعد - بتفاصيل الجنازة. شرحت لها أن (Ye-eun) "و-يي-أون (Yeri) "الحبيبتان "ييري للراحل ابنتين في سن المرحلة الثانوية كانتا تبكيان بمرارة لفقدان والدهما الحبيب، وأخبرتها أنني صليت إلى الله من أجل هاتين "الأختين. حينها سألتني "ييري": "إذن، عندما أصبح أنا و(يي-أون) في المرحلة الثانوية، هل سنكون هكذا أيضاً؟". يبدو أن "ييري تخيلت أنه عندما نصل هي وأختها الصغرى "يي-أون" إلى سن المرحلة الثانوية، سأكون قد فارقته الحياة وسيتم عليهما إقامة جنازتي. لذا، قلت لها: "حتى لو مات بابا، إذا أمّنت بيسوع، فسيكون لديك رجاء القيامة، وسنلتقي مرة أخرى في السماء". عندما "رأيت "ييري" تتأهب، مازحتها قائلاً: "أنت تشبهين والدتك تماماً؛ فكلمنا تحدثت -أنا والدك- عن أمر جاد، تشعرين بالنعاس، هاها". فضحكت هي أيضاً.

بعد حديثي مع "ييري"، تساءلت عما إذا كنت قد طرقت موضوع الموت مع أطفال لا يزالون صغار السن. ومع ذلك، كنت أرغب في تعليم أطفالنا حقيقة أنهم سيضطرون يوماً ما إلى فراقنا، مع الحرص -قبل كل شيء- على غرس الأمل في نفوسهم بالقيامة والجنة من خلال الإيمان بيسوع. ونتيجة لذلك، أصبحت الأحاديث عن الموت أمراً معتاداً في عائلتنا. غير أن هناك أوقاتاً أشعر فيها بالدهشة حقاً؛ فكلمنا ناقشت موضوع الإيمان والموت مع الأطفال، غالباً ما تقول ابنتنا الصغرى "يي-أون" أشياء تفاجئني، "على سبيل المثال، بينما كنت أقل الأطفال اليوم إلى الكنيسة، أخبرتهم عن زيارتي للمستشفى للاطمئنان على القس "غوميز

المسؤول عن خدمة الناطقين بالإسبانية في كنيسةنا. فقالت "بي-أون": "سُيُخَلَّصه الله لأنه يحب الله، ولأنه واعظ...؛ أشعر بالدهشة لأنها تطرح أفكاراً لم تخطر ببالي من قبل، وعندما أتأمل كلماتها، أشعر بأن تفكيرها يزداد عمقاً روحياً. وكثيراً ما يدهشني كيف ينظرون إلى كل شيء ويتحدثون عنه واضعين الله في صلب اهتمامهم

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 5: 8، يقول لنا الملك سليمان: "لا تتعجب من الأمر". وبعبارة أخرى، هو يوصينا ألا نُصاب بالذهول. فما هو الأمر الذي يطلب منا ألا نستغربه؟ إنه "ظلم الفقراء وانحراف العدالة". وبصيغة أخرى، يقول الملك سليمان إنه لا ينبغي لنا أن نُصدم حتى عندما نرى فلاحين فقراء يتعرضون للظلم ويُحرمون من حقوقهم. انظر إلى الشطر الأول من الآية في الإصحاح الخامس من سفر الجامعة: "إِذَا رَأَيْتَ ظُلْمَ الْفَقِيرِ وَنَزْعَ الْحَقِّ وَالْعَدْلَ فِي الْبِلَادِ، فَلَا تَتَعَجَّبْ مِنَ الْأَمْرِ". لقد كان 8 -ما شهد الملك سليمان في هذا العالم هو ظلم الفقراء. ومن كان يظلمهم وكيف؟ لقد رأى "مسؤولين كباراً" -أي إداريين مستبدين يظلمون الفقراء عن طريق تحريف العدالة. ومع ذلك، فإن الأمر المثير للاهتمام هو أننا نُوجَّه بالأنفاجاً أو نتعجب عندما نرى مثل هذه الأمور. لماذا لا ينبغي أن نُفاجأ بمثل هذه الأفعال الآثمة؟ وما هو السبب؟ أولاً، يجب أن نوضح أن الملك سليمان لا يبرر بأي حال من الأحوال الممارسات غير القانونية للمسؤولين المستبدين الذين يظلمون الفقراء (ويرسبي). بل إن سبب قول الملك سليمان لا تتعجب من الأمر"، يعود إلى أنه كان قد عاين بالفعل كل أشكال الظلم التي تحدث "تحت الشمس" (4: 1). وبعبارة أخرى، فإنه بعد أن رأى مراراً وتكراراً أصحاب السلطة يظلمون الضعفاء والمحرومين من القوة تحت الشمس - يقرر أن مثل هذه الأحداث - لا تدعو للدهشة. وبشكل أكثر تحديداً، لقد رصد الملك سليمان وجود الشر في أماكن القضاء، بل وفي المواضع التي كان ينبغي أن تسود فيها العدالة؛ ولذا، لم يكن مستغرباً بالنسبة له أن تدوس شخصيات شريرة ونافذة على العدالة وتظلم الضعفاء والمعدمين (3: 16).

لا عجب إذن أن نشهد أو نسمع عن تعرض أشخاص عاديين لا يملكون سلطة لسوء المعاملة وسلب الحقوق على يد الأثرياء وأصحاب (The) "النفوذ في هذا العالم؛ فهذه الوقائع شائعة للغاية. وهناك كتاب بعنوان "الحقيقة غير المسموعة: الفقر وحقوق الإنسان للمؤلفة إيرين خان، الأمينة العامة السابعة لمنظمة العفو الدولية، وهي (Unheard Truth: Poverty and Human Rights) أكبر منظمة لحقوق الإنسان في العالم. يركز هذا الكتاب على تحليل قضايا حقوق الإنسان الناجمة عن الفقر؛ ومن خلال هذا العمل سعت خان إلى إيصال فكرة مفادها أن السبب الجذري للفقر لا يقتصر على نقص الدخل فحسب، بل يكمن في التمييز الذي يواجهه الناس. خلال زيارتها لكوريا، وعقدها اجتماعاً خاصاً بعنوان "حقوق الإنسان: حان الوقت الآن" في قاعة الذكرى المئوية لمدرسة إيوا" الثانوية للبنات -بحضور نحو 400 عضو من منظمة العفو الدولية في كوريا- أفادت التقارير بأنها أدلت بالتصريحات التالية" خلال جلسة "مقابلة ساخنة" (تضمنت أسئلة وأجوبة مع الأعضاء) وحوار خاص مع "هونغ سي-هوا"، عضو لجنة التخطيط في يعيش هؤلاء الأشخاص في حالة من عدم الاستقرار، وهم مهمشون ومحرومون: (The Hankyoreh) *صحيفة *هانكيوري من صوت مسموع. وعلى وجه الخصوص، يُحرمون من حقوق أساسية مثل الحق في التعليم والصحة والسكن. وليس من قبيل المصادفة أن 70% من فقراء العالم هم من النساء. وعلاوة على ذلك، تضم فئة الفقراء أعداداً كبيرة من أبناء الأقليات العرقية

"والمهاجرين والشعوب الأصلية؛ فالناس يعانون من الفقر تحديداً *لأنهم* يواجهون التمييز، ويواجهون التمييز *لأنهم* فقراء (الإنترنت). وهناك قضية أخرى ندركها -بشكل كبير من خلال التغطية الإعلامية- وهي "عبودية الأطفال"؛ إذ تشير التقارير إلى تعرض الأطفال بشكل متكرر للإساءة والعمل القسري مع حرمانهم من حقوقهم، لا سيما في الدول الفقيرة. وقد قَدَّر تقرير صادر عام 2005 عدد هؤلاء الأطفال بنحو 12.3 مليون طفل. ويُقال إن الاتجار الدولي بالبشر -وهو (ILO) عن منظمة العمل الدولية شكل حديث لتجارة الرقيق- يطال ما بين 800 ألف و900 ألف شخص سنوياً، وتتراوح قيمته السوقية بين 10 مليارات و32 مليار دولار. وتُعد العبودية الحديثة ظاهرة عالمية؛ ففي الشرق الأوسط توجد عبودية الخدمة المنزلية، وفي جنوب آسيا توجد عبودية السخرة لسداد الديون، وفي أوغندا وسريلانكا توجد عبودية تجنيد الأطفال كجنود، بينما تشهد الدول المتقدمة معدلات مرتفعة من العبودية الجنسية. ويلجأ تجار الرقيق إلى وسائل شتى لتحويل البشر إلى عبيد، بما في ذلك العنف والاختطاف والاحتياط والترهيب وإعطاء العقاقير المخدرة. وهناك عصابات للاتجار بالبشر تترصد ضحاياها عبر وعود بوظائف جيدة أو سفر مجاني، بل إن هناك، أباءً فقراء يبيعون أطفالهم لتجار الرقيق المعاصرين. وتزدهر "صناعة الرقيق" الحديثة بفعل عوامل مثل تحسن وسائل النقل وتسهيل الأحكام القضائية، وضعف الرقابة على الحدود، وتواطؤ مسؤولين حكوميين رفيعي المستوى مع شبكات دولية لتجارة الرقيق؛ كما أن العولمة تغذي هذه الصناعة. لذا، يحثنا الملك سليمان على ألا تُفاجأ عندما نرى الفقراء يتعرضون للإساءة والحرمان من حقوقهم على يد مسؤولين ظالمين.

ثمة أمر في هذا العالم ينبغي أن يثير دهشتنا: وهو حقيقة أن المسؤولين الظالمين الذين يسيئون معاملة الفقراء يظلون غافلين عن وجود سلطات عليا فوقهم ستعاقبهم على شرورهم. تأمل الجزء الأخير من سفر الجامعة (5: 8): "...لأنَّ عَالِيًا يُرَاقِبُ الْعَالِي، وفوقهما، أعلى منهما". ورغم أن الملك سليمان لم يستغرب رؤية مسؤولين ظالمين في هذا العالم يسلبون الفقراء حقوقهم ويسيئون معاملتهم إلا أنه وجد أمراً محيراً حقاً: وهو غفلة هؤلاء المسؤولين عن وجود من هم أعلى منهم شأنًا وسلطة. وبحكم ما تمتع به سليمان من حكمة، كان يدرك وجود الرب -ملك الملوك- الذي يعلوه؛ في حين أن الملوك والمسؤولين الحمقى في هذا العالم، لافتقارهم إلى هذه الحكمة، عجزوا عن إدراك سيادة الرب العليا. ونتيجة لذلك، أساءوا استخدام سلطتهم لإيذاء الفقراء المستضعفين. وفي نهاية المطاف يسيء هؤلاء الحكام الحمقى معاملة الفقراء لأنهم لا يدركون أن الرب يعلوهم؛ فهم لا يفتقرون فقط إلى الخوف من الدينونة أثناء ارتكابهم لتلك الإساءات، بل إنهم يجهلون تماماً وجود مثل هذه الدينونة من الأساس. لقد وجد الملك سليمان هذا الجهل أمراً مذهلاً وشعر بحيرة خاصة تجاه سبب إساءة الحكام والمسؤولين معاملة المزارعين؛ وهم الأشخاص أنفسهم الذين توفر سوا عدهم محاصيل الأرض التي تضمن استمرار معيشة هؤلاء الحكام (الآية 9) (بارك يون-صن). أليس هذا أمراً غريباً؟ فالرؤساء والسياسيون والموظفون العموميون جميعاً يعتمدون في معيشتهم على العمل الشاق الذي يؤديه المزارعون والمواطنون العاديون؛ أفلا يثير الحيرة إذن أن نرى شخصيات ظالمة تسلب هؤلاء الناس حقوقهم وتسيء معاملتهم؟ وبينما كنت أتأمل في هذا النص، تذكرت ما ورد، في رسالة أفسس (6: 9): "وَأَيُّهَا السَّادَةُ، افْعَلُوا لَهُمْ هَذِهِ الْأُمُورَ، تَارِكِينَ التَّهْدِيدَ، عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَيْسَ عَنْدَهُ مَحَابَاةٌ". لماذا يسيء رؤساء العمل معاملة موظفيهم من خلال المحاباة والتهديد؟ السبب هو أنهم لا يدركون أن لهم هم أيضاً سياداً في السماوات؛ أي أنهم لا يقرون بوجود الرب. وحتى لو كانوا على دراية بوجود الرب، فإنهم يفشلون في الاعتراف بسيادته على حياتهم المهنية، مما يدفعهم إلى إساءة معاملة عمالهم وتهديدهم؛ ونتيجة لذلك، فهم يفتقرون إلى أي تقوى أو مهابة لله.

لأنهم لا يخشون الله البار، فهم لا يشعرون بأي رهبة عند ارتكاب خطيئة ظلم الفقراء؛ وبعبارة أخرى، إنهم يتصرفون بجرأة في ممارستهم للظلم. نحن نسيء استخدام الحقوق التي منحنا الله إياها لأننا لا نخشاه. ولهذا السبب أعلن الملك سليمان: "اتق الله" (سفر الجامعة 5: 7). يجب علينا أن نتقي الله ونضع في اعتبارنا أنه يرى ويفحص كل ما نفعله. وعلينا أن نتذكر بشكل خاص أن الله يرى الأيتام والأرامل والفقراء وشعبه الذين يتعرضون لسوء المعاملة؛ ولذلك، لا يجوز لنا أن نسيء معاملة الفقراء أو المزارعين المعدمين بحرمانهم من حقوقهم. بل ينبغي علينا، بصفتنا مسيحيين، أن نعتني بهم. علاوة على ذلك، عندما نشهد أو نسمع عن مسؤولين ظالمين يسيئون معاملة الضعفاء والمعدمين والفقراء، يجب علينا أن نصرخ إلى الرب -الذي يعلو فوق كل هؤلاء الحكام- وأن نصلي من أجل خلاص الله. كم من الأمور الآثمة نواجهها ونسمع عنها ونشعر بها ونحن نعيش في هذا العالم؟ لم نعد نشعر بالصدمة عندما نشاهد الأخبار أو نسمع تقارير عن أشخاص يقتلون بعضهم البعض. وحتى عند سماعنا عن قاتل ارتكب جريمة بوحشية -ورغم أن ذلك قد يثير تساؤلات حول مدى القسوة البشرية- فإننا لم نعد نتفاجأ حقاً؛ والسبب هو أن مثل هذه الأفعال تعكس الطبيعة البشرية الخاطئة. ولهذا السبب، لا أجد غرابة في القراءة عن المسؤولين الظالمين الذين وصفهم الملك سليمان في سفر الجامعة (5: 8-9)؛ أولئك الذين يدوسون على العدالة ويسبون معاملة الفقراء. لم أعد أجد مثل هذه السلوكيات البشرية الآثمة أمراً مفاجئاً. ومع ذلك هناك أمر آخر يثير اهتمامي في هذه الأيام -أمر يملؤني بالدهشة مراراً وتكراراً. يحدث ذلك عندما أشهد، بعيون وأذان روحية، كيف يعمل الله في حياتي الشخصية وفي حياة من أحبهم من حولي. على سبيل المثال، في هذا الصباح، وبينما كنت أشغل سيارتي متوجهاً إلى خدمة الصلاة الصباحية المبكرة وأشعلت هاتفي، وجدت رسالة صوتية بانتظاري. كانت رسالة من مبشر -لنطلق عليه اسم المبشر كيم"- يهتم بي وبكنيستنا اهتماماً بالغاً؛ فقد كان يتصل ليخبرني بأنه عثر أخيراً على عازف مرافق ممتاز. لقد رسم سماع تلك الرسالة ابتسامة على وجهي. لقد شكرتُ الله، مدركاً بذهولٍ دقة تدبيره في إرسال معاوني الذين تحتاجهم كنيستنا، وفي التوقيت الإلهي المثالي تماماً. ففي يوم الاثنين الماضي، وحوالي وقت الغداء، تحدثتُ هاتفياً مع إحدى الخادمت (الشماسات) بشأن حاجة كنيستنا إلى عازفٍ مرافق. كانت هي وزوجها قد وعدا بمساعدة كنيستنا لمدة شهر، ولما كان يوم الأحد القادم يمثل نهاية تلك الفترة، فقد شجعتهما على عدم القلق بشأننا، وأخبرتُهما بأنهما أحرار في العودة إلى كنيستهما الأصلية. وقلْتُ لها إن هذه الكنيسة قد أسسها الرب، وهو سيتولى رعايتها، فلا داعي للقلق. غير أنها أجابت بأنها لا تستطيع ببساطة التوقف عن مساعدتنا والعودة إلى كنيستها دون العثور على عازفٍ بديل. كثيراً ما يغمرني الدهول وأنا أرى كيف يعمل الله في كنيستنا؛ ومع ذلك، فكلما سرْتُ في طريق الإيمان، ازداد انبهارِي بتلك الحقيقة المذهلة: أن يسوع قد صُلب ومات من أجل خاطئٍ مثلي.

أيها الأحباء، نحن على وشك أن نشهد حدثاً سيذهلنا جميعاً: المجيء الثاني لربنا يسوع. في ذلك اليوم وتلك الساعة، لن نكتفي بمجرد المشاهدة، بل سنختبر أمراً يفوق الخيال. سنقف مبهورين أمام عودة الرب المجيدة، وسنختبر التحول المجيد المصاحب لها. وبينما نعيش على هذه الأرض -منتظرين ذلك اليوم بالصلاة والترقب- لیتنا نقدم الشكر والتسبيح والعبادة والمجد لله بروح ملؤها الدهشة المقدسة، مختبرين أعماله العظيمة وسط عالمٍ لم يعد يقدّر أمور الله.

العمال الذين ينعمون بنوم هائى

[سفر الجامعة 5: 10-12]

"هل تنعم بنوم هائى ليلاً؟ وفقاً للبروفيسور "يونغ-وون تشو" من قسم طب الأعصاب في مستشفى "دونغسان" التابع لجامعة "كيميونغ" وعضو الجمعية الكورية لأبحاث النوم، كشف استطلاع شمل 5000 شخص من البالغين الكوريين (رجالاً ونساءً) أن 1141 شخصاً عانوا من اضطرابات النوم الليلي، مما يعني أن حوالي 22.8% منهم كانوا يعانون من الأرق. وفي الغرب، تشير التقارير إلى أن ما يقرب من 20-30% من إجمالي السكان البالغين يعانون من اضطرابات النوم الليلي. وعلى الصعيد الشخصي، سمعتُ قصصاً تعود إلى حقبة الاستعمار الياباني، تروي كيف كانت الشرطة اليابانية تمنع الكوريين من النوم كوسيلة للتعذيب. فما أشد المعاناة التي يشعر بها المرء حين يعجز عن النوم؟ تشير الدراسات الحديثة إلى أن عدم الحصول على قسط كافٍ من النوم يؤدي إلى تفاقم الإجهاد الذهني وتدهور الصحة البدنية؛ بل إن الحالات الشديدة قد تجعل الشخص عرضة للإصابة بارتفاع ضغط الدم، والسكري، والسكتة الدماغية، والسرطان.

"العمال الذين ينعمون بنوم هائى** في الجزء الأخير من المزمور 127: 2، يقول المُرثَم الملك سليمان: "لأنه يُعطي حبيبه نوماً**". فما هي الفوائد التي يجنيها الجسم من الحصول على نوم جيد ليلاً؟ تظهر الأبحاث أن النوم أمر حيوي للتعافي من التعب، والنمو البدني، وتعزيز المناعة، وتنظيم درجة حرارة الجسم، والحفاظ على الوظائف الإدراكية والذاكرة. وفيما يتعلق بمدة النوم المناسبة حسب العمر، يظل الأطفال مستيقظين لنحو 30 دقيقة بعد الرضاعة في عمر الشهرين إلى ثلاثة أشهر، ثم تبدأ فترة نومهم في التقلص تدريجياً. وبشكل عام، يُنصح بمدة نوم تتراوح بين 16 و20 ساعة للرضع، و12 إلى 13 ساعة للأطفال الصغار (في مرحلة المشي)، و10 إلى 11 ساعة لتلاميذ الصفوف الابتدائية الدنيا و9 إلى 10 ساعات لتلاميذ الصفوف العليا، و8 إلى 9 ساعات خلال فترة المراهقة، و7 إلى 8 ساعات في مرحلة الشباب، و6 إلى 7 ساعات في منتصف العمر. وبالنسبة للبالغين في منتصف العمر، تبلغ المدة الموصى بها 6 إلى 7 ساعات؛ فإذا تمكن المرء من النوم بعمق لمدة ست ساعات متواصلة دون استيقاظ، فإنه يشعر بنشاط وحيوية حقيقيين عند الاستيقاظ. وعلى العكس من ذلك، إذا استيقظ المرء مراراً أو قضى ليلة مضطربة، فإنه يشعر بارهاق شديد في الصباح.

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة (الإصحاح 5: 12)، يقول الملك سليمان -الجامعة-: "نَوْمُ التَّعَبِ حُلُوٌّ، سَوَاءٌ أَكَلُ الْقَلِيلِ أَوْ الْكَثِيرِ، أَمَّا شَبَعُ الْغَنِيِّ فَلَا يَدَعُهُ نِيَامٌ". وبينما كنت أتأمل في هذه الآية، تبادر إلى ذهني عنوان "العامل الذي ينعم بنوم هادئ

فاتخذته عنواناً لهذه الرسالة وسألت نفسي: "كيف يتسنى للعامل أن ينعم بنوم هادئ ومريح هكذا؟" وقد وجدت إجابة أو اثنتين على هذا السؤال داخل النص:

أولاً، السبب الجوهري الذي يجعل العامل ينعم بنوم هادئ هو أنه يمارس العمل؛ وبعبارة أخرى، السبب في نومه الهادئ هو أنه يعمل بجد.

ينعم العامل بنوم هادئ لأنه يعمل بجد؛ أي أنه ليس كسولاً، بل يعمل باجتهاد ويبذل الجهد، مما يتيح له الاستمتاع بنوم هادئ. وفي المقابل، يذكر الكتاب المقدس أن الأغنياء لا يستطيعون النوم. فما السبب في ذلك؟ لقد حددت سببين محتملين:

السبب الأول هو الكسل. انظر إلى سفر الجامعة (4: 5): "الْجَاهِلُ يَطْوِي يَدَيْهِ وَيَأْكُلُ لَحْمَهُ". هنا، تشير عبارة "طي اليدين" (أو (1) سحب اليد) إلى أن "الجاهل لا يعمل". وبعبارة أخرى، الجاهل هو شخص كسول، والكسول يكره العمل (أمثال 21: 25) وعلاوة على ذلك، فإن أولئك الذين يكرهون العمل لا يبذلون عرق الجهد الشريف، وبالتالي لا يمكنهم الاستمتاع بنوم هادئ.

السبب الثاني يتعلق بالإفراط في الأكل. تأمل في سفر الجامعة (5: 12): "تَوْمُ التَّعَبِ حُلُوٌّ، سَوَاءُ أَكَلَ الْقَلِيلَ أَوِ الْكَثِيرَ، أَمَّا شَبَعُ (2) الْغَنِيِّ فَلَا يَدْعُهُ نِيَامٌ". من الناحية الجسدية، عندما نتناول وجبة كبيرة ونشعر بالشبع، يصعب علينا الاستلقاء والنوم براحة؛ وذلك لأن الطعام المستهلك يتطلب حركة جسدية لإتمام عملية الهضم، وإذا حاول المرء النوم دون القيام بمثل هذا النشاط، فإن امتلاء المعدة يحول دون الحصول على نوم مريح. من منظور مادي أيضاً، عندما نكون ميسوري الحال ومكتفين مادياً، فإننا نميل نحو نزعة الكسل الخاطئة؛ أي عيش حياة دعة وراحة دون عمل. وبغياب عرق العمل الشريف، لا يمكننا التمتع بنوم هادئ. وفي المقابل، فإن العامل الذي يكدر بجد ينعم بنوم هادئ بفضل ذلك العمل بالذات.

ما هو العمل؟ العمل هو فعل فاضل يمثل طاعةً لأمر الله بالكدر وكسب الرزق (بارك يون-سون). يجب علينا أن نكدر طاعةً لأمر الله، وانطلاقاً من تقوانا له. يجب أن نعمل بجد واجتهاد، وأن نبذل جهداً شاقاً يصل إلى حد التعرق. ومع ذلك، ثمة نقطة جوهريّة يجب تذكرها: وهي أن عملنا يجب أن يكون نافعاً. فالكثير جداً من المؤمنين ببسوع يعيشون حياة تتسم بأعمال عديمة الفائدة أو عقيمة؛ إذ يبذلون الجهد والعرق في مهام لا تعود بأي نفع، وهي أعمال عقيمة لا تثمر شيئاً ذا قيمة في نظر الله. ولهذا السبب قال الملك سليمان في سفر الجامعة (2: 22-23): "فَمَآذَا يَحْصُلُ الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ وَمِنْ اجْتِهَادِ قَلْبِهِ الَّذِي يَتَعَبُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ؟ لِأَنَّ كُلَّ أَيَّامِهِ أَوْجَاعٌ وَعَمَلُهُ غَمٌّ، حَتَّى فِي اللَّيْلِ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ". يجب ألا نخرط في أعمال عقيمة، وألا نعمل لمجرد تمجيد أنفسنا. فإذا بذلنا الجهد والعرق فقط لإشباع جشعنا، فلن نتتمكن من التمتع بالنوم الهادئ الذي يمنحه الله. بل ينبغي علينا القيام بعمل نافع حقاً. فأي نوع من العمل يُعد نافعاً في نظر الله؟ إنه العمل الذي يُؤدّي لمجد الله. وبعبارة أخرى، العمل النافع هو القيام بعمل الرب. وعندما نؤدي عمل الرب باجتهاد لمجده، يمنحنا الله نوماً هانئاً.

ثانياً، يستطيع العامل أن ينام قريح العين لأنه يشعر بالرضا في حياته.

أما الأغنياء فهم مختلفون؛ إذ يفتقرون إلى الرضا في حياتهم. ورغم امتلاكهم أموالاً وثروات طائلة، فإنهم لا يشعرون بالاكتماء أبداً ولن يشعروا به قط- تجاه دخلهم المتزايد باستمرار. وقد ذكر الملك سليمان ذلك قائلاً: "مَنْ يُحِبُّ الْفُضَّةَ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْفُضَّةِ، وَمَنْ- يُحِبُّ الثَّرَوَةَ لَا يَشْبَعُ مِنْ دَخْلِهَا. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (سفر الجامعة 5: 10). ويقول أيضاً: «كل شيء مُرهق، أكثر مما يُمكن وصفه فالعين لا تشبع من النظر، والأذن لا تشبع من السمع» (1: 8). ويُشير قوله بأن العين والأذن لا تشبعان أبداً إلى أنه، كما أن البحر لا يمتلئ أبداً رغم تدفق المياه إليه باستمرار (الآية 7)، فإن جشع الإنسان لا يعرف حدوداً. لذلك، عندما نُشبع جشعنا بالوفرة المادية يصعب علينا النوم. والسبب هو أن الجشع لا يُشبع أبداً. ولأنهم منشغلون باستمرار بكيفية كسب المزيد من المال وتكديس الثروة، لا يستطيعون النوم بسلام. باختصار، السبب في أن الأغنياء لا ينامون جيداً هو حبهم للمال، ولأن المال نفسه لا يُشبعنا حقاً، فهم لا يستطيعون إيجاد نوم هانئ. وكما تقول الآية المعروفة في رسالة تيموثاوس الأولى 6: 10: «محبية المال أصل كل الشرور»؛ فمن الطبيعي أن من يُحب المال لا يستطيع النوم بسلام. أما العاملون الذين يُحبون الله أكثر من المال، فيستطيعون النوم بسلام. بمعنى آخر، العمال الذين يبنذون الطمع في الثروة المادية ويعيشون في رضا وسكينة، مكثفين ببسوع وحده، ينعمون بنوم هانئ. فبفضل تخلّهم عن الطمع، ينعمون بسلام داخلي يُمكنهم من النوم جيداً. علاوة على ذلك، ولأنهم يعملون لمجد الرب - الذي يتجاوز مقدار الثروة المادية التي يملكونها - يمنحهم الله نوماً هنيئاً مريحاً. العمال الحكماء الذين يعيشون مكثفين بالرب وحده ينعمون بنوم عميق. هل تنعم أنت بنوم عميق؟

في عائلتي، يبدو أن الجميع ينعمون بنوم هانئ باستثناء ابني ديلان وأنا. ابنتي الكبرى، بيرى، تنام نوماً عميقاً جداً؛ فما إن تستلقي في الفراش حتى تغفو في غضون دقيقتين أو ثلاث. أعتقد أنها ورثت هذا عن والدتها. زوجتي أيضاً تغفو بسرعة كبيرة بمجرد استلقائها، منهكة بعد يوم عمل طويل وأعمال منزلية. كنت أقول لها دائماً: "يا له من شعور رائع أن تغفو بهذه السرعة!". أقول هذا لأنني لست من النوع الذي ينام نوماً عميقاً. هذا لا يعني أنني أعاني من الأرق. ومع ذلك، كلما تعذر عليّ الحصول على قسطٍ وافٍ من النوم الهانئ، أجد نفسي أفكر في أولئك الذين يعانون في سبيل النوم بعمق وراحة. وكثيراً ما أتساءل: "يا لمدى البؤس الذي لا بد أنهم يشعرون به". يا أصدقائي، إن النوم الهانئ نعمة عظيمة؛ وكما يخبرنا النص الكتابي اليوم، فإن القدرة على التمتع بنوم هادئ ومريح تُعدُّ بركةً كبرى. إن الله لا يمنح هذه البركة للأغنياء المكثفين بما لديهم، بل للعمال الكادحين الذين يعملون بجدٍ وإخلاص ويجدون الرضا والقناعة في حياتهم. فهل نعمل أنا وأنتم بجدٍ وتفانٍ من أجل الرب؟ وهل نتمتع بسلام القلب، واجدين كفايتنا ورضانا في الرب وحده؟

الله الذي يمنح الثروة والغنى، يُمكننا من التمتع بهما

[سفر الجامعة 5: 13-20]

هل تعرف من هو أغنى شخص في العالم؟ لقد اطلعنا الأسبوع الماضي على مقال إخباري عبر الإنترنت بعنوان "قائمة أثرياء العالم لعام 2010: بيل غيتس يتنازل عن المركز الأول"، وذكر المقال أن أغنى شخص في العالم لعام 2010 هو المكسيكي كارلوس سليم حلو (بصافي ثروة قدرها 53.3 مليار دولار). لقد كَوّن كارلوس سليم حلو ثروته من خلال تأسيس شركة وهو في السبعين من عمره، وتُعد الشركة التي يديرها الأكبر في مجال الاتصالات في أمريكا اللاتينية. ولتكوين فكرة عن مدى ضخامة ثروته، يُقال إنه إذا أنفق المكسيكيون 100 "ون" يومياً، فإن 70 "وناً" منها تذهب إلى جيبه. ووفقاً لمجلة "فوربس" الأمريكية المتخصصة في الأعمال، زاد كارلوس سليم حلو -رئيس مجلس إدارة شركة "تيلمكس" للاتصالات- صافي ثروته بمقدار 18.5 مليار دولار في عام واحد، ليصل الإجمالي إلى 53.5 مليار دولار (ما يعادل تقريباً 60.65 تريليون "ون")، ليصبح بذلك أغنى شخص في العالم. وتُعد هذه المرة الأولى منذ 16 عاماً -أي منذ عام 1994- التي ينتمي فيها أغنى شخص في العالم إلى دولة غير الولايات المتحدة. وعلى مستوى المناطق الجغرافية، سجلت آسيا أكبر عدد من المليارديرات الجدد في عام 2010، حيث بلغ عددهم 97 شخصاً وبالإضافة إلى ذلك، برزت الصين كثاني أكبر دولة من حيث عدد المليارديرات لأول مرة. أما كوريا الجنوبية، التي كان لديها أربعة مليارديرات فقط في العام الماضي، فقد ارتفع العدد فيها إلى 11 مليارديراً هذا العام؛ إذ قفز لي كون-هي، الرئيس السابق لمجموعة سامسونج"، من المركز 205 إلى المركز 100 بعد أن تضاعفت إجمالي أصوله لتصل إلى 7.2 مليار دولار. إذن، كيف أصبح هؤلاء الأشخاص أباطرة يملكون هذه الثروات الطائلة؟

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 5: 19، يقول الملك سليمان -الجامعة-: "وَأَيْضاً كُلُّ إِنْسَانٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ غِنًى وَمَالاً وَسُلْطَةً عَلَيْهِ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ وَيَأْخُذَ نَصِيبَهُ وَيَفْرَحَ بِتَعْنِيهِ، فَهُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ". من خلال الملك سليمان، ينبغي أن نتعلم ثلاثة دروس يمنحنا إياها الله.

أولاً، الله هو الذي يمنحنا الغنى والثروة.

هنا، لا تشير كلمة "نحن" إلى أولئك الموصوفين في سفر الجامعة (5: 10) بأنهم "محبون للفضة"؛ فالله لا يسبغ الغنى والثروة على محبي المال. وحتى لو منحهم إياها، فإنها تكون لعنة - أو شكلاً من أشكال العقاب - لا بركة. فكيف يمكن للغنى والثروة أن يتحولا

إلى لعنة أو عقاب لمحبي المال؟ أحد أشكال هذا العقاب هو نهم الطمع الذي لا يشبع؛ فعندما يجمع محبو المال المزيد منه، يزداد طمعهم حدة، مما يجعلهم عاجزين عن الشعور بأي رضا في الحياة. وهذا هو عين العقاب. يا لها من لعنة مريضة أن يحمل المرء قلباً طماعاً لا يرتوي أبداً! إن محبي المال، الذين يملكهم هذا الطمع النهم، لا يجدون سلاماً في قلوبهم. وفي هذا السياق، لا تعني كلمة نحن "محبي المال، بل محبي الله. بعبارة أخرى، يمنح الله الغنى والثروة للذين يحبونه. وهنا، يُقصد بـ "محبي الله" أولئك الذين يتقونه ويحفظون وصاياه. تأمل ما ورد في المزمور 112: 1-3: "هَلِّلُوا لِلرَّبِّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَتَّقِي الرَّبَّ، وَيَسْرُ بِوَصَايَاهُ كَثِيراً. تَكُونُ ذُرِّيَّتُهُ قَوِيَّةً فِي الْأَرْضِ، وَيُبَارِكُ جِيلُ الْمُسْتَقِيمِينَ. تَكُونُ الثَّرْوَةُ وَالْغِنَى فِي بَيْتِهِ، وَبِرُّهُ يَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ". إن الله يبارك من يتقونه ويسرون بوصاياه بأن يسبغ الثروة والغنى على بيوتهم. فكيف إذن يمنح الله بركة الثروة والغنى لمن يتقونه ويحفظون وصاياه؟ إنه يمنح هذه البركة بأن يعطيهم "القدرة على اكتساب الثروة" (تثنية 8: 18). أما الذين لا يتقون الله فلا يفكرون بهذه الطريقة؛ فبدلاً من الاعتراف بأن الله هو من منحهم القدرة على اكتساب الثروة، يعتقدون أنهم نالوا أموالهم بفضل قوتهم الذاتية. وبالنسبة لهؤلاء، تصبح الثروة المادية لعنة لا بركة.

ثانياً، الله هو الذي يُمكننا من التمتع الحقيقي بالثروة والغنى اللذين منحهما لنا. أعتقد أن أكثر الناس حماقة في العالم هم أولئك الذين يملكون ثروة طائلة ومع ذلك يعجزون عن التمتع بها. ويا لها من حماقة أن يبدد المرء تلك الثروة في ملذات تافهة، حتى وإن نجح في استخدامها! لماذا يفشلون بحماقة في الاستمتاع بثروتهم الوفيرة؟ لقد وجدتُ الإجابة في نص اليوم، سفر الجامعة 5: 13: "يوجد شر عظيم رأيته تحت الشمس: غنى محفوظٌ لصاحبه يؤول إلى ضرر". لماذا يعجزون عن الاستمتاع بثروتهم؟ لأن المالك يكس ثروته بطريقة تلحق به الأذى. يا له من تصرف أحمق! لماذا يتشبث الناس بالثروة لدرجة أنها تؤذيهم فعلياً؟ السبب الجذري هو أنهم يحبون المال -أو الممتلكات المادية- أكثر من أنفسهم. كيف يمكن للمال أن يكون أعلى من حياة الإنسان؟ قال الدكتور بارك يون-سون ذات مرة: "من الضار التضحية بالحياة من أجل شيء لا يمكن للمرء امتلاكه إلى الأبد". إنها حقاً حماقة جسيمة. لقد حاول الملك سليمان باستماتة التمسك بثروته -حتى على حساب نفسه- لكنه انتهى به المطاف بخسارتها كلها في كارثة؛ إذ بقي خالي الوفاض، ولم يتبقَّ لديه شيء يورثه لأبنائه (الآية 14). وهكذا لاحظ قائلنا: "كما خرج من بطن أمه، عرياناً يعود، ليذهب كما جاء؛ ولا يأخذ شيئاً من تعبته يحمله في يده. وهذا أيضاً شر عظيم: أنه كما جاء، هكذا يذهب. وأي ربح لمن تعب من أجل الريح؟" (الآيتان 15-16). في النهاية، نحن ندخل هذا العالم خالي الوفاض، ونغادره خالي الوفاض أيضاً. ومهما كدحنا لجمع الثروة، لا يمكننا أن نأخذ معنا شيئاً واحداً عند الموت. فما الفائدة من تكديس ثروات طائلة على حساب سلامة المرء وعافيته؟ إنه أمر عديم الجدوى إذا لم يستطع المرء الاستمتاع بالثروة ثم يفقدها كلها في النهاية بسبب كارثة ما. والنتيجة ببساطة هي أن "كل أيامه يأكل في الظلام، مع كثير من الحزن والمرض والغضب" (الآية 17). في النهاية، يكون الغني الأحمق قد قضى حياته بأكملها في سعي عبثي لا طائل منه، أشبه بمطاردة الريح. وفي المقابل، فإن الله يمنح محبيه -أو بالأحرى الحكماء الذين يحبهم الله- الثروة والوفرة، إلى جانب القدرة على التمتع الحقيقي بها. ثمة حقيقة هامة هنا يجب أن نضعها نصب أعيننا: وهي أن الله لا يكتفي بمنحنا القدرة على اكتساب الثروة الوفيرة فحسب، بل يُمكننا أيضاً من الاستمتاع الفعلي بتلك الثروة.

ثالثاً، الله هو الذي يمنحنا القدرة على إيجاد الفرح في عملنا

لقد رأى الملك سليمان العظيم شراً كبيراً تحت الشمس (الآية 13) يتمثل في صاحب ثروة يكسبها لضرر نفسه، ثم يفقدها كلها في حادثة سوء (الآية 14). وباختصار، كان ذلك الشر العظيم الذي رآه هو الجهد العبثي المتمثل في مطاردة الريح (الآية 16). ومع ذلك، فقد رأى الملك سليمان أيضاً أمراً حسناً وجميلاً (الآية 18). وتصف الآية 18 ذلك الأمر قائلة: "رأيت أنه حسنٌ وجميلٌ أن يأكل الإنسان ويشرب ويجد متعة في كل تعب الذي يكسبه فيه تحت الشمس طوال أيام حياته التي وهبها الله له؛ فهذا هو نصيبه المُقَدَّر فما رآه حسناً وجميلاً هو الشعور بالفرح أثناء الأكل والشرب والعمل في هذا العالم طوال فترة الحياة. وبعبارة أخرى، أدرك الملك سليمان أن إيجاد المتعة في الأكل والشرب والعمل هو أمر حسن وجميل (بارك يون-سون). ويضيف أن هذا هو النصيب الذي يمنحه الله للذين يكسبون. فماذا يعني "النصيب المُقَدَّر" هنا؟ في حين أنه يشير إلى "بركة يولد بها الإنسان"، فإن المعنى الأصلي للكلمة يشمل "الكَدَّ" و"العمل" و"المشقة" و"المعاناة". وجوهرياً، فإن هذه "البركة الفطرية" تكمن في ذات فعل الحياة المقترن بالعمل والكَدَّ وتحمل المشقة. والسؤال الجوهرى هو: هل يوجد فرح في القلب وسط ذلك العمل والكَدَّ والمشقة؟ هل تجد الفرح في قلبك وسط عملك الشاق وكَدِّك؟ وسواء منحنا الله الثروة والوفرة لنتمتع بها، أو نلنا نصيبنا وكَدِّنا وسط المشقة (الآية 19)، ينبغي لقلوبنا أن تفيض بالفرح. إن فرح القلب هذا هو هبة من الله (الآية 19). فالله هو الذي "يُشغلنا بفرح قلوبنا" (الآية 20). هل نتقبل حقاً ونتمتع بالفرح الذي يمنحه الله كعطية لقلوبنا؟ إن مقدار الثروة -سواء كانت كبيرة أو صغيرة- ليس هو الأمر المهم؛ بل المهم حقاً هو وجود الفرح في القلب. فإذا امتلأنا فرح القلب الذي يمنحه الله، فلن ننشغل كثيراً بالتفكير في أيام حياتنا (الآية 20). صلاتي هي أن نتمتع جميعاً بهذا الفرح الإلهي -هبة الله- وأن نعمل ونحن نصنع ما هو صالح وجميل في عينيه

اليوم، واستناداً إلى النص الكتابي، تعلمنا ثلاثة دروس من الله: (1) أولاً، أن الله هو الذي يمنحنا الثروة والوفرة؛ (2) ثانياً، أن الله هو الذي يُمكننا من التمتع بالثروة والوفرة التي منحنا إياها؛ و(3) ثالثاً، أن الله هو الذي يسمح لنا بأن نجد الفرح في عملنا. فكيف ينبغي لنا أن نعيش إذن؟ أتذكر كلمات سفر الجامعة (3: 12-13) التي تأملنا فيها سابقاً: "عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ خَيْرٌ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَفْرَحُوا وَيَفْعَلُوا الْخَيْرَ فِي حَيَاتِهِمْ. وَأَيْضاً أَنْ يَأْكَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَيَشْرَبَ وَيَرَى خَيْراً مِنْ كُلِّ تَعْبٍ، فَهُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ". حقاً، لا شيء أفضل من الفرح وعمل الخير أثناء العيش على هذه الأرض؛ ولا شيء أفضل من الاستمتاع بعملنا إلى جانب متعة الأكل والشرب. وإنني أمل أن ننال أنا وأنتم هذه الهبة من الله ونتمتع بها

ما هو الأهم من بركة الثروة والغنى...؟

وَكَذَلِكَ كُلُّ إِنْسَانٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ غِنًى وَمَالاً وَسُلْطَةً عَلَيْهِ، حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ وَيَأْخُذَ نَصِيبَهُ وَيَفْرَحَ بِتَعْنِيهِ، فَهَذَا هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ" (سفر الجامعة 5: 19).

هل من الخطأ أن نطلب من الله بركة الثروة والغنى؟ وهل يُعدُّ طلباً للبركات المادية خطيئةً بينما نعيش حياةً يثقل كاهلها الفقر في عالم يصعب فيه تدبير أمور المعيشة؟ وهل صحيح أن امتلاك ثروة طائلة لا يجلب السعادة حقاً؟

إذن، ما هي السعادة التي يتحدث عنها الكتاب المقدس؟ عندما أفكر في كلمة "سعادة"، تتبادر إلى ذهني آية أو آيتان من الكتاب المقدس أول نصٍ يخطر ببالي هو الشطر الأول من سفر التثنية 33: 29: "يَا إِسْرَائِيلُ، أَنْتُمْ حَقّاً شَعْبٌ سَعِيدٌ. أَيْنَ تَجِدُونَ أُمَّةً مِثْلَكُمْ، خَلَّصَهَا الرَّبُّ؟ هُوَ تُرْسُكُمْ وَسَيْفُكُمْ، يَحْمِيكُمْ وَيَمْنَحُكُمُ النُّصْرَ؛ سَيَرْكَعُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ، وَتَدُوسُونَهُمْ بِأَقْدَامِكُمْ". وبالنظر إلى هذا النص، نجد أن السعادة الموصوفة في الكتاب المقدس تكمن في الخلاص الذي يمنحه الله، وفي حمايته ومنحه النصر. ومثل شعب إسرائيل تماماً نحن الذين نؤمن بيسوع شعبٌ سعيدٌ لأننا نلنا الخلاص من الله ونحظى بحمايته ونصره. أما النص الثاني الذي يتبادر إلى الذهن فيوجد في سفر التكوين 39: 2 (الشطر الأول)، و3، و23 (الشطر الثاني): "كَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ، فَكَانَ رَجُلًا نَاجِحًا..." (الآية 3) "...لَأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ وَيُوقِفُهُ فِي كُلِّ (أ)؛" وَرَأَى سَيِّدُهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ، وَأَنَّ الرَّبَّ يُوقِفُهُ فِي كُلِّ مَا يَصْنَعُهُ، يَصْنَعُهُ" (الآية 23ب). تُظهر لنا هذه الآيات أن السعادة الحقيقية تكمن في حضور الله. فحتى في خضم التجارب والظلم والمعاناة فإن الشخص الذي يعتبره الله سعيداً هو الشخص الذي يسكن الله معه. ومن هذا المنظور، نحن -مثل يوسف- شعبٌ سعيدٌ، لأن -عمانوئيل (أي الله معنا) موجودٌ معنا. عند النظر إلى سياق سفر الجامعة 5: 19 - وتحديداً الآيتين 3 و6 من الإصحاح السادس - نجد كلمة تشير إلى "السعادة" (وقد تُرجمت في الإنجليزية بكلمة "الرخاء" أو "الازدهار"): "إِنْ وَلَدَ إِنْسَانٌ مِئَةً وَعَاشَ سِنِينَ كَثِيرَةً وَلَمْ تَشْبَعْ نَفْسُهُ مِنَ الْخَيْرِ [الرخاء]..." (الآية 3)؛ "وَلَوْ عَاشَ أَلْفِي سَنَةٍ وَلَمْ يَرَ خَيْراً [رخاء]..." (الآية 6). في هذه النصوص، تُترجم الكلمة التي تعني "السعادة" بكلمة "الرخاء"، وهي تشير تحديداً إلى الثروة والغنى اللذين يمنحهما الله (الآية 2). بعبارة أخرى، فإن بركة الثروة والغنى التي يمنحنا إياها الله تشكل جوهر السعادة؛ فعندما ننال بركة الثروة والغنى من الله، نكون بالفعل أشخاصاً سعداء ومع ذلك، يجب ألا ننسى أن هناك أمراً أكثر أهمية من بركة الثروة والغنى بحد ذاتها، ألا وهو بركة التمتع بتلك الثروة واختبارها فعلياً. لننظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 5: 19: "وَكَذَلِكَ كُلُّ إِنْسَانٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ غِنًى وَمَالاً وَسُلْطَةً عَلَيْهِ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ وَيَأْخُذَ نَصِيبَهُ وَيَفْرَحَ بِتَعْنِيهِ، فَهَذَا هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ". في هذا النص، يسلط الملك سليمان -الجامعة- الضوء على عدة نقاط: (1) الله يمنح بركة

الثروة والغنى؛ (2) الله يمنح هذه البركة من خلال عملنا؛ (3) الله يمكّننا من التمتع بهذه البركة؛ و(4) القدرة بحد ذاتها على التمتع بهذه البركة هي عطية من الله. غير أنه في الإصحاح التالي، سفر الجامعة 6، يتحدث الملك سليمان عن رؤيته لـ "بَلِيَّةٍ" (6: 1) - أمر نَقِيلُ عَلَى النَّاسِ" (الآية 1). وتتمثل تلك البلية في العجز عن رؤية سعادة المرء أو العثور على الرضا. فمن هو الشخص العاجز".
عن رؤية سعادته أو العثور على الرضا؟ إنه ذلك الذي نال بركة الثروة والغنى من الله، لكنه لم يُمنح القدرة على التمتع بها (الآية 2) فحتى لو أنجب المرء مئة ولد وعاش ألفي عام (الآيتان 3 و6)، كيف يمكن وصفه بالسعيد إذا كان عاجزاً عن التمتع بالثروة والغنى اللذين منحهما الله إياه؟ إن شخصاً كهذا هو إنسان تعيس. لذا، فإن نعمة القدرة على الاستمتاع بالمال والثروة أهم من نعمة امتلاكهما.

عبء ثقيل على القلب

[سفر الجامعة 6: 1-6]

ما الذي يثقل كاهل قلبك في هذه الأيام؟ وما الذي يضغط على روحك؟ بالأمس -يوم الثلاثاء- اصطحبْتُ أطفالي إلى أكاديميتهم التعليمية. وبينما كان "ديلان" و"بيري" يتلقيان دروسهما، خرجتُ لإجراء مكالمة هاتفية. وبعد انتهائي، اقترحت "بي-يون" -التي كانت قد تبعني إلى الخارج- أن نجلس في مكان ما، فذهبنا وجلسنا تحت شجرة. وقفتُ أمامها وسألتها: "كيف تسير حياتك؟" فأجابت جيدة". ولكن عندما سألتها عما يجعلها جيدة، اعترفت قائلة: "في الواقع، أنا متعبة". يبدو أن الحياة مرهقة حتى بالنسبة لطفلة في السادسة من عمرها. وماذا عنك أنت؟ هل تشعر بالإرهاق الجسدي والذهني؟ وهل العبء العاطفي الذي تحمله ثقيل؟ إذا كان الأمر كذلك، فأمل أن تقبل الدعوة التي يوجهها يسوع في إنجيل متى 11: 28-30: "تَعَالُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ. وَأَنَا أَرْحِمُكُمْ. اِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ".

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 6: 1، يقول الملك سليمان -الجامعة-: "شَرُّ رَأْيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ، وَهُوَ كَثِيرٌ بَيْنَ النَّاسِ". لقد تأملنا سابقاً في ذلك الشر العظيم الذي لاحظته سليمان في سفر الجامعة 5: 13-20؛ ذلك الشر العظيم تمثل في "غنى مُحْفُوظٍ لِصَاحِبِهِ لِضَرَرِهِ" (الآية 13). وعلاوة على ذلك، كان الأمر ينطوي على حراسة الثروة بما يضر بصاحبها، لينتهي به المطاف بفقدانها كلها في كارثة، دون أن يترك شيئاً يورثه لابنه. وفي النهاية، تماماً كما خرج الإنسان عرياناً من بطن أمه، هكذا يجب أن يعود؛ فلا شيء مما كسبه الإنسان بكده يمكن أن يأخذه معه في يده (الآية 15) -وهذا أيضاً شر (الآية 16). فما الفائدة من حراسة كل تلك الثروة لدرجة إيذاء النفس؟ وإذا حُلَّت كارثة وضاع كل شيء، ولم يتبقَّ أي ميراث للأبناء، فما الجدوى من ذلك كله؟ إنها حياة تأتي خالية الوفاض وترحل خالية الوفاض؛ وهذا حقاً شرٌ عظيم. ومع ذلك، رأى الملك سليمان شراً آخر في هذا العالم، شراً يثقل كاهل البشر فما هو هذا العبء الثقيل إذن؟ انظر إلى سفر الجامعة 6: 2: "يُعْطِي اللَّهُ الْبَعْضَ ثَرَوْهُ وَمَمْلَكَاتٍ وَكَرَامَةً، بَحِيثٌ لَا تَعُوزُ. (1: 6) نفوسهم شيئاً مما يشتهون، لكنه لا يمنحهم القدرة على التمتع بها؛ بل يتمتع بها غريبٌ عنهم. هذا باطلٌ وشرٌ عظيم". فالشر الذي يثقل كاهل الناس هو هذا: أن ينال المرء ثروةً وممتلكاتٍ وكرامةً من الله -وأن تتحقق كل رغبات قلبه- ومع ذلك يفتقر إلى القدرة على التمتع الفعلي بها؛ إذ يمنح الله متعة كل تلك الأشياء لشخصٍ آخر. فمن هو إذن ذلك الشخص الذي يسمح الله له بالتمتع بكل تلك الثروة والغنى والكرامة؟ انظر إلى سفر الجامعة 2: 26: "يُعْطِي اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَالْمَعْرِفَةَ وَالسَّعَادَةَ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يَرْضِيهِ، أَمَّا الْخَاطِئُ فَيُكَلِّفُهُ، بِمَهْمَةٍ جَمْعِ الثَّرْوَةِ وَتَكْدِيسِهَا لِيُسَلِّمَهَا فِي النِّهَايَةِ لِمَنْ يَرْضِي اللَّهُ...". وهذا يعني أن الله يجعل الخطاة يكدحون ويجمعون الثروة ليعطي تلك الثروة -التي جمعها الخاطئ- لمن يرضيه كي يتمتع بها. وهذا أيضاً باطلٌ و"شرٌ عظيم"؛ أي شرٌ يسبب المعاناة (الآية 2).

علاوةً على ذلك، فإن المأساة التي لاحظها الملك سليمان هي: حتى لو امتلك المرء كل تلك الثروة والغنى والكرامة، بل وأنجب مئة ولد وعاش حياةً مديدة، فقد يظل عاجزاً عن التمتع بكل تلك البركات طوال سنوات عمره الطويلة (الآية 3). تأمل في الأمر: ياله من شرٍّ مؤلم أن تنال بركات الثروة والغنى والكرامة والأبناء وطول العمر، ومع ذلك تعجز عن التمتع بتلك الوفرة أو العثور على السعادة في نفسك! وفضلاً عن ذلك، إذا لم يحظَ المرء -إلى جانب عجزه عن التمتع بهذه البركات- بدفنٍ لائقٍ عند موته، فيا له من مصدرٍ لمعاناةٍ عظيمة ("شرٍّ عظيم") بالنسبة للإنسان! ففي الشرق في ذلك الزمان، كان عدم الحصول على دفنٍ لائقٍ يُعد أقصى درجات الإهانة والمذلة. وهكذا، يُعلن الملك سليمان أن حال الطفل الذي يولد ميتاً أفضل من حال الشخص الذي لا ينعم بتلك الوفرة ولا يحظى حتى بدفنٍ لائقٍ عند موته (الآية 3). كيف يكون حال من أجهض أفضل من حال الشخص الذي لا يتمتع بالوفرة ولا يُدفن عند موته؟ تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 6: 4-5: "لأنه يجيء باطلاً ويذهب في الظلام، واسمه يُغطى بالظلام؛ ومع أنه لم يرَ الشمس ولم يعرف شيئاً، إلا أن له راحةً أكثر من ذاك الآخر". في تلك العصور، حتى لو عاش المرء حياةً مديدةً وأنجب أبناءً كثيرين، فإن موته دون أن يرثيه أحد ودون تكريم كان يُعد أسوأ حالاً من حال الرضيع المُجهض (ماك آرثر). إن الحياة التي تُجهض في الرحم لا ترى أبداً نور شمس هذا العالم ولا تعرف شيئاً — إذ تأتي باطلاً وتموت في الظلام — ومع ذلك فهي أفضل حالاً من الشخص الذي لا يتمتع حقاً بالبركات التي يمنحها الله (الثروة، والوفرة، والكرامة، والأبناء، وطول العمر) ولا يُدفن حتى عند موته؛ والسبب هو أن المُجهض ينعم بالسلام. بعبارة أخرى، حال الرضيع المُجهض أفضل من حال الشخص الذي يفوته التمتع بتلك البركات ويُحرم من الدفن اللائق، لأن الرضيع لا يشهد أبداً الشر المرتكب تحت الشمس (4: 3). ومهما طالبت حياة المرء في هذا العالم، إذا فشل في التمتع بالثروة والوفرة — وعاش بدلاً من ذلك وسط الكدح والحزن والمعاناة شاهداً على الشر المرتكب على الأرض، ثم مات دون دفنٍ لائقٍ — فإن حال الرضيع المُجهض يكون بالفعل أفضل؛ إذ ينعم ذلك الرضيع — رغم إجهاضه — بالتحلل من هموم العالم وآلامه وكدحه وعذابه، ويجد السلام. وفي هذا السياق، يخلص الملك سليمان إلى نتيجة قائلاً: "وإن عاش ألف سنة مرتين ولم يرَ خيراً، ألا يذهب كلاهما إلى المكان نفسه؟" (6: 6). وفي النهاية، سواء كان الأمر يتعلق برضيعٍ وُلد ميتاً أو بشخص نال شتى أنواع الثروة والغنى والكرامة وعاش ألفي عام — أي ضعف الألفية — فإذا مات دون أن ينعم بأي سعادة، ألا يعود كلاهما إلى المكان نفسه: التراب؟ وهكذا، ففي نظر الملك سليمان، يُعد هذا أيضاً شراً عظيماً وعبئاً ثقيلاً على البشرية.

أتذكر مناسبة في الكنيسة رثمنا فيها الترانيمة رقم 337 (التي كانت تحمل الرقم 363 سابقاً) بعنوان "كل محني وأعبائي الثقيلة"؛ وقد علّق أحد الحاضرين بأن ترنيمها جعله يشعر بشيء من الكآبة. في الواقع، أحد الأسباب التي تدفعني لترنيم هذه الترانيمة هو: رغبتني في إلقاء كل شيء أمام الرب يسوع حينما يكون قلبي منهكاً ومثقلاً بالأعباء. ولهذا، غالباً ما نرسم كلمات تسبيح كهذه:

،(المقطع الأول) حين أضع كل محني وأعبائي الثقيلة أمام الرب يسوع
ينظر إليّ في همّي ويحمل كل أعبائي على عاتقه
،(المقطع الثاني) حين أضع كل معاناتي والضيقاتي التي تحل بي أمام الرب يسوع

يُنَجِّني بنفسه ويغمرني بمحبته التي لا حدود لها
(المقطع الثالث) حين يزداد عبئي ثِقْلاً وأضعه أمام الرب يسوع
يُنَجِّني بنفسه ويحمل العبء بدلاً مني
(المقطع الرابع) حين أضع محن قلبي وخطاياي الشنيعة أمام الرب يسوع
يصبح يسوع قوتي ويمنحني القدرة على التغلب على العالم
(اللازمة) حين أحمل عبئاً ثِقِلاً وحدي وأنهار عاجزاً عن الاحتمال
فإن من يشفق عليّ ويخلصني - أي رب النعمة - هو يسوع وحده

ومع ذلك، كانت هناك أوقات ظل فيها قلبي مثقلاً حتى بعد ترنيم هذه الترانيمية. ويعود ذلك إلى أنني - بدلاً من اعتبار العبء خفيفاً بفضل الاتكال على الرب الذي يحمله - كنت أركز كثيراً على ثقل العبء ذاته الذي أضعه أمامه. ونتيجة لذلك، كنت غالباً ما أرغم بقلب مثقل وصوت متعثر. لكن، قبل نحو ثلاث سنوات، زرت الصين حيث كان يقيم راعٍ كبير في السن. وفي حوالي الساعة الرابعة فجراً، وبينما كنت مستلقياً في فراشي، سمعت ذلك الراعي يرنم هذه الترانيمية خلال اجتماع صلاة مبكر مع أشخاص من ذوي الإعاقة وشماس من أصل كوري؛ وأتذكر أن ترنيمه كان مفعماً بالقوة. لقد كان تسبيحاً قوياً وحيوياً، يخلو تماماً من أي شعور بالثقل كيف كان مثل هذا التسبيح القوي ممكناً؟ عندما أتأمل في هذا الأمر الآن، أؤمن بأن الراعي الأول قد وجد راحةً لنفسه لأنه استجاب وألقى بجميع أثقاله على الرب؛ مما مكنه من اعتبار حتى ذلك الحمل —بتواضع ليسوع— الذي يدعو المتعبين ومثقلي الأحمال الثقيل الذي وضعه الرب عليه حملاً خفيفاً. وإنني أصلي لكي نتلقى، من خلال نص اليوم، الرسالة التي يقصدها الله لنا؛ ولكي نتمكن كلما واجهنا متاعب هذا العالم التي تثقل كاهل قلوبنا- من أن نضع بتواضع أي أحمال ثقيلة أمام الرب، ونجد تلك الراحة لنفوسنا- التي لا يمنحها سواه.

هل تستمتع بالحياة؟

إِنْ أَنْجَبَ الرَّجُلُ مِئَةً وَلَدٍ وَعَاشَ سِنِينَ كَثِيرَةً — مَهْمَا طَالَ عُمُرُهُ — وَلَمْ يَسْتَمْتِعْ بِخَيْرَاتِهِ وَلَمْ يُدْفَنْ دَفْنَةً تَلِيْقُ بِهِ، فَأَقُولُ إِنَّ مَوْلُوداً مَيِّتاً خَيْرٌ مِنْهُ... وَلَوْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ وَلَمْ يَنْعَمْ بِخَيْرَاتِهِ، فَمَا الْفَائِدَةُ؟ أَلَيْسَ كِلَاهُمَا يَصِيرُ إِلَى الْمَصِيرِ نَفْسِهِ؟" (جامعة 6: 3، 6)

هل تستمتع بملذات الأكل والشرب؟ وهل تجد الرضا في عملك الجاد؟ يذكر الكتاب المقدس أن "يَأْكُلُ كُلُّ إِنْسَانٍ وَيَشْرَبُ وَيَسْتَمْتِعُ بِثَمَرَةِ كُلِّ نَعْيِهِ، فَهَذِهِ هِيَ عَطِيَّةُ اللَّهِ" (جامعة 3: 13). ويقول الكتاب المقدس إنه لا يوجد شيء أفضل لإسعاد قلب الإنسان (2) ويصف هذا الأمر بأنه حسن وجميل (5: 18). لذا، ينبغي لنا أن نستمتع بهذه العطية التي يمنحنا إياها الله ما دمنا قادرين (15: 8، 24) على ذلك؛ فالسبب هو أن وقتاً سيأتي قد نرغب فيه بالأكل أو الشرب ولكننا لن نستطيع، وسيأتي بالتأكيد وقت قد نرغب فيه بالعمل ولكننا سنكون عاجزين عن ذلك.

في نص اليوم — جامعة 6: 3 و6 — نلتقي بشخص تعيس حقاً. لقد نال هذا الشخص التعيس (الآية 1) ثروة وغنى وكرامة من الله ولم ينقصه شيء مما تمناه (الآية 2). ومع ذلك، ورغم كل هذا، فهو لا يجد الرضا (5: 10). وعلاوة على ذلك، وبسبب ممتلكاته الهائلة، تساوره الهموم بشأن هذا وذاك، فيعجز عن النوم (الآية 12). والمشكلة الخطيرة حقاً هي أنه يتمسك بثروته بطريقة تضره ونتيجة لذلك، يجد نفسه. في النهاية (الآية 13). ثم، حين تحل به كارثة، يفقد تلك الثروة ولا يتبقى له شيء يورثه لأولاده (الآية 14) مضطراً لقضاء حياته كلها في ظلام وحزن وألم وغضب ومرض (الآية 17). إنها حقاً مصيبة عظيمة (الآية 16). ففي النهاية يدخل الإنسان العالم عارياً؛ ومهما كدَّ وتعب لجمع الممتلكات، فإنه لا يستطيع أن يأخذ معه شيئاً حين يغادر هذا العالم (الآية 15) — بما أن الإنسان يغادر هذا العالم تماماً كما جاء إليه، فإن الانخراط في السعي العبثي للإمساك بالريح — هو أمر يستحيل تحقيقه ومع — يُعد مأساة عميقة (الآية 16). وتكمن المصيبة العظمى حين ينال المرء من الله كل ما قد يشتهي — من ثروة وغنى وكرامة ذلك لا يمنحه الله فرصة التمتع بها، بل يتمتع بها غريب مكانه (6: 2). يا له من أمرٍ عبثي ومؤلم! (الآية 2) وحتى لو أنجب المرء ثم مات دون أن يختبر الفرح، فإيا له من مصيرٍ بائس! (الآية 3) — مئة ولد وعاش حياةً مديدة — تمتد لألفي عام

أيها الأصدقاء، إن أفضل ما يمكننا فعله خلال هذه الحياة القصيرة التي وهبنا الله إياها هو أن نأكل ونشرب ونجد الرضا في عملنا فإذا منحنا الله الثروة والغنى، وأتاح لنا التمتع بهما وإيجاد السعادة في كدحنا، فإن ذلك يُعد عطيةً من الله (الآية 19). ولأن (5: 18) الله يملأ قلوبنا بالفرح، فإننا إذا قبلنا عطايا الله وتمتعنا بها، فلن ننتشغل كثيراً بقصر الحياة (الآية 20). لذا، دعونا جميعاً نقبل عطايا الله ونتمتع بها؛ فقد باركنا الله في المسيح بكل بركة روحية في السماويات (أفسس 1: 3). وأصلي أن يملأ فرح التمتع بتلك البركات الروحية السماوية قلوبكم.

حياة تُقضى كالظل

[سفر الجامعة 6: 7-12]

زرتُ المستشفى بالأمس، يوم الثلاثاء، للاطمئنان على أحد شمامسة كنيستنا. كان قد أُدخل المستشفى يوم الجمعة الماضي بسبب مشاكل في الرئة، وبدأ أن الفريق الطبي يجري فحوصات مستمرة لتحديد السبب ووضع خطة للعلاج. وعندما زرته صباح أمس، علّق الشماس قائلاً إنه بعد أن عاش خمسةً وثمانين عاماً، خلص إلى أن كل شيء في النهاية هو باطل. ولهذا السبب، تذكرت كلمات: الملك سليمان في سفر الجامعة وشاركك ذلك الشخص هذه الآية: "بَاطِلُ الْبَاطِلِ، قَالَ الْجَامِعَةُ: بَاطِلُ الْبَاطِلِ! الْكُلُّ بَاطِلٌ" (1) وحين سمعتُ هذه الخلاصة من رجلٍ مسنٍ عاش حياةً حافلة، وجدتُ نفسي أتأمل مجدداً في الكيفية التي ينبغي أن أعيش بها. (2) هذه الحياة؛ تلك الحياة التي هي، في الواقع، زائلة وبلا جدوى حقيقية.

في نص اليوم، سفر الجامعة 6: 12، يتحدث الملك سليمان - "الجامعة" أو المعلم - عن حياةٍ تُقضى "كالظل". فماذا يعني حقاً أن يقضي المرء حياته كالظل؟ فكّر في الأمر للحظة. ما الذي يتبادر إلى ذهنك عندما تسمع كلمة "ظل"؟ أول ما يخطر ببالي هو أن الظل لا يمكن الإمساك به أو امتلاكه. وثمة فكرة أخرى، وهي أن الظل يظهر ولكنه لا يبقى؛ إذ يتلاشى في لحظة. ويمكن تفسير: وصف الملك سليمان للحياة بأنها ظل بطريقتين

أولاً، الحياة التي تُقضى كالظل تشير إلى حياةٍ تمضي بسرعة (1).

تأمل ما ورد في سفر أيوب 14: 1-2: "الْإِنْسَانُ مَوْلُودٌ الْمَرَّةَ، قَلِيلُ الْأَيَّامِ وَشَبَعَانُ تَعَباً. يَخْرُجُ كَالزَّهْرَةِ ثُمَّ يَنْقَطِعُ، وَيَهْرُبُ كَالظِّلِّ وَلَا يَقِفُ". وكما لاحظ أيوب، فإن حياة الإنسان في هذا العالم قصيرة وملينة بالمعاناة؛ فهي تمضي بسرعة كالظل ولا تدوم. وتتردد أصداء هذه الحقيقة أيضاً في المزمور 90: 10: "أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَنَمَاتُونَ سَنَةً، وَأَقْصَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ، لِأَنَّهَا تَنْقَرُضُ سَرِيعاً فَتَطِيرُ". يصف موسى، كاتب المزمور، الحياة التي تمتد لسبعين أو ثمانين عاماً - والتي لا تحمل سوى المشقة والحزن - بأنها شيء يمضي سريعاً، وكأنه يطير مبتعداً.

"ثانياً، تشير عبارة "حياة تُقضى كالظل" إلى "كل أيام الحياة الباطلة" (2).

وبعبارة أخرى، تشير الحياة التي تمر كالظل إلى أيام الحياة القصيرة والباطلة (التي تفتقر إلى المعنى الحقيقي) في هذا العالم. لننظر إلى نص اليوم الوارد في سفر الجامعة 6: 12: "...حياة تُقضى كالظل، طوال أيام حياته الباطلة...". وبالعودة إلى النصوص التي تأملناها سابقاً في سفر الجامعة، نجد الملك سليمان يتحدث مراراً وتكراراً عن أمورٍ يصفها بأنها "باطل" (1: 2؛ 2: 15، 19، 21؛ 3: 19؛ 4: 7، 8؛ 5: 10) وبأنها "سعي وراء الريح" (1: 14، 17؛ 2: 11، 17، 26؛ 4: 4، 16)، متسائلاً "ما الفائدة؟" (23؛ ومصرحاً بأن بعض الأمور "بلا جدوى" (1: 3؛ 2: 11؛ 4: 8؛ 5: 11، 16). إن قضاء العمر -الذي يمضي سريعاً كالظل- في أنشطة عقيمة لا طائل منها، يعني عيش حياة باطلة. وبالطبع، لا ينطبق هذا الوصف على من يرضون الله؛ فالسبب يكمن في أن حياة من يرضون الله هي حياة مثمرة وذات مغزى في نظره، مهما قصرت مدتها أو كانت عابرة على الأرض. بل إن هذا النص يشير إلى الخاطي (6: 1-6) -وتحديداً ذلك الخاطي الذي يكون حاله أسوأ من حال السقط (المولود ميتاً). فمن هو هذا الشخص الذي يكون حاله أسوأ من السقط؟ إنه شخصٌ، رغم نيّله بركات من الله -مثل الثروة والغنى والكرامة والأبناء وطول العمر- إلا أنه لا يُمنح القدرة على التمتع بها، ولا حتى يحظى بدفنٍ لائق. إن حياة مثل هذا الخاطي تشبه الظل؛ إذ يقضي أيامه على الأرض في حالة من العبث حياةً باطلة؟ ولماذا تلك الحياة التي تنقضي بسرعة فائقة—والخلو من المعنى الحقيقي. لماذا إذن تُعتبر الحياة التي تمضي كالظل تفتقر إلى المعنى؟ ما هو السبب؟

أولاً، يكمن سبب كون الحياة التي تشبه الظل باطلة وعديمة المعنى في افتقارها إلى الاكتفاء والرضا (1)

كما سبق وذكرنا... ففي سفر الجامعة (1: 8)، قال الملك سليمان: "كُلُّ الْكَلَامِ يُعْيِي. لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُخْبِرَ. لَا تَشْبَعُ الْعَيْنُ مِنَ النَّظَرِ، وَلَا تَمْتَلِئُ الْأُذُنُ مِنَ السَّمْعِ". ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن العين والأذن لا تشبعان أبداً، مهما رأتا أو سمعتا. وبعبارة أخرى فإن الطمع البشري لا حدود له. ولذا، يعلن الملك سليمان أن هذا العالم باطل لأن الطمع البشري لا يمكن إشباعه أبداً. وهو يطرح فكرة مماثلة في نص اليوم، سفر الجامعة (6: 7): "كُلُّ تَعَبِ الْإِنْسَانِ هُوَ لَفَمِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْنَفْسُ لَا تَمْتَلِئُ". إن "الإنسان" الذي يشير إليه سليمان هنا هو ذلك الفرد المذكور في الآية 3—وهو شخص يُعتبر أكثر شقاءً حتى من الطفل المولود ميتاً، لأنه يعجز عن إيجاد الرضا لنفسه (بارك يون-سون). ومهما كدح هذا الشخص من أجل فمه، تظل شهوته غير مُشبعة؛ وباختصار، هو لا يجد ما يُشبع نفسه. لماذا يعجز عن إشباع نفسه؟ السبب هو أنه بينما لا يمكن لنفوسنا أن تجد الرضا الحقيقي إلا في الله وحده، فإنه يسعى لإشباع رغباته بعيداً عن الله. فالشخص الذي يفتقر إلى هذا الرضا في نفسه لا ينعم بمتعة حقيقية في الحياة؛ بل يكدح بلا طائل، ليعيش في النهاية حياة باطلة وعديمة المعنى قبل أن يواجه الموت.

ثانياً، تُعتبر الحياة التي تمضي كالظل باطلة وعديمة المعنى لأن المرء يفشل في السير في طريق الخلاص (2)

"انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة (6: 8): "لأنَّهُ مَا هُوَ فَضْلُ الْحَكِيمِ عَلَى الْجَاهِلِ؟ وَمَاذَا لِلْفَقِيرِ الْعَارِفِ السُّلُوكِ أَمَامَ الْأَحْيَاءِ؟ ما يقوله الملك سليمان هنا هو أنه فيما يتعلق بأمور هذا العالم، لا يوجد فرق بين الحكيم والجاهل إذا لم ينالا خلاص نفسيهما (بارك يون-سون). حتى وإن كان المرء متواضعاً ويتعامل مع شؤون الدنيا بحكمة، تظل النقطة الجوهرية قائمة: فبدون معرفة الله وبدون خلاص النفس، لا يجني هذا الشخص أي نفع حقيقي. ففي سفر الجامعة (الإصحاح 2: الآيات 12-17) -الذي تأملنا فيه سابقاً- ناقش الملك سليمان حال الحكيم والجاهل؛ وكان الدرس الجوهرى هناك هو: "لأنه ليس للحكيم ذكر إلى الأبد مثل الجاهل... وكيف يموت الحكيم كالجاهل! فكرهت الحياة... لأن كل شيء باطل وقبض الريح" (الآيتان 16-17). لا بد لكل من الحكيم والجاهل أن يسلك طريق الموت؛ وتكمن المسألة الحقيقية فيما يحدث *بعد* الموت. فالأمر المهم هو ما إذا كانت النفس ستنال الحياة الأبدية أم ستواجه الهلاك الأبدي. ومهما أدار المرء شؤونه على الأرض بحكمة وتواضع، إذا لم تكن نفسه تسلك طريق الخلاص، فماذا سيكون مصيرها بعد الموت؟ إن حياة تمضي سريعاً كالظل لا تحمل أي معنى إذا لم يؤمن المرء بيسوع ويسلك طريق الخلاص.

إذن، كيف ينبغي لنا أن نعيش لكي تكتسب حياتنا الزائلة -التي تشبه الظل- معنى وقيمة في نظر الله؟ بعبارة أخرى، ما هي طبيعة الحياة التي تكون نافعة وذات معنى حقيقي أمام الله خلال وقتنا القصير على الأرض؟

أولاً، إن الحياة النافعة وذات المعنى في نظر الله -رغم طبيعتها الزائلة- هي الحياة التي تجد اكتفاءها في الرب وحده.

إن النفع الحقيقي ومعنى الحياة لا يُوجدان إلا... في السلوك في طريق الخلاص من خلال الإيمان بيسوع، وعيش حياة تكتفي به وحده. علينا أن نطرح الطمع جانباً ونعيش في حالة من الرضا، واجدين ملء الاكتفاء في يسوع وحده. وبينما نمضي في رحلة الحياة الزائلة -التي تمر كالظل- يظل يسوع هو الوحيد القادر على إشباع نفوسنا. وحده يسوع قادر حقاً على تلبية أعمق احتياجات أرواحنا؛ ولأن نفوسنا تتوق إلى الأبدية، فإن يسوع الأبدي وحده هو القادر على إشباعها. وعلينا، على غرار الرسول بولس، أن نتعلم الاكتفاء في جميع الظروف؛ سواء في الوفرة أو في العوز (فيلبي 4: 11). لذا، ينبغي لنا أن نعيش مكتفين بيسوع وحده، مطيعين لكلمته وساعين وراء الأمور الأبدية؛ فهذا هو السبيل لنحيا حياة ذات مغزى حقيقي ونرضي الله طوال وجودنا الأرضي الزائل.

ثانياً، في حياة سريعة الزوال كالظل، تكون الحياة النافعة وذات المعنى في نظر الله هي تلك التي تؤدي فيها عمل الرب بتواضع وحكمة.

"تأمل في نص اليوم من سفر الجامعة 6: 8: "لأنَّهُ أَيُّ فَضْلٍ لِلْحَكِيمِ عَلَى الْجَاهِلِ؟ وَمَاذَا لِلْفَقِيرِ الْعَارِفِ بِالسُّلُوكِ أَمَامَ الْأَحْيَاءِ؟، ورغم أن هذه الآية تتحدث عن أولئك الذين لم ينالوا خلاص نفوسهم، إلا أننا إذا طبقنا مبدأها بشكل معاكس على من نالوا الخلاص، نجد أنها تشير إلى ضرورة أداء عمل الرب بتواضع وحكمة لنعيش حياة نافعة وذات مغزى أمام الله خلال وقتنا القصير على الأرض.

خلال اجتماع الصلاة في الصباح الباكر بالأمس، تأملت في الآية 17 من الإصحاح 15 من سفر صموئيل الأول، وتحديدًا في شخصية شاول. لقد كان شاول يرى نفسه صغيراً ومتواضعاً في البداية، لكنه استسلم للكبرياء لاحقاً؛ فأقام نصباً تذكاريًا لنفسه وسعى لأن يرفعه الآخرون ويعظموه، حتى بعد أن أخطأ بعصيان كلمة الله. قارنت تلك الشخصية التاريخية بحياتي الخاصة، واضعةً في المقابل مقارنةً بين الوقت الذي كنت أرى فيه نفسي صغيرة أيضاً وبين ميلي الحالي لتعظيم ذاتي. وفي خضم ذلك، حركني الروح القدس لأشعر بالأسى على خطيئتي وقادني للاعتراف والتوبة، فوجدت نفسي تغمرها مشاعر الحزن العميق. لقد دفعني الروح القدس لأطرح رغبتى المتكبرة في تعظيم الذات عند أقدام الصليب، ولأتخلى حقاً عما كان ينبغي تسليمه. لماذا منحني هذه النعمة؟ لأن الرب يريد مني أن أخدم جسده -أي الكنيسة- بتواضع. إنه يريدني أن أخدم مقتدياً بتواضعه ومعتمدًا على الحكمة التي يهبها، بدلاً من الاتكال على فهمي الخاص. وماذا عنك أنت؟ يجب علينا خدمة الرب بتواضع وبالحكمة التي تأتي منه؛ فمثل هذه الحياة القائمة على الخدمة المتواضعة والحكمة هي حياة نافعة وذات معنى في نظر الله.

ثالثاً، في حياة عابرة تمضي كالظل، تكون الحياة النافعة وذات المعنى في نظر الله هي تلك التي تتمتع بخيرات الحاضر. تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 6: 9: "مَنْظَرُ الْعَيْنَيْنِ خَيْرٌ مِنْ جَوْلَانِ النَّفْسِ. هَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ". وقد ترجم أحد العلماء هذه الآية على النحو التالي: "من الأفضل الاستمتاع بخيرات الحاضر بدلاً من التفكير في خيرات أخرى". بعبارة أخرى، يخبرنا الملك سليمان أن نستمتع بالحاضر ونشكر الله (بارك يون-سون). لقد تمثلت المأساة التي رصدها الملك سليمان في هذا العالم في أن الإنسان قد ينال بركات مادية، وبركة الأبناء، وبركة طول العمر من الله، ومع ذلك يفشل في الاستمتاع بها فعلياً (الآيات 1-6). فمثل هذا الشخص لا يجد في نفسه رضاءً أو فرحاً حقيقياً. وماذا عنك أنت؟ هل تجد الرضا في نفسك بينما تتمتع بكل البركات الروحية التي منحك إياها الله في يسوع المسيح؟ يجب علينا أن نتمتع، في حياتنا الحاضرة، بالبركات التي أنعم الله بها علينا بسخاء من خلال يسوع المسيح. على سبيل المثال، تأمل في البركة الروحية المتمثلة في التبني كأبناء لله؛ إذ ينبغي لنا أن نتمتع بهذه البركة بتواضع وحكمة في الحاضر، سامحين لنفوسنا باختبار الفرح الحقيقي. وللقيام بذلك، يجب علينا أن نطلب الله الأب. يجب أن نصلي، داعين الله الأب بلقب "أبا، أيها الأب". وفي أثناء ذلك، يجب أن نصغي إلى صوت الله الأب ونطيعه. وهكذا، ينبغي لنا أن نتعرف على قلب الله الأب. تصبح هذه الحياة—أي نتمتع بالفرح والبهجة اللذين يمنحهما الرب لنا ونحن نعيش حياتنا الزائلة التي تشبه الظل—وعندما نفعل ذلك نافعة وذات مغزى في نظر الله.

، هي الحياة التي تُعاش في طاعة للحق—على الرغم من طبيعة وجودنا الزائلة—ابعاءً، إن الحياة النافعة وذات المغزى في نظر الله، وتستند إلى مخافة الله.

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 6: 10: "مَا هُوَ كَائِنٌ فَقَدْ دُعِيَ بِاسْمِهِ مُنْذُ زَمَانٍ، وَعُرِفَ مَا هُوَ الْإِنْسَانُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَاصِمَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ". تشير هذه الآية إلى أنه بما أن مكانة الإنسان وحدوده أمام الله قد حُدِّدت مسبقاً، فإن دوره يقتصر ببساطة على مخافة الله وطاعة الحق في حياته اليومية، خطوة بخطوة (بارك يون-سون). أما أولئك الذين يعيشون حياة باطلة وعديمة المعنى، فهم

، لا يخافون الله. ونتيجة لذلك، فإنهم يخاصمون الله ويتجاوزون الحدود المرسومة لهم؛ إذ يتجاهلون الإله الذي حدد وجودهم ومكانتهم ويسعون بتهور ليصبحوا ما يشاؤون (بارك يون-سون). وهذا هو عين العيب (الآية 11). ففي الواقع، وبمعزل عن الله، تغدو حياة الإنسان بأسرها -التي تشبه الظل الزائل- حياةً عبثية (الآية 12) (بارك يون-سون). وفي المقابل، فإن الحياة النافعة وذات المغزى في نظر الله هي الحياة التي تتقي الله؛ ومن ثم تُعاش في طاعة لكلمته. وهذه هي بالتحديد خلاصة سفر الجامعة؛ إذ يلخص العدد "من الإصحاح الثاني عشر رسالة السفر قائلاً: "الْخُلَاصَةُ مِنْ كُلِّ مَا سُمِعَ: اتَّقِ اللَّهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ وَاجِبُ كُلِّ إِنْسَانٍ 13 وبينما كنت أتأمل في نص اليوم -سفر الجامعة 6: 7-12- طرحت على نفسي هذا السؤال: "كيف ينبغي لي أن أقضي ما تبقى من حياتي التي تمضي مسرعة كالظل الزائل؟" فالوقت ينقضي بسرعة فائقة، شأنه شأن الظل، ومع ذلك فإنني أتوق إلى عيش حياة نافعة حقاً وذات مغزى في عيني الله. أريد أن أحيا حياةً أجد فيها اكتفائي في الرب وحده، وأن أنجز العمل الذي ائتمنتني عليه بتواضع وحكمة. وعلاوة على ذلك، وفي خضم ظروف الرهانة، أريد أن أقدر البركات الروحية التي أغدقها الله عليّ في يسوع المسيح وأن أتمتع بها. ومن خلال ذلك، أرغب في أن أعيش مطيعاً لكلمة الله -ممتقياً إياه- تماماً كما خلص الملك سليمان في سفر الجامعة. وإنها لصلاتي أن يصبح هذا الالتزام عينه صلاتي وصلاتكم اليوم.

"الأحياء يضعون ذلك في قلوبهم"

[سفر الجامعة 7: 1-4]

الكورية خلال بث الساعة الحادية عشرة ليلاً قبل فترة من الزمن. كان YTN أتذكر مشاهدة تقرير إخباري مثير للاهتمام على قناة التقرير يدور حول "مركز لمحاكاة تجربة الموت" في مقاطعة "جيونغ جي" بكوريا، حيث يمكن للناس محاكاة تجربة الموت. كان المشاركون يلتقطون صوراً جنازية لأنفسهم، ويكتبون ويقرؤون وصاياهم، بل ويحملون صورهم إلى غرفة الموتى لتلاوة تلك الوصايا بصوت عالٍ. رأيت العديد من هؤلاء المشاركين يذرفون الدموع، لا سيما أثناء قراءة وصاياهم. ولم يقتصر الأمر على قراءة الوصايا فحسب، بل كانوا يصعدون فعلياً داخل التابوت؛ ثم يقوم شخص آخر بوضع التراب ببطء فوق الغطاء. وبينما كنت أشاهد تساقط التراب -بفواصل زمنية تخلق صوتاً مميزاً- تخيلت أن سماع ذلك الصوت أثناء الاستلقاء داخل التابوت يجعل تجربة الموت تبدو واقعية للغاية بالنسبة للأحياء. وغالباً ما كان من خاضوا هذه التجربة يقولون إنها ولدت لديهم رغبة في العيش لفترة أطول، وإنهم فكروا في عائلاتهم بشكل أساسي أثناء هذه العملية. وفي مقابلة أجريت معه، أوضح مدير المركز أنهم أطلقوا هذا البرنامج لمساعدة الناس على الاستعداد لـ "موتٍ صالح" في عصر مهووس بـ "الرفاهية". ورغم أن البعض قد يفكر قائلاً: "لم يعد هناك شيء لا يخترعونه هذه الأيام"، إلا أنني شخصياً رأيت أنها فكرة رائعة؛ فأنا أو من بأنها تجربة مفيدة إذا ساعدت الناس على إدراك حقيقة الموت والاستعداد له بصدق.

"في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 7: 2، يقول الملك سليمان -الجامعة-: "الأحياء يضعون ذلك في قلوبهم". فما هو "ذلك إذن؟ إنها حقيقة أن المصير النهائي للجميع هو الموت. انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 7: 2: "الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة، لأن ذلك هو نهاية كل إنسان...". نحن بحاجة إلى التأمل بعمق في موتنا الخاص. يجب أن نأخذ على محمل الجد حقيقة أننا يوماً ما سننزل أيضاً من هذا القطار ونصل إلى وجهتنا النهائية. ومن منظور الموت، يجب علينا أن نتأمل بصدق وفي كل لحظة، كيف ينبغي لنا أن نعيش. فما الذي يجب علينا فعله لتحقيق ذلك؟ يقدم لنا الملك سليمان وسيلة ممتازة في سفر الجامعة ما هي تلك الطريقة؟ إنها ببساطة "الذهاب إلى بيت النوح" (الآية 2). بعبارة أخرى، يُعد حضور الجنازة وسيلةً قويةً للتأمل 2: 7 في الموت. ولعلّه لا توجد طريقة أفضل للتأمل العميق في حقيقة فنائنا من حضور الجنازة؛ فبينما نحزن على الراحل، نُدفع نحن الباقين في هذا العالم للتفكير في طبيعة الموت الذي سنواجهه بأنفسنا. شخصياً، كلما حضرت جنازةً وشعرت بحقيقة الموت بحدة

أكبر، غالباً ما تخطر ببالي فكرة محددة: لكي أموت ميتةً حسنة، يجب أن أعيش حياةً حسنة. وفي النهاية، يمنحني الشعور بالموت الذي نختبره في الجنازة فرصة للتأمل في كيفية عيش حياة صالحة.

يجب أن نعيش حياةً حسنة لكي نموت ميتةً حسنة. ولكن، ماذا يعني أن نعيش حياةً حسنة؟ وكيف يمكننا معرفة ما إذا كنا نعيش كذلك؟ يبدو أن تقييم ما إذا كان المرء قد عاش حياةً صالحةً أم لا لا يمكن أن يتم حقاً إلا بعد الموت. فكيف لنا أن نعرف إذن؟ يمكننا العثور على الإجابة من خلال التفكير في أسمائنا. بعبارة أخرى، يمكننا قياس كيفية عيشنا لحياتنا من خلال النظر فيما إذا كان الناس سيتحدثون عنا بالخير -أو العكس- عندما يتبادر اسمنا إلى أذهانهم في جنازتنا. يقول مثلٌ قديم إن لكل إنسان ثلاثة أسماء: (1) الاسم الذي يطلقه عليه والداه، (2) الاسم الذي ينادينا به الآخرون، و(3) الاسم الذي نكتسبه لأنفسنا. فأي نوع من الأسماء نكتسبه نحن؟ بصفتنا مؤمنين بيسوع، يجب أن نتأمل فيما إذا كانت أسمائنا تستحق الثناء -ليس من الله فحسب، بل من الناس أيضاً- لأننا عشنا حياةً بارّة. يقول سفر الأمثال 10: 7: "ذَكَرُ الصِّدِّيقِ لِلْبَرَكَةِ، وَاسْمُ الْأَشْرَارِ يَنْحَرُ". وهذا يعني أن اسم البار يُكْرَم ويُمدح حتى بعد الموت؛ إنه اسم مبارك. واستعارةً لكلمات نص اليوم في سفر الجامعة 7: 1، إنه "اسم حسن". يخبرنا الكتاب المقدس أن هذا الاسم الحسن أفضل من "الطيب الثمين"؛ فالاسم الحسن أثمن من الثروة الدنيوية.

ولكن، أين تكمن المشكلة؟ إنها الغريزة البشرية التي تفضل "بيت الوليمة" على "بيت النوح"؛ فنحن نفضل الضحك على الحزن (الآية 3). يفضل الناس الانغماس في الملذات الجسدية على زيارة عائلة المتوفى (بارك يون-سون). ومع ذلك، فإن المتعة الجسدية عقيمة ولا طائل منها (2: 11). فالذهاب إلى الولائم للاستمتاع بملذات الدنيا لا يحمل أي نفع في نظر الله؛ بل إن ما ينفع في نظره هو زيارة بيت الحزن واختبار مشاعر الأسى. لماذا يُعد الحزن أفضل من الضحك؟ السبب هو أن "حزن الوجه يُصلح القلب" (الآية 3). ماذا يعني هذا؟ يعني أن التأمل في الموت والشعور بالحزن يلين قلوبنا (بارك يون-سون). وعندما تلين القلوب، لا نضيع حياتنا. (3) في السعي وراء ملذات دنيوية تافهة؛ بل على العكس، حين تلين القلوب، يطيع الإنسان كلمة الله بتواضع ويعيش حياة ترضيه. ولهذا السبب يقول لنا الملك سليمان: "قَلْبُ الْحُكَمَاءِ فِي بَيْتِ النَّوْحِ، وَقَلْبُ الْجُهَالِ فِي بَيْتِ الْفَرَحِ" (7: 4).

لا ينبغي لقلوبنا أن تقيم في "بيت الفرح" -أي في أماكن الولائم حيث يغمس المرء في الإشباع الجسدي- بل يجب أن تكون قلوبنا في بيت الحزن". ينبغي لنا أن نفضل حضور الجنازات؛ فهناك، في حضرة الميت، علينا أن نتأمل في حقيقة فناننا؛ إذ إننا حين يدعونا الرب، سنرحل نحن أيضاً، فالموت هو المصير المحتوم لنا جميعاً (الآية 2). لذا، وبينما نتأمل في موتنا، يجب أن نفكر في كيفية عيش هذا اليوم بطريقة جميلة في نظر الله. علينا أن نترك وراءنا "اسماً حسناً" في هذا العالم؛ اسماً جميلاً يُحفر في قلوب أبنائنا وذريتنا. وما هو أجمل الأسماء على الإطلاق؟ إنه اسم "يسوع". وبصفتنا مؤمنين نتبعه، يجب أن نعيش حياة تشبه حياته، تاركين ذكريات عن يسوع في نفوس ذريتنا وجيراننا الذين سيحضرون جنازتنا يوماً ما. وهكذا، عندما يفكر أبنائنا أو ذريتنا أو حتى جيراننا في أسمائنا، ينبغي أن يثير ذلك ثناءً صادقاً؛ وعلاوة على ذلك، وبينما ينعي الناس رحيلنا، ينبغي أن ترتفع أصواتهم بالشكر والحمد لله.

لنتخذ منظور الموت نهجاً لحياتنا

ذَهَابُ الْإِنْسَانِ إِلَى بَيْتِ النَّوْحِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى بَيْتِ الْوَلِيمَةِ، لِأَنَّ ذَاكَ هُوَ نِهَايَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَيَضَعُ الْحَيُّ "ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ" (سفر الجامعة 7: 2)

منذ بداية العام الجديد، حضرْتُ جنازتين؛ كلتاهما في غضون أسبوع واحد. وقد دفعتني المشاركة في هاتين المناسبتين إلى التأمل، مجدداً في الآية الثانية من الإصحاح السابع في سفر الجامعة. وبينما كنت أتأمل حقيقة أن الموت هو المصير المحتوم لجميع البشر، واستوعب هذه الحقيقة بقلبي كإنسان لا يزال حياً، وجدت نفسي أتساءل مرة أخرى: "كيف ينبغي لي أن أعيش إذن؟". وقد ازداد عمق هذا التأمل وتأثيره في نفسي اليوم بعد تلقي أخبار عن عمي العزيز، القس "كيم تشانغ-هيوك"، إذ أفاد الأطباء بأن ما تبقى له من عمر لا يتعدى أسبوعين أو ثلاثة. ومع تأملي لتلك الآية مجدداً، تولد لدي يقين راسخ بضرورة أخذ هذه الحقيقة على محمل الجد. ووسط هذه الأفكار، شعرت بتحدٍ يدعوني لأن أعيش حياتي واضعاً منظور الموت نصب عيني.

لماذا ينبغي لنا أن نعيش واضعين منظور الموت في اعتبارنا؟ لأن ذلك يعود علينا بفوائد عظيمة. وما هي تلك الفوائد؟ رغم تعددها، أود أن أشارككم ثلاث نقاط رئيسية.

أولاً، عندما نعيش واضعين منظور الموت في اعتبارنا، فإننا نقر بعجز الإنسان وضعفه، مما يقودنا إلى الاعتماد الكلي على الله.

لقد جعلني حضور هاتين الجنازتين أدرك مجدداً أننا كبشر جُبلنا من التراب، وإلى التراب نعود حتماً. وتذكرت ما يقوله الكتاب المقدس: إننا أشبه ببخار يظهر قليلاً ثم يضمحل (رسالة يعقوب 4: 14). وأمام الموت، لا يسع المرء إلا أن يشعر بمدى عجز الإنسان وضعفه؛ فمهما بلغت قوة المحارب، أو شهرة المرء وثراؤه، لا بد لكل إنسان أن يواجه حدود قدراته وعجزه حين يواجه الموت. إنني أؤمن بأن على الشباب -مثلي- أن يبذلوا جهداً خاصاً لحضور الجنازات؛ ففي تلك الأجواء يمكننا أن ندرك تماماً مدى ضعفنا أو بالأحرى، التخلي عن اعتمادنا—الإنسان وهشاشته. ولماذا يتحتم علينا بذل هذا الجهد؟ الأمر يتعلق بتجريد أنفسنا من قوتنا الذاتية. على أنفسنا لكي نتمكن من الاتكال على قدرة الله وجبروته.

ليس فقط في نظر الآخرين، بل بصدق وكلية أمام الله. ففي مواجهة حقيقة الموت القادم، يتحتم علينا تنحية قوتنا—علينا أن نتواضع الذاتية جانباً، والانحناء أمام الله، والاعتماد على قدرته. ومن خلال الجنازات، ينبغي أن نتعلم أن الله هو صاحب السيادة المطلقة على الحياة والموت وجميع أقدارنا؛ وبعبارة أخرى، يجب أن نتعلم الإقرار بسيادة الله. علينا أن نتقبل حقيقة أن حياتنا تعتمد كلياً على الرب، وللقيام بذلك، لا بد لنا من مواجهة أنفسنا من منظور الموت.

على الصعيد الشخصي، كثيراً ما أجد متعة في ترنيم الترانيم، ولا سيما الترنيمة رقم 543 (التي كانت تحمل الرقم 342 سابقاً) بعنوان "عندما تأتي التجارب" (أو "سأثق في يسوع"). تقول كلمات المقطع الأول واللازمة (القرار) ما يلي: (المقطع الأول) "عندما تأتي التجارب ويضعف إيماني، أستند أكثر فأكثر على الرب الذي أثق به"؛ (اللازمة) "مع مرور السنين، هو وحده من أستند إليه؛ ومهما واجهت في طريقي، فإنني أثق في يسوع". فمن خلال المحن التي يواجهها أحبائي حالياً، يساعدي الله على إدراك مدى التقدم في العمر والخضوع—هشاشة إيماني؛ ونتيجة لذلك، يقودني الرب لأعتمد عليه وحده. وبينما أشهد واقع الوجود البشري أتعلم عن الضعف البشري وعن قوة الله العظيمة. ولهذا السبب، أرغب أكثر من أي وقت مضى في النظر إلى—الحتمي للمرض. حياتي من منظور الموت. ثانياً، عندما نعيش واضعين الموت نصب أعيننا، فإننا نسعى وراء الأمور الأبدية بدلاً من الأمور الزائلة.

كثيراً ما نقول إننا نأتي إلى هذا العالم خالي الوفاض ونغادره كذلك. ومع ذلك، ورغم معرفتنا بهذه الحقيقة، فإننا نعيش حياة مليئة وإن لفترة—بالانشغال، ساعين لملء أيدينا بالأشياء. وغالباً ما تكون المشاركة في جنازة أحد الأحباء هي اللحظة التي تدفعنا للتأمل في كيفية عيش حياتنا ولأي غاية. لكننا سرعان ما ننسى القرارات التي اتخذناها أثناء الجنازة، ونعود إلى حياة محمومة—وجيزة لا تهدأ، نحاول فيها ملء أيدينا من جديد. ما هي إذن نتيجة العمل الشاق دون العثور أبداً على الراحة الحقيقية؟ في النهاية، نرحل إلى القبر خالي الوفاض.

أما بالنسبة للمؤمنين حقاً بيسوع، فإن الجنازة تشكل مناسبة للنظر إلى الحياة من منظور الموت، والتفكير في كيفية عيش الأيام المتبقية التي يمنحنا الله إياها على الأرض. ومن خلال ذلك، نحول تركيزنا من الأمور الأرضية إلى الأمور السماوية، ونختار السعي وراء الأبدية بدلاً من الزائل. ندرك أن هذا العالم ليس وطننا؛ فمثل أبطال الإيمان في الكتاب المقدس، نتوق إلى وطن أفضل ونسير نحو السماء (عبرانيين 11). ولماذا هذا؟ لأن النظر إلى الحياة من منظور الموت يقودنا إلى الاتفاق مع الملك سليمان على أن الأمور الدنيوية التي نسعى وراءها عديمة الجدوى تماماً. وإذ ندرك أن الأبدية وحده هو الذي يبقى بعد زوال هذا العالم، نتعلم التخلي عن الأشياء الزائلة التي اشتبهيناها يوماً—متوقفين عن إعلانها أهمية كبرى—ونعقد العزم مجدداً على تقدير ما هو أبدي حقاً والعيش لأجله. إنني أعقد العزم مجدداً على العيش من أجل الرب الأبدية، معلناً الإنجيل لنفوس خالدة بمحبة أبدية ووفقاً للكلمة الأبدية.

بينما أتأمل أجساد أحيائي -الذين أتوا من التراب وإليه يعودون- أو أنظر إلى التوابيت التي تضمهم، أجد نفسي أتأمل في موتي وجنازتي. أفكر في معنى الكلمات الواردة في سفر الجامعة 7: 1: "يَوْمُ الْمَوْتِ [خَيْرٌ] مِنْ يَوْمِ الْوَلَادَةِ". لقد أعلن الملك سليمان الحكيم أن "الاسْمُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الطَّيِّبِ الثَّمِينِ" (الآية 1)؛ وأتساءل عما إذا كان اسم "جيمس كيم" سيُذكر بكل تقدير ومحبة في قلوب من وضعهم الله في حياتي بعد رحيلي. أتخيل كم من الناس قد يذكرون اسمي ويقولون: "لقد سعى جيمس كيم وراء الأبدى، وها هو قد انتقل الآن إلى العالم الأبدى الذي طالما تاق إليه بشدة". ولكي نعيش في هذا العالم كأشخاص ينتمون إلى العالم الآتي، يجب علينا أن ننظر إلى الحياة من منظور الموت. بعبارة أخرى، يجب أن نعيش بروية أبدية، ساعين وراء الأمور الأبدية بينما نحن غرباء في هذا العالم.

ثالثاً، يمكننا استغلال وقتنا على أفضل وجه عندما نعيش واضعين حقيقة الموت نصب أعيننا.

إن من يعيشون واضعين الموت في اعتبارهم هم حكماء، والحكماء يسعون وراء ما هو أبدي. ومن ثم، فإن الشخص الحكيم يعيش مدققاً جداً في سلوكه، لا كجاهل بل كحكيم" (أفسس 5: 15). فعلى سبيل المثال، لا يسعى الحكيم وراء الخلاعة الناتجة عن السكر" (الآية 18)، مدركاً أن حياة كهذه هي حماقة (الآية 17). ونظراً لإدراكهم أن الأيام شريرة، فإنهم يستغلون وقتهم أفضل استغلال (الآية 16). إنهم يفهمون مشيئة الرب ويسعون لتحقيقها (الآية 17). ونتيجة لذلك، يعيشون ممثلين بالروح القدس، مقدمين التسبيح والعبادة لله من صميم قلوبهم (الآية 19). وعلاوة على ذلك، فإنهم يعيشون "شاكرين كل حين على كل شيء لله الأب، باسم ربنا يسوع المسيح" (الآية 20).

إنها حقيقة واقعة في الحياة: كلما تقدمنا في العمر، أدركنا مدى سرعة مرور الوقت؛ ومع ذلك، هناك بالطبع من يتجاهلون هذه الحقيقة ويبددون أوقاتهم. فكيف إذن يمكننا الاستفادة القصوى من هذا الوقت الذي يمضي سريعاً؟ أعتقد أن حضور الجنازات والتأمل في حقيقة موتنا الشخصي هو إحدى الطرق للقيام بذلك. فحتى لو كنا نعيش عادةً في انشغال دائم وكأننا سنعيش إلى الأبد، فإن حضور جنازة شخص عزيز يمنحنا لحظة -على الأقل- للنظر إلى حياتنا والتأمل في مصيرنا النهائي. يجب علينا أن نفكر في الكيفية التي ينبغي أن نعيش بها حياتنا وكيف ينبغي أن نختتمها. والسبب هو أن جنازتي أنا أيضاً ليست بعيدة؛ فالفرق في التوقيت ضئيل ولا يكاد يذكر، تماماً كالمقارنة بين أحجام ثمار البلوط. أنا الآن أقترّب من سن الخمسين؛ وإذا كان متوسط العمر سبعين أو ثمانين عاماً فهذا يعني أنني قد عشت بالفعل أكثر من نصف حياتي. وبالطبع، لا أعرف متى سيدعوني الله للرحيل إليه. ولسبب ما، أجد نفسي في هذه الأيام أتأمل في أهمية عيش كل يوم بيومه، إذ لا أحد يعلم ما يخبئه الغد. بما أن الله قد وهبني هذا اليوم، فإنني أسعى ببساطة لأعيشه بالكامل لمجده؛ أما الغد، فإن أذن الله به، فأنا أؤمن أنني أستطيع عيشه بنفس الروحية. لا أرغب في الانشغال بالماضي، ولا أشعر بالحاجة للقلق بشأن المستقبل بحجة الاستعداد له. كل ما أصبو إليه هو حياة أسير فيها مع الرب؛ حياة تفيض بالفرح والبهجة، والامتنان. أؤمن بأنني لو عشت بهذه الطريقة، فسأتمكن من الوقوف أمام الرب بقلب شاكر حتى لو حانت منيتي الليلة. ففي النهاية ما الذي يمكن فعله حيال السنوات التي انقضت؟ لا أعلم كم من الوقت أبقيه الله لي على هذه الأرض - ولا أظن أنني بحاجة لمعرفة

ذلك - لكنني أريد ببساطة السعي وراء الأمور الأبدية معتمداً على الرب يوماً بيوم. أرغب في السير مع الرب، وإتمام الخدمة التي أئتمني عليها، والعيش لمجده.

يعاني القس المحبوب "كيم تشانغ-هيوك" حالياً من ضعف جسدي شديد. أتذكر رؤيته وهو يجد صعوبة حتى في النهوض من الأريكة بمفرده. ومع ذلك، وفي خضم ذلك الضعف، أتذكر كيف كان يترنم بقوة بمقطع من الترانيمه رقم 40 - "نفسى تسبح عظمة الرب وجلاله" - معتمداً كلياً على الله. ورغم أن جسده واهن للغاية، إلا أن روحه تحلق كالعقاب نحو السماوات؛ روح تسبح عظمة الله، وجلاله وتستند كلياً إلى الله الأزلي. وانضماماً مني - وإن كان بشكل متواضع - إلى صلاة القس المخلصة بأن يتجلى مجد الله وحده، فإنني أعلن هذا الاعتراف أمام الله وأمامكم جميعاً: "حتى وأنا على قيد الحياة، أرغب أن أعيش كمن مات". أرغب في العيش واضعاً الموت نصب عيني. وتحقيقاً لذلك، أريد أن أصغي لمشورة الحكماء وأن أحضر الجنازات. وفي تلك الجنازات، وبصفتي إنساناً لا يزال حياً، أريد أن أتأمل في الموت - تلك النهاية للحياة في هذا العالم. أريد أن أستشعر ذلك في أعماق كياني؛ أريد أن أحفره عميقاً في قلبي، مراراً وتكراراً. وبهذا المنظور للموت، أريد أن أقضي ما تبقى لي من أيام - معتمداً أكثر فأكثر على الرب وساعياً وراء ما هو أبدي. أو من بأنني بفعل ذلك، حتى وإن متُّ، سأحيا إلى الأبد. آمين.

توبيخ الحكيم

[سفر الجامعة 7: 5-7]

هل سمعت يوماً بمصطلح "مرض الراعي"؟ لقد سمعتُ هذا التعبير لأول مرة من زميلٍ لي في الخدمة الرعوية قبل أسبوع أو أسبوعين تقريباً. كان يشير إلى أننا -نحن الرعاة- نعاني من علةٍ محددة، ألا وهي "مرض الراعي"، والمقصود به تلك الرغبة الملحة في تعليم الآخرين. وبدا أنه كان يقصد تحديداً الرعاة الرئيسيين (أو كبار الرعاة) مثلي. وبعبارة أخرى، كان المعنى الضمني هو أنه بينما يتمثل "مرض" الراعي الرئيسي في الدافع لتعليم الآخرين، فإنه غالباً ما يكون سيئاً في الإصغاء عندما يحاول الآخرون تعليمه *هو*. بصراحة، لم أجد ما أقوله رداً على ذلك؛ فقد اتفقت معه تماماً، إذ رأيتُ علامات هذا المرض نفسه في داخلي إنه شعور ثقيل ومُبَصِّر أن أدرك إصابتي بهذه الحالة، لا سيما وأنني كنتُ أرغب بشدة في تجنبها. والأمر محبط بشكل خاص بالنظر إلى أنني كنتُ أسعى لعيش "خدمة البرية" -أي التركيز على تدريب نفسي لسماع صوت الرب والتأمل في كلمته- لأجد نفسي في النهاية مصاباً بهذا الداء. وعند التأمل في أصل المشكلة، تذكرتُ الفريسيين في العهد الجديد؛ فأدركتُ أنني بينما كنتُ منشغلاً بتعليم الآخرين، كنتُ مُقَصِّراً في تعليم *نفسي*. وما هي النتيجة؟ الكبرياء. وحين يترك الكبرياء من المرء، فإنه يعجز عن الإصغاء ليس فقط لصوت الله، بل أيضاً لكلمات الإخوة والأخوات الأحباء.

"منذ فترة وجيزة، وخلال خدمة صلاة في الصباح الباكر، تأملتُ في نص صموئيل الثاني 12: 7 تحت عنوان: "أنت هو الرجل تصور هذه القصة الكتابية المألوفة النبي ناثان وهو يوبخ الملك داود على خطيئته. فبعد أن ضاجع بثشبع -زوجة أوريا- وعلم أنها حُبلى، حاول الملك داود التستر على خطيئته، وانتهى به الأمر بارتكاب جريمة قتل حين دبر مقتل جنديه المخلص أوريا. ولأن الأمر الذي فعله داود قُبِّح في عيني الرب" (الآية 27)، أرسل الله النبي ناثان لتوبيخ داود على أخذه زوجة أوريا، مستخدماً مثلاً عن "رجل غني ورجل فقير في المدينة نفسها (12: 1-4). في حالة من الغضب الشديد، صرَّح داود لناثان قائلاً: "حيّ هو الرب، إن الرجل الذي فعل هذا يستحق الموت" (الآية 5). ولعل داود -بسبب محاولاته المستميتة لطمس خطيئته لدرجة أنه أسكت ضميره- لم يدرك أنه هو نفسه من "يستحق الموت". وحينها وبَّخه ناثان مباشرة قائلاً: "أنت هو الرجل!" (الآية 7). يا له من توبيخ صادم! فمن المؤكد أن داود لم يعتبر نفسه الشخص الذي "يستحق الموت"، ولذا لا بد أنه أصيب بذهول تام عندما وجَّه ناثان أصابع الاتهام إليه فعندما نعجز عن إدراك حقيقة خطايانا، ثم يكشف الله القدوس أفعالنا على حقيقتها، ألا يشكّل ذلك صدمةً لضمائرنا؟

في نص اليوم، المأخوذ من سفر الجامعة (7: 5)، يقول لنا الملك سليمان: "سماع توبيخ الحكيم خيرٌ من سماع غناء الجهال". لقد تأملنا سابقاً في كلمة الله -مع التركيز على سفر الجامعة 7: 1-4- تحت عنوان: "والحي يضع ذلك في قلبه". وقد تعلمنا أن علينا نحن، الأحياء أن نتأمل بعمق في حقيقة أن الموت هو المصير المحتوم لنا جميعاً. كما تعلمنا أنه لكي ننخرط في مثل هذا التأمل العميق فمن الأفضل زيارة بيت النوح بدلاً من بيت الولايم حيث يغمس المرء في الملذات الجسدية. وهكذا، يخبرنا الملك سليمان في سفر الجامعة (7: 4): "قلب الحكماء في بيت النوح، وقلب الجهال في بيت الله". إن قلب الحكيم لا يسكن في بيت الله -ذلك المكان المليء بالبطلان والعبث- بل في بيت النوح، حيث يتأمل المرء بجدية وعمق في حقيقة الموت، تلك النهاية الحتمية للجميع. وبواصل الملك سليمان حديثه عن الحكيم في نص اليوم (سفر الجامعة 7: 5-7)؛ فبينما ركزت الآيات 1-4 على "قلب الحكيم"، تركز الآيات 5-7، على "توبيخ الحكيم". ومن خلال هذا النص، فإن الرسالة التي يوجهها الله إلينا هي: "استمعوا إلى توبيخ الحكيم". في النهاية 7-5 من ذا الذي يستمتع بتلقي التوبيخ؟ إن طبيعتنا البشرية الخاطئة والساقطة تتوق إلى المديح من الآخرين، ولا تملك أدنى رغبة في سماع التوبيخ. شخصياً، لدي تساؤل حول الأسلوب الكوري التقليدي في تربية الأطفال الذي كان شائعاً في جيل والدي، وتحديدًا مفهوم "ماجايون" (أي ضرب الحصان الذي يركض جيداً بالسوط)؛ إذ لم أفهم تماماً قط سبب الحاجة إلى استخدام السوط مع حصان يعدو بالفعل بكفاءة وسرعة. أجد نفسي أكثر ميلاً واعتياداً على الأسلوب الأمريكي في التربية، وأعني بذلك تحديداً حرص الآباء على مدح أبنائهم وتشجيعهم. أتذكر مشهداً رأيته ذات مرة على التلفاز لأطفال يلعبون كرة القدم، ولا تزال لحظة محددة من ذلك البث عالقة في ذاكرتي؛ فقد رأيت طفلاً صغيراً يركل الكرة نحو المرمى لكنه يخطئ الهدف. ورغم هذا الإخفاق، وقف شخص بالغ -بداً أنه والد الطفل- على خط التماس يصفق ويهتف: "أحسن! عمل رائع!". وفي المقابل، قد يقول الأب الكوري التقليدي شيئاً مثل مهلاً، ألم تستطع حتى تسجيل تلك الكرة؟ يا له من أمر مخيب للآمال". ومن خلال حضورى لمباريات كرة القدم الخاصة بابني "ديلان" في مناسبات عدة، لاحظت أنه في هذه الأيام، غالباً ما تكون الأمهات -وليس الآباء فقط- هن الأكثر حماساً وانفعالية؛ إذ يبدو أنهن يهتفن ويشجعن بحماس وشدة أكبر. بالطبع، هذا لا يعني أنني أؤيد الأسلوب الأمريكي في التربية تأييداً مطلقاً؛ فأنا أؤمن شخصياً بأن تربية الأطفال تتطلب توازناً بين النهجين: المديح (أو التشجيع) والحزم (أو "السوط"). وكما أن الحصان الذي يعدو جيداً يحتاج إلى السوط ولكنه يحتاج أيضاً إلى التربيته والتهديته، فإنني أؤمن بأن الأطفال بحاجة إلى كلا الأمرين. ومن هذا المنظور، فإن الدرس الذي يقدمه لنا الملك سليمان في سفر الجامعة (الإصحاح 7: الآية 5) هو أن توبيخ الحكيم خيرٌ من مديح (أو تشجيع) الجاهل. لننظر إلى الآية 5: "سماع توبيخ الحكيم خيرٌ من الاستماع إلى أغنية الجاهل". فما هي إذن "أغنية الجاهل" التي يتحدث عنها سليمان؟ إنها تشير إلى "الراحة الزائفة التي يمنحها الأشرار" (حسب تفسير باريك يون-سون). إنه يحذرنا من الانخداع بالراحة الزائفة التي يقدمها الأشرار. ولماذا ينبغي علينا الحذر من هذه الراحة الزائفة؟ يوضح الملك سليمان السبب في الآية السادسة من نص اليوم: "لأنه كصوت فرقعة الشوك تحت القدر، هكذا ضحك الجاهل؛ وهذا أيضاً باطل". باختصار، السبب الذي يدعونا للحذر من "أغنية الجاهل" هو أن هذه الراحة عديمة الجدوى؛ إذ تُشبه هذه التفاهة بـ "فرقعة الشوك". فماذا يعني —أي الراحة الزائفة التي يقدمها الأشرار— ذلك؟ وما الذي يتبادر إلى ذهنك عند التفكير في احتراق الشوك؟ إنها تُصدر صوتاً عالياً ومُفرقعةً، أليس كذلك؟ ومع ذلك، فهي تعجز عن توليد الحرارة اللازمة لغلي الماء في القدر. وبما أن "الشوك" غالباً ما يرمز إلى الأشرار في الكتاب المقدس (صموئيل الثاني 3: 10)، فإن سليمان يوضح أن أصوات الراحة الزائفة التي يقدمها الأشرار —والتي غالباً ما تظهر وسط سعيهم 6: 23—

قد تبدو مريحة للحظة عابرة، لكنها سرعان ما تتلاشى؛ فهي لا تقدم عزاءً حقيقياً. وفي الجوهر، تُعد راحة —وراء الملذات الجسدية— الأشرار أمراً بلا معنى. لذا، فإن ما ينبغي علينا الإصغاء إليه ليس أغنية الجاهل، بل توبيخ الحكيم.

في سفر الأمثال (17: 10)، يخبرنا الكاتب قائلًا: "التوبيخ يؤثر في العاقل أكثر من مئة ضربة في الجاهل". فالجاهل لا يصغي مهما وبخته؛ بل إنه سيغضبك إن فعلت ذلك (أمثال 9: 8). ولهذا السبب، ينصحنا كاتب الأمثال بتوبيخ الحكيم. لماذا؟ لأن الحكيم سيحبك لتوبيخك إياه (بدافع المحبة) (الآية 8). ينبغي علينا توبيخ الحكيم بحبة لأن ذلك يزيده حكمة. انظر إلى سفر الأمثال (9: 9): "أعط حكيمًا فيزداد حكمةً، وعلمٌ صديقًا فيزداد علمًا". وتأمل أيضاً في سفر الأمثال (25: 12): "كفرط من ذهب وحلي من ذهب خالص هكذا التوبيخ الحكيم للأذن الصاغية". ما أتمن "الأذن الصاغية"! إنها أذن قادرة حقاً على سماع صوت الله. وبينما نصغي لصوت الله - وتحديدًا لوصاياه - يجب علينا أيضاً أن نُصغي لصوت توبيخه؛ لأن توبيخ الله ينفع نفوسنا (2 تيموثاوس 3: 16). فقبولنا توبيخ الله، نتوب ونرجع عن طريق الخطيئة إلى الطريق القويم. ومن خلال هذا التوبيخ والتوبة، نسير في طريق البر (2 تيموثاوس 3: 16) وهكذا يعلن كاتب الأمثال: "التوبيخ الظاهر خير من الحب المستور" (أمثال 27: 5). إذا كنا نحب أخاً حقاً، فيجب علينا (3: 16) توبيخه بحبة عندما يضل ويسلك طريقاً معوجاً. وإذا منحه الله الحكمة، فإنه سيصغي لتوبيخنا ويتوب ويعود إلى الطريق الصحيح ومع ذلك، ينشأ خطر عندما يفشل الحكيم - الذي يقدم هذا التوبيخ النابع عن محبة - في السير هو نفسه في الطريق القويم. بعبارة أخرى، إذا أهمل الحكيم تأديب نفسه، فإنه يواجه خطراً كبيراً يتمثل في الانصياع لإغراء "أغنية الجهال". وقد تناول الملك سليمان هذا الخطر في سفر الجامعة (7: 7): "الظلم يجعل الحكيم أحمق، والرشوة تفسد القلب". تشير هذه الآية إلى أن القلب المتلهف للكسب المادي يظلم، مما يجعل المرء عاجزاً عن التمييز بين البر والشر (جاميسون). وفي النهاية، إذا كنا بارعين في تقييم الآخرين ولكننا نفشل في تأديب أنفسنا بأمانة، فإن إغراء الرشوة قد يثير الطمع فينا، مما يفقدنا القدرة على التمييز الصائب. تأمل الحقيقة التي صاغها كاتب سفر الأمثال: "الشرير يأخذ الرشوة من طيات الثوب ليعوج طرق القضاء" (أمثال 17: 23). ولذا، بوجهنا سفر التثنية (16: 19) قائلًا: "لا تعوج القضاء ولا تحاب الوجه، ولا تأخذ رشوة؛ لأن الرشوة تعمي عيون الحكماء وتعوج كلام الصديقين (20-19)". "العدل العدل تتبع، لكي تحيا وتمتلك الأرض التي يعطيك إياها الرب إلهك".

علينا أن نصغي بتواضع لتوبيخ الحكماء. ففي هذا العصر، من الصعب العثور على "آذان تسمع وتطيع" - آذان ترضي الله. وعلى وجه الخصوص، ورغم أن الروح القدس يوبخنا من خلال كلمة الله المقدسة، فإننا نصرّ على رفض ذلك التوبيخ. ونتيجة لذلك، فإننا لا نحب العظات التي تشير إلى خطايانا وتكشفها. ويحضرني هنا ما ورد في رسالة تيموثاوس الثانية (4: 3-4): "لأنه سيأتي وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لأنفسهم معلمين تنوق إليهم آذانهم لسماع ما يرضيهم. فيصرفون آذانهم عن الحق وينصرفون نحو الخرافات". نحن بحاجة إلى تبني الموقف ذاته الذي اتخذه كاتب المزمور. انظر إلى المزمور 141 ليضربني الصديق، فهذا إحسان؛ وليوبخني، فهذا زيت على رأسي. لن يرفضه رأسي، فصلاحي ستظل دائماً ضد أعمال فاعلي" (5: الشر). يجب أن نقدر التوبيخ المحب الصادر عن الحكماء ونعتبره بمثابة "زيت على الرأس". ورغم أن هذا التوبيخ قد يكون صعباً ومولماً عند سماعه، إلا أنه ينبغي لنا أن نراه فرصة للتأمل الهادئ في أنفسنا بينما يستيقظ ضميرنا ويشعر بالوخز. إذا استطعنا سماع

صوت الله في ذلك التوبيخ — معترفين ومقرّين بخطايانا وتائبين وراجعين إليه — فسندكتسب الحكمة السليمة للتمييز بين البر واللا-بر، ولنسير في طريق البر. هل تؤمن حقاً بأننا نحن المسيحيين نمتلك هذه الحكمة السليمة، ونميّز بين البر واللا-بر، ونسير في طريق البر؟ وهل تؤمن حقاً بأن كنيسةنا تسير في طريق البر من خلال طاعة كلمة الرب، الذي هو رأس الكنيسة؟

التقيتُ اليوم براعٍ كان أقدم مني عهداً في المعهد اللاهوتي؛ وبعد تناول الغداء معاً، تبادلنا حديثاً اتسم بالصراحة والشفافية. ومن خلال ذلك الحديث، منحني الله دروساً قيّمة، كما وجدتُ عزاءً في شركتنا الروحية في الرب. لقد وبّخني الله برفق من خلال حديثي مع ذلك الراعي الأقدم. وبينما كنت أتلقي ذلك التوبيخ، خطر ببالي شخصٌ معين؛ لذا، وبعد أن ودّعتُ الراعي وأثناء عودتي بالسيارة، إلى الكنيسة، اتصلتُ بذلك الشخص لأعتذر له، وعبرتُ أيضاً عن محبتي له. وبعد الاعتذار وقول "أنا أحبك" قبل إنهاء المكالمة، شعرتُ بتأثر عميق. واليوم، أجد نفسي أتساءل: ما هي كلمات التوبيخ المفعمّة بالمحبة التي قد يوجهها الرب لكنيسةنا؟ وللبحث في هذا الأمر، عدتُ إلى الإصحاحين الثاني والثالث من سفر الرؤيا، حيث يخاطب الرب الكنائس السبع. ولاحظتُ أنه من بين الكنائس السبع، نالت كنيسة سميرنا وفيلادلفيا الثناء فقط، بينما تلقت الكنائس الخمس الأخرى الثناء والتوبيخ معاً من الرب. دعونا نتأمل كلمات التوبيخ التي نطق بها الرب: (1) كنيسة أفسس: "لكن عِنْدِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الْأُولَى" (رؤيا 2: 4). (2) كنيسة برغامس: "ولكن عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: أَنْ عِنْدَكَ قَوْمًا مُتَمَسِّكِينَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامَ، الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ بِالْإِثْمِ أَنْ يُلْقَى مَعْتَرَةً أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْ يَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلْأَوْثَانِ وَيَزْنُوا. هَكَذَا عِنْدَكَ أَنْتَ أَيْضاً قَوْمٌ مُتَمَسِّكُونَ بِتَعْلِيمِ النَّبِيعَاتِ الْوَيْلِيِّينَ" (رؤيا 2: 14-15). (3) كنيسة ثياتيرا لكن عِنْدِي عَلَيْكَ بعض الأمور: أَنْتِ تَتَسَامَحِينَ مَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ إِيزَابِلَ، الَّتِي تَدْعِي النُّبُوَّةَ. بِتَعْلِيمِهَا تُضِلُّ عِبِيدِي إِلَى الزَّانَا وَأَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلْأَوْثَانِ. وَقَدْ مَنَحْتُهَا فُرْصَةً لِلتَّوْبَةِ عَنْ زَنَاهَا، لَكِنِهَا أَبَتِ" (رؤيا 2: 20-21). (4) كنيسة ساردس: «إلى ملاك كنيسة ساردس اكتب: هذا ما يقوله الذي يمسك أرواح الله السبعة والنجوم السبعة: أنا أعرف أعمالك؛ لك سمعة أنك حي، لكنك ميت. استيقظ! قَوْمًا تَبْقَى مِنْكَ وَهُوَ عَلَى وَشَكِّ الْمَوْتِ، لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَعْمَالَكَ كَامِلَةً أَمَامَ إِلَهِي. فَادْكُرْ مَا تَلَقَيْتَهُ وَسَمِعْتَهُ، وَأَطِعْهُ وَتُبْ» (رؤيا 3: 1-3أ). (5) - كنيسة لاودكية: «أنا أعرف أعمالك، فَأَنْتِ لَسْتَ بَارِدًا وَلَا حَارًّا. لَيْتَكَ كُنْتَ بَارِدًا أَوْ حَارًّا! لَذَلِكَ، لِأَنَّكَ فَاتِرٌ - لَسْتَ بَارِدًا وَلَا حَارًّا «سَأَتْفِيَاكَ مِنْ فَمِي. تَقُولُ: أَنَا غَنِي، لَقَدْ اكْتَسَبْتُ ثَرَوْهُ وَلَا أَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ. لَكِنَّا لَا تَعْلَمُ أَنَّكَ بَائِسٌ، وَمَسْكِينٌ، وَفَقِيرٌ، وَأَعْمَى، وَعَرِيَانٌ (رؤيا 3: 15-17). كيف تبدو لك توبيخات الرب لهذه الكنائس الخمس؟ ما هي كلمات التوبيخ التي تنطبق على كنيسةنا برأيك؟ «من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس» (رؤيا 2: 7، 11، 17، 29؛ 3: 6، 13، 22)

لماذا يقيم الناس علاقات خارج إطار الزواج؟

لأن الظلم يُحَمِّق الحكيم، والرشوة تُفْسِد القلب" (سفر الجامعة 7: 7)

سمعتُ اليوم أمراً من أحدهم؛ ففي بلدٍ ما، يرغب 99% من الممرضين والممرضات في العمل بالخارج، ولكن يُقال إن حوالي من المتزوجين بينهم ينتهي بهم المطاف بإقامة علاقات غير شرعية (خارج إطار الزواج) بمجرد سفرهم إلى الخارج. حين 98% سمعتُ ذلك، تساءلت: "هل وصل الأمر حقاً إلى هذا الحد؟" ورغم علمي بأن هذه العلاقات شائعة في عصرنا الحالي، إلا أنني لم أكن أدرك أن معدل انتشارها مرتفع إلى هذه الدرجة. إنها حقاً قضية خطيرة. لماذا ينخرط الكثير من الناس في مثل هذه العلاقات؟ لقد بحثتُ سابقاً في أسباب ذلك من خلال التأمل في سفر الأمثال 5: 8؛ فالسبب يكمن في أن الناس يفشلون في الابتعاد عما ينبغي — تجنبهم، بينما يبتعدون عما ينبغي الاقتراب منهم. بعبارة أخرى، فإن أولئك الذين يقيمون علاقات محرمة يبتعدون عن زوجاتهم ويقتربون بدلاً من ذلك من نساء أخريات كان ينبغي تجنبهن. إنهم ينصرفون وراء هذه العلاقات — اللواتي ينبغي أن يعتزوا بهنّ لأنهم لا يحبون زوجاتهم بإخلاص (الآية 15) ولا يجدون الفرح فيهنّ (الآية 18). وعلاوة على ذلك، ولأنهم لا يجدون اكتفاءً دائماً في أحضان زوجاتهم ولا يجدون لذة دائمة في حبهنّ (الآية 19)، فإنهم يمنحون عاطفتهم لنساء أخريات ويعانقون زوجة رجل آخر بل وينجبون منها أطفالاً أيضاً (الآيتان 16 و20).

أود اليوم أن أتأمل في سبب آخر من أسباب العلاقات خارج إطار الزواج، وذلك استناداً إلى النص الوارد في سفر الجامعة 7: 7: هذا السبب هو "الطمع". يذكر سفر الخروج 20: 17 في الكتاب المقدس الوصية العاشرة من الوصايا العشر التي أعطيت لموسى لا تَشْتَهَ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لا تَشْتَهَ امْرَأَةً قَرِيبِكَ، وَلَا عِبْدَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا ثَوْرَهُ وَلَا جَمَارَهُ وَلَا شَيْئاً مِمَّا لِقَرِيبِكَ". لقد أمرنا الله بوضوح ألا نشتهي زوجة القريب، ومع ذلك، لماذا نفعل ذلك؟ يكمن السبب الجذري في الطمع الكامن بداخلنا. عندما يسكن الطمع فينا، نعجز عن الشعور بالاكْتفاء والرضا في أحضان زوجاتنا (أمثال 5: 19). وعلاوة على ذلك، يدفعنا الطمع إلى اشتهاه نساء أخريات بما يتجاوز الحدود اللائقة؛ إذ ننساق وراء شهوة العيون، فننظر إلى نساء غير زوجاتنا ونصغي إليهن. ومع ذلك، مهما رأينا من نساء أو سمعنا عنهن، فإن أعيننا لا تشبع أبداً (جامعة 1: 8). وهكذا، يُجَرِّبنا الشيطان بالنجاسة والشهوات الجسدية، ويقودنا إلى الخطيئة. وتحديدًا خطيئة اشتهاه امرأة أخرى - (بطرس 2: 18 و2)

يا أصدقائي، إن السبب الجذري للعلاقات القائمة على الزنا هو الطمع. فالطمع لا يعرف حدوداً ولا يكتفي أبداً (إشعياء 56: 11)؛ إنه يمنعنا من الاكتفاء بزوجاتنا (أمثال 5: 19) ويدفعنا لاشتھاء زوجة القريب (خروج 20: 17). لذا، يجب ألا نسمح لقلوبنا أن تميل تميل نحو الطمع (مزمور 119: 36). ويُعلن الكتاب المقدس أن الطمع هو عبادة للأوثان (كولوسي 3: 5). وعليه، يجب علينا أن نرفض كل أشكال الطمع (لوقا 12: 15) وأن نُميت الرغبات الجسدية الكامنة فينا (كولوسي 3: 5). يجب أن نتخلص من "الزنا والنجاسة والشهوة والرغبات الشريرة والطمع" (الآية 5). والسبب في ذلك هو أننا قد صلبنا الجسد مع أهوائه وشهواته على الصليب (غلاطية 5: 24). فلنمتنع -أنا وأنتم- عن اشتھاء زوجة القريب (خروج 20: 17)، ولنجد بدلاً من ذلك الرضا والاكتفاء دائماً في أحضان زوجاتنا (أمثال 5: 19).

أَمَّا الزَّانَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلَا يُسَمِّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيْقُ بِقَدِّيسِينَ" (أفسس 5: 3)

خدمة الحكيم

[سفر الجامعة 7: 8-10]

بعد تناول وجبة الإفطار هذا الصباح، اتصلتُ بواحد أو اثنين من أعضاء كنيستنا؛ فقد كانوا قد أعدوا لي بعض الأطباق الجانبية وأردتُ التعبير عن امتناني بعد تذوقها. وعندما اتصلتُ لأشكر إحداهن، تحدثت بمحبة وتقدير عن كنيستنا وأعلنت أنها ستواظب على الحضور حتى يوم وفاتها. لقد تأثرت بشدة لسماع كلماتها؛ فهي بحكم حضورها الطويل في كنيستنا، قد كوّنت رابطةً شملت كلاً من المحن والأفراح في حياتنا المشتركة. إن عزمها على البقاء مع كنيستنا حتى النهاية... إنه لأمرٌ جميل حقاً أن نخدم بعضنا البعض وأن نخدم الرب معاً ضمن جماعة الكنيسة. وعندما نلمح صوراً لهذه الخدمة الجميلة في حياة بعضنا البعض، فإننا نرى يسوع الصغير "في الآخر. وأنا أؤمن بأن اجتماع هؤلاء "اليسوعيين الصغار" يشكل جماعة حقيقية ليسوع. صلاتي هي أن تصبح" كنيستنا مجتمعاً للخدمة كهذا تماماً. وهذا يقودنا إلى التساؤل: كيف ينبغي لي - أو لنا - أن نخدم؟

عندما بدأنا التأمل في الإصحاح السابع من سفر الجامعة، تعرّفنا على "قلب الحكيم" في الآيات 1-4 و"توبيخ الحكيم" في الآيات 5-7، والآن، في نص اليوم - الجامعة 7: 8-10 - يقدم لنا الله دروساً قيمة تتعلق بـ "خدمة الحكيم". ومن خلال التركيز على هذه الآيات 7: 8-10، أود استكشاف ثلاثة دروس حول كيفية أداء الحكماء لعمل الرب

أولاً: الحكيم يُكمل المهمة حتى النهاية ويُثمر

انظر إلى الجزء الأول من الآية 8 في الإصحاح السابع من سفر الجامعة: "بِهَيَاةِ أَمْرٍ خَيْرٍ مِنْ بِدَايَتِهِ...". لقد صرّح الملك سليمان قائلاً: "لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتُ"، مشيراً إلى أن هناك "وَقْتُ لِلْوِلَادَةِ وَوَقْتُ لِلْمَوْتِ" (3: 1-2). كما تحدث عن الموت باعتباره المصير المحتوم لنا جميعاً (7: 2). يخبرنا الكتاب المقدس أن الموت يمثل نهاية حياتنا في هذا العالم، ويؤكد أيضاً أن نهاية الأمر خيرٌ من بدايته (الآية 8). ماذا يعني هذا؟ هنا، تشير عبارة "آخر الأمر" إلى عزم المرء وتصميمه فيما يتعلق بالمهمة التي بين يديه. والقول بأنها "خير من أوله" يعني أنها تتفوق على مجرد البدء في مهمة دون إتمامها (بارك يون-سون)

إذا تأملنا حياتنا اليومية عن كثب، سنجد حالات عديدة نبدأ فيها بأمر لكننا نفشل في إكمالها. على سبيل المثال، كثيراً ما أفتح كتاباً وأبدأ القراءة، ثم أتوقف قبل الانتهاء وأؤجل الأمر إلى اليوم التالي أو وقت لاحق. وإلى جانب القراءة، هناك مهام أخرى كثيرة أبدأ

بها ولكنني أتركها غير مكتملة، مفضلاً تأجيلها. وحتى عند حدوث ذلك، فإننا أحياناً نواسي أنفسنا بفكرة أن "البداية هي نصف المعركة"، حتى وإن أخفقنا في إنجاز العمل بالكامل. ومع ذلك، يحثنا الكتاب المقدس ألا نكتفي بالبداية فحسب، بل أن نمضي في المهمة حتى نهايتها ونثمر ثمرًا. لقد تأملت شخصيًا في الآيات (3: 1-2) و(7: 2) والجزء الأول من الآية (7: 8) من سفر الجامعة، ونظرت إليها مجتمعة. فبينما كان الملك سليمان يتحدث عن إتمام الغاية ولحظة الموت —وهي النصوص التي نتناولها اليوم— دفعني ذلك للتفكير في الثمر الناتج عن تحقيق الغاية التي منحنا الله إياها أثناء حياتنا على هذه الأرض؛ ذلك الثمر الذي سنقدمه حين نواجه الموت. لقد سألت نفسي: "أي ثمر أثمرته حقًا أثناء قيامي بعمل الرب حتى الآن؟ وما الثمر الذي أتوقع رؤيته من العمل الذي أقوم به لأجله حاليًا؟ وعندما أموت وأقف أمام الرب لأقدم حسابًا، هل سيكون لدي أي ثمر لأقدمه؟" وإلى جانب فكرة "يجب ألا أصبح شجرة تين عقيمة"، أدركت أن الله ينتظر مني نوعًا آخر من الثمر أيضًا. وفي النهاية، أومن بأن الحياة سباق يجب أن نخوضه حتى النهاية تمامًا. ومهما كانت البداية رائعة، فلا ينبغي أن تكون النهاية كئيبة؛ وعلى العكس، حتى لو كانت البداية متواضعة، فإن الختام الرائع يظل أمرًا جميلًا. بالطبع، لا توجد قاعدة صارمة تفرض أن تكون النهاية رائعة بالضرورة؛ فالمهم هو ألا نتوقف أو ننسحب في منتصف الطريق ونحن نخوض سباق الإيمان ونؤدي عمل الرب. بل يجب علينا أن نكمل سباق الإيمان حتى خط النهاية. علينا أن نسعى واضعين النهاية نصب أعيننا، وأن نواصل السعي حتى النهاية، ونثمر ثمارًا جميلة؛ إذ يجب أن تُنتج حياتنا حصادًا يستحق ثناء الله.

ثانيًا، يعمل الحكيم بروح تتسم بالصبر والأناة.

تأمل في الشق الثاني من الآية 8 في الإصحاح السابع من سفر الجامعة (وهو نص تأملنا اليوم): "...طويل الروح خير من متكبر الروح". خلال حديث صريح مع راعٍ مخضرم الأسبوع الماضي، كانت الرسالة التي أوصلها الله لي -مرة أخرى- من خلاله بسيطة ومباشرة: "كن صبوراً". وعلى وجه الخصوص، قيل لي إن القيام بعمل الرب لا يتطلب التواضع فحسب، بل يتطلب أيضاً صبراً عظيماً. وتُعد هذه النصيحة بمثابة توبيخ لقلبي، إذ أدرك وجود سمة عدم الصبر في داخلي؛ فبينما أميل بطبعي إلى العجلة، فإنني، أيضاً أميل إلى نفاذ الصبر المفرط وافتقار الجلد عند أداء عمل الرب. ومثل هذا التسرع يؤدي حتماً إلى أخطاء في القول والسلوك بل إن الخطر الأكبر يكمن في احتمالية إفسادي لعمل الله. كيف يحدث ذلك؟ يحدث لأنني أسبق الله في خطواتي. وفي النهاية، حين أتأمل في سبب افتقاري للصبر، أدرك أن السبب الجذري هو القلب المتكبر (الآية 8)؛ فالقلب المتكبر يفتقر إلى الصبر، بل يضمّر نقيضه. ونتيجة لذلك، أندفع مستبقاً للرب، ليس فقط في أفعالي وكلماتي، بل في أفكار ذاتها. لذا، يجب على من يتسمون منا بالعجلة ونفاذ الصبر أن يصغوا جيداً لكلمات كاتب سفر الأمثال في الآيتين 21: 5 و29: 20: "أفكار المجتهد تؤدي بالتأكيد إلى الوفرة، أما كل متسرع فلا ينال إلا الفقر" (أمثال 21: 5)؛ و"أرأيت رجلاً متسرعاً في كلامه؟ فالرجاء في الأحقق أكثر منه فيه" (أمثال 29: 20). يخبرنا الكتاب المقدس أنه لا رجاء في الشخص قليل الصبر، وأن هذا التسرع يقود إلى الفقر. كما يقول الملك سليمان: "لا". (20: 29) تسرع بروحك إلى الغضب، لأن الغضب يستقر في قلوب الحمقى" (جامعة 7: 9). ففي أثناء أدائنا لعمل الرب حتى النهاية، قد نواجه صعوبات ومواقف كثيرة تثير الغضب. إذا أخفقنا في التحلي بالصبر واندفعنا -كالحمقى- لنصبِّ جام غضبنا المتسرع، فإننا نعرض

عمل الرب للخطر. ولهذا السبب يقول كاتب سفر الأمثال: "حكمة المرء تمنحه الأناة، ومجده أن يغض الطرف عن الإساءة" (أمثال و عوضاً عن ذلك، حين نواجه موقفاً يثير الغضب، ينبغي لنا أن نتحلى بالصبر لنتمكن من إقناع الشخص الذي أزعجنا؛ (11: 19) ولنتأمل في قول سفر الأمثال 15: 25: "بالصبر يُقنَع الحاكم، واللسان اللين يكسر العظم". كم سيكون رائعاً لو مارسنا الصبر وتحذثنا بلسانٍ لينٍ في لحظات الغضب؛ فنكسب بذلك قلب الطرف الآخر ونتأهل للعمل معاً من أجل قضية الرب.

.علينا أن نثابر، وأن نتحمل الصعاب مراراً وتكراراً. ولكي ننجز عمل الرب بأمانة حتى النهاية، لا بد لنا من التحلي بالصبر والجلد. وعلينا أن نصغي إلى كلمات سفر يعقوب (5: 10-11): "خُذُوا يَا إِخْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ... مثلاً لِحَيْمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالصَّبْرِ. هَا تَحْنُ تُطَوِّبُ الصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ. لِأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ". فعندما نضع ثقتنا الكاملة في الرب وننتظر بصبر، سنشهد النهاية الطيبة التي يهبنا إياها.

ثالثاً، يظل الشخص الحكيم مخلصاً للواقع الراهن أثناء أدائه لعمل الرب.

"تأمل في نص اليوم من سفر الجامعة (7: 10): "لَا تَقُلْ: لِمَ أَذًا كَانَتْ الْأَيَّامُ الْأُولَى خَيْرًا مِنْ هَذِهِ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ حِكْمَةٍ تَسْأَلُ عَنْ هَذَا". قد تأتي أوقات يصبح فيها عمل الرب شاقاً وصعباً؛ وفي مثل هذه اللحظات، يجب علينا إتمام المهمة بقلب متواضع. علينا أن نؤدي عمل الرب بأمانة حتى النهاية، مدفوعين بحس الرسالة، وأن نثمر ثماراً لأجله. ومع ذلك، إذا واجهنا مصاعب متكررة وسمحنا للكبرياء بالتسلل إلى قلوبنا دون أن نشعر، فقد نتوقف عن العمل؛ إذ نعجز عن إكماله ونستسلم في منتصف الطريق. قد نبداً بنوايا عظيمة، لكننا نفشل في إتمام المهمة. ويحدث هذا لأن الكبرياء يفقدنا الصبر ويدفعنا لإصدار أحكام متسرعة نابعة من الاندفاع علاوة على ذلك، قد نعجز عن ضبط مشاعرنا ونغضب عند مواجهة الشدائد، فنصبّ غضبنا على الموقف، أو على من حولنا، أو حتى على أنفسنا. ويصف الكتاب المقدس مثل هذا الشخص بـ "الأحمق"، أي الشخص الذي يفتقر إلى الحكمة (الآية 9ب). فهذا الأحمق يتوق إلى أيام الرخاء الماضية بدلاً من مواجهة صعوبات الحاضر وشدائده (الآية 10). ومن سمات عقلية الأحمق أن يحنّ إلى البداية الواعدة للمهمة، بينما يصيبه الإحباط بسبب التحديات المتنوعة التي يواجهها مع تقدم العمل. وبناءً على ذلك، فبدلاً من مواجهة الواقع والبقاء مخلصاً للحاضر بدافع الشعور بالواجب لإتمام المهمة، يهمل الأحمق حياته الراهنة، مستغرقاً باستمرار في أحلام اليقظة العذبة وذكريات الماضي الحنينية. وهكذا، يحاول الأحمق مراراً وتكراراً إنكار الواقع؛ إذ يعجز عن تقبّل الأمور كما هي. وفي المقابل، يتقبّل الحكيم الواقع تماماً كما هو؛ فهما كانت الظروف، يحتضن الحكيم الواقع ويظل مخلصاً في خضمه. وبدلاً من التوق إلى الماضي والبقاء عالقاً فيه، يتذكر النعمة التي أغدقها الله عليه في الماضي ويُعلي من شأن تلك النعمة وسط مصاعب الحاضر. و متمسكاً بيقين الخلاص، يمضي قدماً في الإيمان، واثقاً بأن الله سينجّيه من الصعاب والشدائد التي يواجهها حالياً. علاوة على ذلك، يتقدم الحكيم واضعاً نصب عينيه الأمل في المستقبل؛ فهو يتطلع إلى الأمام بدلاً من الانشغال بالماضي. وعلى حد تعبير الرسول بولس، فإن الحكيم هو من يسعى حثيثاً نحو الهدف؛ ففي سباق الإيمان، يظل الحكيم مُتَبَيِّناً نظره على خط النهاية. وإذ يدرك أن مكافأة بانتظاره عند عبور ذلك الخط، فإنه يجري وعينه شاخصتان بثبات نحو تلك الجائزة. ولذا، يحثنا الملك سليمان ألا نتساءل

لماذا كانت الأيام الخوالي أفضل من هذه الأيام؟" (الآية 10). بل إن هذا القول أقرب إلى التوبيخ منه إلى مجرد الحث؛ وعلينا أن نصغي بتواضع لهذا التوبيخ الصادر عن الرجل الحكيم.

من الحقائق التي أدركتها مؤخراً، أثناء خدمتي للكنيسة -التي هي جسد المسيح- هي افتقاري إلى الحكمة. وهذا الإدراك لنقصي يقودني إلى اعتراف واحد: أن وصولي إلى هذه المرحلة كان بفضل نعمة الله وحدها. وبينما أقر بأن قدرتي على خدمة كنيستنا حتى هذه اللحظة نابعة كلياً من نعمة الله، فإنني أتأمل أيضاً فيما إذا كان نقص الحكمة لدي قد تسبب في مشقة للرعية. ونتيجة لذلك، وجدت في نفسي طلباً جديداً للصلاة: أن أطلب الحكمة من الله. فأنا أصلي متمسكاً بكلمات يعقوب 1: 5: "وإن كان أحدكم تُعوزُه حُكْمَةٌ" "فليطلب من الله الذي يُعطي الجميع بسخاءٍ ولا يُعزِّرُ، فسيعطى له". في خضم ذلك، أشكر الله على فرصة التأمل في "سفر الجامعة خلال اجتماعات الصلاة الأسبوعية التي نعقدّها أيام الأربعاء؛ فمن خلال هذا السفر، يُعلِّمنا الله حكمة القلب. وبالتركيز تحديداً على نص اليوم —سفر الجامعة 7: 8-10— نجد أن الله يقدم لنا، أنا وأنتم، ثلاثة دروس حول خدمة الحكيم: (1) أولاً، يُكمل الحكيم العمل حتى نهايته ويثمر؛ (2) ثانياً، يعمل الحكيم بقلب صبور؛ (3) وأخيراً، يظل الحكيم أميناً للواقع الراهن أثناء أدائه لعمل الرب. أصلي لكي نصبح جميعاً أشخاصاً يخدمون بمثل هذه الحكمة.

سباق الحياة

[سفر الجامعة 7: 8-10، 14]

في هذا الأسبوع، أجرِيتُ محادثةً مع راعٍ مخضرم أكنُّ له كل الاحترام. يبلغ هذا الراعي من العمر 48 عاماً، وقد أشار إلى أن العاملين المقبلين يُعدّان مرحلةً حاسمةً للغاية بالنسبة له؛ إذ يبدو أنه يتعامل مع خدمته انطلاقاً من قناعة راسخة بضرورة تثبيت دعائم الكنيسة وترسيخها قبل بلوغه سن الخمسين. وكثيراً ما نلاحظ أنه إذا لم تستقر الخدمة بحلول الوقت الذي يبلغ فيه الراعي عقده الخامس، فإن الطريق أمامه يصبح محفوفاً بالصعوبات وغير ممهد. وبالطبع، هناك رعاة حولنا يواصلون الكفاح تحت أعباء الخدمة حتى وهم في الستينيات من عمرهم. كما أنني أجد نفسي أتأمل في هذه الأمور كلما التقيتُ برعاة متقاعدين؛ فكثيراً ما أصلي وأفكر في كيفية عيش ما تبقى من حياتي وكيفية أداء خدمتي. وعلى الصعيد الشخصي، ومن خلال شركتي مع أعضاء كنيستنا الذين تتراوح أعمارهم بين الخمسينيات والتسعينيات، أصبحت أنظر إلى الحياة باعتبارها سباقاً لمسافة 100 ميل. ورغم أن المرء قد يعيش لما بعد المئة أو يرحل قبل ذلك، إلا أننا -لغرض هذا التشبيه- سنفترض أن العمر يمتد لمئة عام، وسنتخيل الحياة كسباقٍ يمتد لمئة ميل ومن هذا المنظور، أكون قد قطعْتُ أول 40 ميلاً تقريباً بنعمة الله. واليوم، أود استخلاص خمسة دروس من النص الكتابي حول كيفية خوض ما تبقى من سباق الحياة هذا.

أولاً، نتعلم درساً مفاده أنه يجب علينا خوض سباق الحياة حتى النهاية.

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 7: 8، يذكر الملك سليمان أن "نهاية الأمر خير من بدايته". فإذا ركض المرء في سباقٍ دون نيةٍ لإكماله، فماذا سيكون مصير ذلك السباق؟ يجب علينا أن نركض نحو وجهتنا دون استسلام حتى اللحظة الأخيرة. وعلاوة على ذلك، لا ينبغي أن نركض بحماسٍ واندفاعٍ في بداية السباق فحسب، بل يجب أن نركض بعزيمةٍ وإصرارٍ على إكمال المسار بأكمله مع الحرص على أن تكون النهاية أكثر روعةً وجمالاً من البداية. وكثيراً ما أسمع أخباراً عن رعاةٍ لم يوفقوا في إنهاء مسيرتهم بشكلٍ حسن، مما تسبب في إيذاء مشاعر الكثير من أفراد الرعية. إن السماع عن رعاةٍ خدموا بأمانةٍ لثلاثين أو أربعين عاماً ثم أخفقوا في إنهاء خدمتهم بوقارٍ يشكل درساً عميقاً لي -بصفتي مبتدئاً في الخدمة- ويُذكرني بأن "نهاية الأمر خير من بدايته". ولا يقتصر هذا الدرس علينا نحن الرعاة فحسب، بل يشمل الجميع؛ فالحكيم هو من يصغي لكلمة الله هذه ويسعى جاهداً ليختم الفصل الأخير من حياته بصورة جميلة في عيني الله والناس على حد سواء. وصلاتي هي أن نكمل سباق الإيمان بطريقة تجعل نهايتنا أجمل من بدايتنا، وأن نتجلى فينا رائحة المسيح الزكية.

ثانياً، نتعلم ضرورة خوض سباق الحياة بقلب يتسم بالصبر والتواضع.

في نص اليوم، سفر الجامعة 7: 8، يقول الملك سليمان: "طويل الروح خير من متكبر الروح". وبينما نسعى لإكمال سباق الحياة، حتى النهاية، لا بد أن نواجه مواقف كثيرة تتطلب صبراً عظيماً؛ فالحياة أشبه بسباق الماراثون الذي يتطلب جلاً ومثابرة. علينا وسط مصاعب الحياة وشدائدها، أن نثابر ونكمل السباق. وإلى جانب الصبر، يجب أن نخوض سباق الحياة بتواضع؛ فلا ينبغي أن نبدأ بقلب متواضع ثم ننهي المسيرة بقلب يملؤه الكبرياء. فالملك شاول، على سبيل المثال، كان متواضعاً في البداية ويرى نفسه صغيراً، لكنه صار متكبراً فيما بعد، وعصى كلمة الله، وارتكب خطيئة في حقه. وكذلك الملك سليمان، الذي حكم شعب إسرائيل حكماً حسناً في البداية طالباً الحكمة من الله بقلب متواضع، إلا أن الفصل الأخير من حياته لم يكن جميلاً على الإطلاق، إذ اتسم بالعصيان لكلمة الله. إنها لفكرة مهيبه ومخيفة: كم هو صعب أن يخدم المرء الرب ويحافظ على إيمانه بتواضع حتى النهاية! فكم من رعاة بدأوا خدمتهم كـ "صوت صارخ في البرية" - على غرار يوحنا المعمدان - ثم استسلموا للكبرياء لاحقاً وارتكبوا الخطايا - مثل الملك داود - في قلب المدينة وداخل القصر الملكي؟ وأكثر ما أخشاه هو سهولة تسلل الكبرياء إلى النفس دون أن يدرك المرء ذلك؛ فحماية القلب بهذه الطريقة أمر بالغ الصعوبة. ومع ذلك، فإن من عزموا على إكمال سباق الحياة عليهم أن يثابروا ويحافظوا على روح التواضع حتى النهاية؛ فالتواضع يجب أن يطبع البداية والنهاية على حد سواء. لنُكمل سباق الإيمان بصبر وتواضع.

ثالثاً، نتعلم درساً مفاده أنه لا ينبغي لنا خوض سباق الحياة بروح متسرفة أو طبع حاد وسريع الغضب.

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة (7: 9)، يقول لنا الملك سليمان: "لا تُسرّع برُوحِكَ إلى الغَضَبِ". لا أعرف الكثير عن سباقات الماراثون، لكنني أتخيل أن العداء لا ينطلق بأقصى سرعته بمجرد بدء السباق؛ فلو ركض المرء بنفاد صبر، لما تمكن أبداً من إنهاء السباق. وبالتأكيد، يدرك من عاشوا عمراً أطول مني هذه الحقيقة جيداً: وهي أن الحياة لا يمكن خوضها بنجاح بروح متسرفة. بالطبع، هذا لا يعني أن نعيش بكسل؛ فالكسل خطيئة أيضاً. يجب علينا أن نخوض سباق الحياة باجتهاد، ولكن دون تسرع أو نفاد صبر. علاوة على ذلك، وبينما نخوض سباق الحياة، يجب ألا نركض ونحن نضمّر الغضب أو نفرغه؛ فمن السهل الانصياع للغضب عندما نكون في عجلة من أمرنا. زرت ذات مرة داراً للمسنين لرؤية خادمة كنسية (شماسة) مسنة من كنيسة، وهناك سمعتُ امرأتين مسنتين أخريين تصرخان وتتشاجران. لقد صُدمتُ لسماع الشتائم المتبادلة بينهما في نوبة غضب عارمة تلك. وخوفاً من أن يشكل ذلك قدوة سيئة لأطفالي، غادرتُ المكان على عجل. ياله من مشهد مؤسف؛ أن نرى أشخاصاً عاشوا عمراً مديداً ومع ذلك لا يزالون عاجزين عن ضبط غضبهم، ويلجأون إلى الصراخ والشتائم. "الرَّجُلُ الْغَضُوبُ يَهَيِّجُ الْخَصَمَ" (أمثال 15: 18) وكما أشار الرئيس لينكولن ذات مرة، فقد بلغت الآن الأربعينيات من عمري؛ وهي مرحلة يجب أن أتحمّل فيها مسؤولية تعبيرات وجهي. لا ينبغي لي أن أخوض سباق الحياة بوجه غاضب أو متجهّم. في هذا العالم المليء بالصخب والضغوط، أريد أن أخوض سباق الحياة بروح متزنة، محافظاً على هدوئي وضابطاً الغضب.

رابعاً، نتعلم درساً مفاده أنه لا ينبغي لنا خوض سباق الحياة ونحن نتوق إلى الماضي.

في نص اليوم (سفر الجامعة 7: 10)، ينصحننا الملك سليمان بألا ننسأل: "لماذا كانت الأيام الخوالي أفضل من أيامنا هذه؟" والسبب ببساطة هو أن طرح مثل هذا السؤال ليس تصرفاً حكيماً. بعبارة أخرى، لا يهمل الحكيم سباق الحاضر بدافع الحنين إلى الماضي مفكراً: "كنت الأسرع عند الانطلاق..." —بدلاً من التركيز على—تخيل عداً في سباق الماراثون ينشغل بالماضي أثناء الركض السباق الجاري؛ فماذا سيحل بسباقه؟ يعيش الكثيرون غارقين في الحنين إلى الماضي، ونتيجة لذلك، لا تحرز حياتهم أي تقدم؛ إذ مفكراً: "في ذلك الحين، كنت..." —لا يمكنه أن يكون مخلصاً—يرفضون تطوير أنفسهم. فمن ينظر باستمرار إلى أيام مجده الغابرة لحياته الحاضرة، ولا يمكنه تحقيق كامل إمكاناته لخوض السباق. إن الحكماء يركضون وهم يتطلعون إلى الأمام؛ فلا يوجد عداً ماراثون يركض وهو ينظر إلى الخلف، بل يركضون وعيونهم مثبتة على خط النهاية. وعلينا نحن أيضاً أن نفعل الشيء نفسه؛ فلنكن نكمل سباق الحياة، يجب ألا ننظر إلى الوراء. بالطبع، لا ينبغي لنا أن ننسى النعمة التي أهدقها الله علينا في الماضي، ولكن يجب ألا ننظر عالقين في تلك النعمة الماضية. فإلهنا هو إله يمنح في الحاضر نعمة أعظم مما منح في الماضي (إشعياء 43: 18-19). لذا يجب أن نركض في سباق الإيمان ونحن نصلي ونترقب ونتنظر عمل الله الذي سيصنع أمراً جديداً. علينا أن نركض بشوق لنيل نعمة أعظم؛ فإله سيصب بالتأكيد النعمة التي ادخرها لنا بوفرة.

وأخيراً، الدرس الخامس الذي نتعلمه هو ضرورة خوض سباق الحياة بالإيمان، مع الإقرار بحقيقة أن أوقات الرخاء وأوقات الشدة تسيران جنباً إلى جنب. ففي نص اليوم (سفر الجامعة 7: 14)، يوضح الملك سليمان أن الله قد رتبّ تعايش كل من الرخاء والشدة في حياتنا. وهو يحثنا قائلاً: "في يوم الخير كن مسروراً، وفي يوم الشر تأمل". لماذا رتبّ الله اقتران هذين الأمرين معاً؟ إن غايته هي ضمان ألا "يجد الإنسان شيئاً مما سيكون بعده". رغم أنه قد يبدو من الأفضل معرفة ما يخبئه المستقبل، إلا أننا لو عرفنا مستقبلنا لارتكبنا بلا شك المزيد من الخطايا في حق الله. فمعرفة المستقبل ستجعلنا متكبرين بالتأكيد، مما يدفعنا للتوقف عن الاتكال على الله؛ إذ سنحاول عيش حياتنا وفقاً لأهوائنا، متصرفين وكأننا أسياد مصيرنا. وقد نصبح كسالى، أو - إن استسلمنا - نترك حياتنا تمضي، بلا هدف. لذا، فمن الأفضل ألا نعرف المستقبل؛ فمشاهدة مباراة كرة قدم وأنت تعرف نتيجتها النهائية مسبقاً تُفقد المباراة كل متعتها بل قد لا ترغب في مشاهدتها من الأساس. نحن بحاجة إلى عدم المعرفة؛ إذ ينبغي أن نظل جاهلين بمستقبلنا. لسنا بحاجة لمعرفة ما إذا كان مستقبلنا يحمل رخاءً أم شدة؛ فكل ما نحتاجه هو أن نبتهج في أوقات الرخاء ونتأمل في أوقات الشدة. ففي النهاية، لا ينبغي أن تقتصر حياتنا على الرخاء وحده، لأن ذلك يولد الكبرياء، ولا ينبغي أن تقتصر على الشدة وحدها، لأن ذلك يقودنا إلى الخطيئة. لقد قضى الله، بعلمه المطلق، بأن يتضمن سباق حياتنا مزيجاً من الدروب الممهدة، والمرتفعات الشاقة، والطرق المتعرجة. وكما أن كلا النوعين من التضاريس ضروري في سباق الماراثون، فهما ضروريان أيضاً في سباق حياتنا. وبهذه الطريقة، يمكننا خوض سباق الإيمان هذا حتى النهاية، مقدمين الشكر والتسبيح والصلاة، بينما نثبت أنظارنا على الرب وحده ونتكل عليه. وعند الحديث عن سباق الإيمان، لا يمكننا أن نغفل الكلمات الواردة في رسالة تيموثاوس الثانية (4: 7-8) وسفر أعمال الرسل (20: 24):

قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ"
وَأخيراً قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ
الدِّينَ الْعَادِلُ. وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لَجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضاً" (2 تيموثاوس 4: 7-8). "ولكنني لا أعتبر حياتي ذات قيمة
عندي؛ فغاييتي الوحيدة هي أن أنهي
السباق وأتم المهمة التي أوكّلها إليّ الرب يسوع، وهي مهمة
الشهادة لبشارة نعمة الله" (أعمال الرسل 20: 24)

لأنه جميعاً سباقنا على خير ما يرام، تماماً كما فعل الرسول بولس. لنُكْمِلَ سباق الإيمان. ولنخض سباق الإيمان هذا بحيث تكون
نهايتنا في نظر الله أجمل حتى من بدايتنا. ولنواصل السعي حتى النهاية بصبر وتواضع، دون تسرع أو غضب. ومهما كانت الصعاب
التي تنتظرنا، فلنُكْمِلَ سباق الإيمان واضعين أنظارنا على الرب الذي يجعل كل الأمور تعمل معاً للخير. ولنُعِش جميعاً بطريقة
تُمَجِّدُ الله.

جمال الحكمة

[سفر الجامعة 7: 11-14]

عندما تنتظر إلى القرارات التي تتخذها في حياتك، ما هو المعيار الذي تعتمد عليه لتلك الخيارات؟ شخصياً، أعتقد أن السؤال الجوهرى هو: "هل هذا الأمر مفيد لي؟" على سبيل المثال، إذا واجهنا خياراً بين "أ" و "ب" — حيث يوفر الخيار "أ" منفعة بينما يؤدي الخيار "ب" إلى ضرر — فإننا سنختار "أ" بطبيعة الحال. وبالطبع، عند اتخاذ قرارات بناءً على هذا المعيار، يجب علينا أيضاً أن ندرس "بغاية طبيعة" المنفعة" المعنية؛ إذ ينبغي لنا أن نوازن بين ما إذا كان المسار الذي نختاره يفيد حياتنا الإيمانية أم يخدم فقط حياتنا الجسدية الدنيوية. فإذا كان المسار المختار يوفر منفعة روحية، فيجب علينا اختياره. وحتى لو لم يحقق ذلك المسار ميزة مادية أو جسدية، يظل علينا اختياره طالما أنه مفيد لحياتنا الروحية وإيماننا. وللقيام بذلك، نحن بحاجة إلى حكمة الله؛ فالحكمة تمكننا من امتلاك التمييز الصحيح وإصدار أحكام سديدة.

وبينما نواصل التأمل في الإصحاح السابع من سفر الجامعة، فإننا نتناول موضوع "الحكمة": فالآيات من 1 إلى 4 تناقش "قلب الحكمة"، والآيات من 5 إلى 7 تتناول "توبيخ الحكمة"، والآيات من 8 إلى 10 تتحدث عن "خدمة الحكمة". وفي هذا السياق وبالنظر إلى نص اليوم — الجامعة 7: 11 و 12 — نجد الملك سليمان يقرر أن "الحكمة جميلة كالميراث..." (الآية 11) وأن المعرفة أجمل أيضاً..." (الآية 12). باختصار، هو يعلن أن الحكمة جميلة؛ إنه يتحدث عن "جمال الحكمة". وهنا، تحمل كلمة..." جميلة" معنى "صالح" أو "نافع"؛ وبعبارة أخرى، فإن القول بأن الحكمة جميلة يعني أنها صالحة لنا وتعود علينا بالنفع. إذن، ما هي الفوائد التي تقدمها لنا الحكمة؟ يبرز الكتاب المقدس ثلاث نقاط رئيسية.

أولاً، تتمثل الفائدة التي توفرها الحكمة في أنها تمنحنا منظوراً أبدياً.

في نص اليوم، الجامعة 7: 11، يصف الملك سليمان الحكمة بأنها جميلة — كالميراث — مشيراً بذلك إلى ممتلكات تدوم إلى الأبد. باختصار، الحكمة جميلة (ونافعة لنا) لأنها تحمل قيمة أبدية بالنسبة لنا (بارك يون-سون). فبينما تقتصر الممتلكات الدنيوية -كالمال أو السلطة- إلى القيمة الأبدية، تنسم الحكمة بالجمال لأنها -كالميراث- تمتلك قيمة خالدة. ولا تقتصر قيمة الحكمة وجمالها على كونها تحمل هذه القيمة الدائمة فحسب، بل تمتد لتشمل قدرتها على غرس منظور أبدي في نفوسنا؛ فهي خيرٌ ونافعٌ وجميلٌ لأنها ترشدنا

،وتساعدنا على أن نعيش حياة أبدية من أجل أمورٍ أبدية. وعلاوة على ذلك، فقد أودع الله فينا توقاً إلى الأبدية (سفر الجامعة 3: 11) وتأتي الحكمة لتلبي هذا التوق، مما يجعلها خيراً ونافعاً وجميلاً. ولذا، يعلن كاتب سفر الأمثال قائلاً: "اعْلَمْ أَنَّ الْحِكْمَةَ هَكَذَا لِنَفْسِكَ إِذَا وَجَدْتَهَا فَلَا بُدَّ مِنْ ثَوَابٍ، وَرَجَاؤُكَ لَا يَخِيبُ" (سفر الأمثال 24: 14). فمن يمتلك الحكمة يمتلك رجاءً أبدياً

ثانياً، تتمثل فائدة الحكمة في أنها توفر الحماية. لننظر إلى نص اليوم الوارد في سفر الجامعة 7: 12: "لَأَنَّ الْحِكْمَةَ ظِلٌّ، وَالْمَالُ ظِلٌّ. وَفَضْلُ الْمَعْرِفَةِ هُوَ أَنَّ الْحِكْمَةَ تُخَيِّي صَاحِبَهَا". إن المعنى الحرفي لكلمة "ظل" هنا هو "الفيء" أو "الملجأ" (رادماخر) يوضح الملك سليمان أن كلاً من الحكمة والمال يعملان بمثابة ظل أو ملجأ لنا. تخيل يوماً تشتد فيه حرارة الشمس؛ ألن يكون الجو حاراً للغاية؟ وفي ظل حرارة كهذه، ألا نبحث بطبيعتنا عن الظل؟ يخبرنا الملك سليمان أن الحكمة والمال يوفران لنا ذلك النوع من الظل تماماً؛ فالقول بأنهما يوفران الظل يعني أنهما يمنحاننا السلام والشعور بالأمان. وباختصار، هذا يعني أن الحكمة والمال يحمياننا ما رأيك؟ هل تؤمن بأن الحكمة والمال يوفران لك الحماية؟ من المرجح أنك تتفق على أن المال يوفر الحماية، إذ غالباً ما يمنحنا امتلاك المال شعوراً بالأمان. ولهذا السبب يقول كاتب سفر الأمثال: "فِذْيَةُ نَفْسِ الرَّجُلِ ثَرَوْتُهُ، أَمَّا الْفَقِيرُ فَلَا يَسْمَعُ تَهْدِيداً" (سفر الأمثال 13: 8). على سبيل المثال، لو اختطف طفل وطُلبت فدية، فإن امتلاك المال يتيح لنا دفع الثمن وإنقاذ الطفل. ولكن ماذا عسانا نفعل في موقف كهذا لو لم نكن نملك المال؟ ومع ذلك، يعلن الملك سليمان أن الحكمة أسمى وأفضل من المال؛ أي أن الحكمة أكثر نفعاً من المال حين يتعلق الأمر بحمايتنا. هل تؤمن أنت أيضاً بأن الحكمة أكثر نفعاً من المال لحمايتنا؟ في النص المعروف الوارد في سفر الأمثال (31: 10-31)، يتحدث الكاتب عن المرأة الفاضلة. وتحديداً، تنص الآية 10 على ما يلي: "مَنْ يَجِدُ امْرَأَةً فَاضِلَةً؟، لَأَنَّ تَمَنِّيَهَا يَفُوقُ اللَّائِي بِمَرَاكِحٍ". إن الأشياء المادية -كاللآلئ أو المال- زائلة؛ وبعبارة أخرى، يفتقر المال إلى الديمومة. أما الحكمة فهي ليست شيئاً يأتي ويذهب فحسب (سفر الجامعة 7: 11)، بل هي ذات قيمة أبدية بالنسبة لنا. ولهذا السبب يعلن الملك سليمان أن الحكمة أكثر نفعاً من المال. ففي حين قد يحفظ المال حياتنا الجسدية، إلا أنه لا يستطيع حفظ نفوسنا. ومن ناحية أخرى، فإن الحكمة لا تحفظ حياتنا الجسدية فحسب، بل تحفظ نفوسنا أيضاً، مما يجعلها أثمن بكثير من المال. ولذا، يكتب كاتب سفر الأمثال: "طُوبَى لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَجِدُ الْحِكْمَةَ، وَلِلإِنْسَانِ الَّذِي يَبَالُ الْفَهْمَ، لِأَنَّهَا أَرْبَحُ مِنَ الْفِضَّةِ، وَغَلَّتْهَا أَفْضَلُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ" (سفر الأمثال 3: 13-14). يجب ألا نتخلى عن الحكمة بل أن نحبتها، فهي التي ستحمينا وتحرسنا (سفر الأمثال 4: 6).

وأخيراً، تتمثل الفائدة الثالثة التي تقدمها الحكمة في أنها تمكّننا من اختبار نعمة الله؛ تلك النعمة التي توفر العون في أوقات الحاجة

: ما هي نعمة الله هذه التي تعيننا في أوقات حاجتنا؟ يسلط الكتاب المقدس الضوء على جانب أو جانبين رئيسيين

أولاً، تتضمن نعمة الله التي نختبرها الإقرار بسيادة الله (1)

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 7: 13: "تَأْمَلْ عَمَلَ اللَّهِ؛ فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُقَوِّمَ مَا جَعَلَهُ هُوَ مُعْجَازٌ؟". يعني هذا النص أن البشر لا يستطيعون تغيير أعمال الله أو تصحيحها؛ ولذلك، يشير النص إلى سيادة الله المطلقة (بارك يون-صن). قد يكون من السهل نسبياً الإقرار بسيادة الله المطلقة حين نعيش في حالة من الرخاء والازدهار، إلا أن الإقرار بذلك في أوقات الشدائد والمحن يُعد أمراً مستحيلاً دون إيمان. وبالطبع، حتى في أوقات الرخاء، لا يمكننا الإقرار بسيادة الله إلا من خلال الإيمان؛ ومع ذلك، ولسبب ما يبدو الأمر أسهل مما هو عليه في أوقات الضيق. قد يتبادر إلى أذهاننا سؤال طبيعي: "إذا كان الله يحبنا، فلماذا يسمح بحدوث الشدائد بدلاً من أن يمنحنا بركة الرخاء وحدها؟" إن هذا الأمر يندرج تحت مشيئة الله السيادية التي تفوق إدراكنا البشري. فما هي مشيئة الله إذن؟ لننظر إلى الجزء الأخير من الآية 14 في الإصحاح السابع من سفر الجامعة: "...لأن الله جعل هذه وتلك، لكي لا يجد الإنسان شيئاً مما يكون بعده". إن الرخاء أو الشدائد التي يسمح بها الله ضمن مشيئته السيادية تهدف إلى حجب المستقبل عن إدراكنا؛ وهذا أمر فيه خير لنا، لأنه يدفعنا إلى وضع ثقتنا في الله وحده (بارك يون-سون). وتتمثل الرسالة التي ينقلها الملك سليمان في نص اليوم في أن الحكمة تكمن في الإقرار بسيادة الله المطلقة، سواء كنا نعيش في رخاء أو نواجه شدائد؛ وهكذا، يعيش الحكيم بالإيمان، معترفاً بسيادة الله في الأوقات الطيبة والسيئة على حد سواء.

ثانياً، إن نعمة الله -التي تأتي لمعونتنا في الوقت المناسب وتُكشف لنا من خلال الحكمة- تُمكننا من الفرح في أوقات الرخاء (2) والتأمل في أوقات الشدائد.

انظر إلى الجزء الأول من الآية 14 في الإصحاح السابع من سفر الجامعة في نص اليوم: "فِي يَوْمِ الْخَيْرِ كُنْ بِخَيْرٍ، وَفِي يَوْمِ الشَّرِّ تَأْمَلْ...". يدرك الحكيم أن الله هو الذي يُرتَّب كلاً من الرخاء والشدائد في حياتنا. كما يدرك أن الله، مُدَبِّرَ الأمرين، قد جعل من المستحيل علينا أن ندرك المستقبل تماماً أو نتنبأ به. لا يقتصر فرح الحكيم وسروره على الأوقات التي تسير فيها الأمور على ما يرام؛ بل إنه يتقبل النعمة التي يمنحها الله في أوقات الشدائد. وما هي تلك النعمة؟ إنها النعمة التي تتيح لنا الحكمة من خلالها أن نرى أموراً في وقت الشدة لم نكن نراها من قبل. إذن، ما الذي تكشفه لنا الحكمة في أوقات الشدة وتسمح لنا باختبار نعمة الله؟ (بارك يون-صن)

(أ) إنها تكشف حقيقة أننا خطاة. بعبارة أخرى، تُمكننا الحكمة من رؤية خطايانا في أوقات الشدائد، مما يورثنا التواضع أمام الله. يا لها من بركة عظيمة! إن إدراكنا لكوني خاطئاً أمام الله يُعدّ بركة كبرى؛ فبمجرد إدراك هذه الحقيقة، نستطيع أن ندرك عظمة نعمة الغفران الموجودة في صليب يسوع. وإذا استطعنا إدراك هذه النعمة في أوقات الشدائد، فإن الشدة نفسها تتحول إلى بركة. وتكمن فائدة الحكمة في أنها تُمكننا من إدراك هذه الحقيقة.

(ب) إنها تُمكننا من رؤية الآخرين. عندما نعيش موجة من النجاح، غالباً ما نغفل عن ملاحظة من حولنا، أو ربما نتجاهلهم تماماً ولكن، عندما نواجه الشدائد فقط، نبدأ في ملاحظة الناس من حولنا؛ ومع تراجع نزعة الترفع على الآخرين، نصل إلى مرحلة تقديرهم وتقديرهم واحترامهم.

إنها لقاء مع دينونة الله. من ذا الذي يفكر في دينونة الله حين تسير الأمور على ما يرام وتزدهر؟ ومع ذلك، فإننا في أوقات (3) الشدائد نلتقي بالله العادل الذي يدين الخطيئة. ونتيجة لذلك، ينشأ في داخلنا شعور بالرهبة والتقوى تجاه الله. وهذه هي عين النعمة التي يمنحنا الله إياها في أوقات المحن. (د) إنها تتيح لنا التطلع إلى السكنى الأبدية مع الرب. فالحكمة لا تجعلنا نتوق إلى الأمور الأبدية فحسب، بل تغرس فينا أيضاً منظوراً أبدياً؛ وبذلك، ولا سيما في أوقات الشدائد، تجعلنا نتوق بعمق أكبر إلى ملكوت الله الأبدي وعلاوة على ذلك، تُلهمنا الحكمة رجاء العيش إلى الأبد مع الرب في ذلك الملكوت. هذه هي النعمة التي يمنحنا إياها الله في ضيقنا؛ فالحكمة التي يهبها الله تساعدنا على اختبار هذه النعمة بالذات. هذه هي فائدة الحكمة، وهذا هو جمالها.

الحكمة جميلة. والحكمة نافعة لك ولي؛ فهي نافعة لأنها تمنحنا منظوراً أبدياً، ونافعة لأنها تحميها. وهي نافعة أيضاً لأنها تتيح لنا اختبار نعمة الله؛ تلك المعونة التي تأتي في الوقت الذي نحتاج فيه إليها تماماً. ولهذا السبب يحثنا كاتب سفر الأمثال قائلاً: "رأس الحكمة هو اقتناء الحكمة، وبكل مقتنياتك اقتن الفهم" (أمثال 4: 7). أصلي أن نسعى أنا وأنت لنيل الحكمة من الله، الذي يعطي الجميع بسخاء ودون تعيير (يعقوب 1: 5). ولذا، أمل أن نختبر أنا وأنت جمال الحكمة

أساس الحكمة

[سفر الجامعة 7: 15-18]

خلال اجتماع الصلاة الصباحي اليوم، تأملت في موضوعات الأسرة المباركة، والكنيسة المباركة، والأمة المباركة، مُركّزاً على الآية الواردة في سفر أخبار الأيام الثاني 9: 7: "طوبى لرجالك! طوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين جُمتك!" ومن خلال التأمل في هذه الآية، فُكرت في البركة العظيمة التي تكمن في لقاء قائد حكيم؛ فقد نالت أمة إسرائيل البركة تحديداً لأن ملكها سليمان، كان حكيماً. فمن خلال إرساء العدل والبر، عزّز الملك الحكيم سليمان الأمة (الآية 8)، وهكذا -كما لاحظت ملكة سبأ- كان شعب إسرائيل شعباً مباركاً حقاً. ولكي تنال أسرنا البركة، يجب أن يكون رب الأسرة -سواء كان الزوج أو الأب- حكيماً. ولكي تنال شركائنا البركة، يجب أن يكون الرئيس حكيماً. ولكي تنال كنائسنا البركة، يجب أن يكون الراعي حكيماً. ولكي تنال أمتنا البركة يجب أن يكون الرئيس حكيماً. ولهذا السبب، صلينا من أجل هؤلاء القادة خلال اجتماع الصلاة هذا الصباح؛ فقد صلينا أن يمنح الله الحكمة لقادة أسرنا وشركائنا وكنائسنا وأمتنا.

في الآونة الأخيرة، كنا نتأمل في الإصحاح السابع من سفر الجامعة خلال اجتماعات الصلاة الأسبوعية التي نعقدها أيام الأربعاء. وقد تأملنا في "قلب الحكمة" (الآيات 1-4)، و"توبيخ الحكمة" (الآيات 5-7)، و"خدمة الحكمة" (الآيات 8-10)، و"جمال الحكمة" (الآيات 11-14). وفي هذا السياق، نجد في نص اليوم -سفر الجامعة 7: 18- الملك الحكيم سليمان يتحدث عن أولئك الذين يتقنون الله. وبينما كنت أتأمل في الآيات (7: 15-18)، تذكرت الآية الواردة في سفر الأمثال 1: 7: "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ. أَمَّا الْجُهَالُ فَيَحْتَقِرُونَ الْجُحْمَةَ وَالْأَدَبَ". ولذلك، وتحت عنوان "بداية الحكمة"، أود أن أستخلص الدروس حول الكيفية التي ينبغي أن يعيش بها أولئك الذين يتقنون الله -الذي هو مصدر الحكمة. لننظر معاً إلى سفر الجامعة 7: 18: "حَسَنٌ أَنْ تُمَسِّكَ بِهِذَا، وَأَيْضاً أَنْ لَا تَرْخِي يَدَكَ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ خَائِفَ اللَّهِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا جَمِيعاً". يوضح الملك سليمان أن الذين يتقنون الله —وهو مصدر الحكمة— يتجنبون كلا الطرفين المتناقضين. ومن جانبي، أؤمن بأن "التوازن" أمر جوهري في حياة الإيمان؛ إذ أشعر أن حياة الإيمان لدى الكثير من المسيحيين تفتقر إلى هذا التوازن. فعلى سبيل المثال —وكما تأملنا سابقاً في سفر الجامعة 7: 14— يميل المسيحيون إلى حب "أيام الرخاء" بينما يكرهون "أيام الشدائد". وبعبارة أخرى، ورغم أنه ينبغي لنا أن نؤمن بأن الله يمنحنا النعمة في الوقت المناسب

وأن نتمتع بتلك النعمة تماماً، إلا أننا غالباً ما نفشل في ذلك خلال أوقات المحنة، حتى وإن كنا نظن —سواء في الرخاء أو الشدة— أننا نتمتع بها في أوقات الرخاء. وماذا عنك أنت؟ هل تتمتع حقاً بنعمة الله التي تأتي في حينها خلال أيام الشدة؟ هل تختبر رؤية أمورٍ في أوقات المحنة كنت قد أغفلت رؤيتها في أوقات الرخاء؟ هل تدرك أننا في أوقات الشدة ندرك حقيقتنا كخطاة وثلثت إلى من حولنا ممن تجاهلناهم حين كنا في قمة نجاحنا وازدهارنا؟ وهل ترى أننا نصل إلى مرحلة تبجيل الله البار الذي يدين الخطيئة، وننتقل إلى يجعلني —السكنى مع الرب إلى الأبد؟ إن تأملي في كيف أن الله يرتب لا أيام الرخاء فحسب بل أيام الشدة أيضاً —ويزج بينهما. أشعر بعمق أكبر بمدى حاجتنا إلى التوازن في حياة الإيمان. نحن نحتاج إلى أيام الرخاء بالتأكيد، لكننا نحتاج أيضاً إلى أيام الشدة والسبب في أن الله يمزج بين هاتين التجربتين في حياتنا هو أنه، بإخفائه المستقبل عن إدراكنا الكامل (الآية 14)، يريدنا أن نعيش بالإيمان به وحده. ولذلك، فإن حياة الرخاء وحدها لا تكفي؛ بل نحتاج إلى المعاناة أيضاً. ومع ذلك، يبدو أن الكثير من المسيحيين اليوم، رغم درايهم الواسعة ببركة الرخاء، يفشلون في إدراك البركة الكامنة في المعاناة؛ ومثل هذه الحياة الإيمانية تفتقر إلى التوازن.

ليس المستقبل وحده هو ما يفوق قدرتنا على الفهم (الآية 14)؛ فنحن نعجز أيضاً عن استيعاب السبب الذي يجعل البار يعاني بينما يزدهر الشرير. بعبارة أخرى، لم يكتفِ الله بمزج أيام الرخاء والشدة معاً لإبقاء المستقبل خارج نطاق إدراكنا، بل إنه -في ظل سيادته المطلقة- قد حجب عنا أيضاً فهم سبب معاناة البار وازدهار الشرير. تأمل في الآية 15 من سفر الجامعة، وهي النص الذي نتناوله اليوم: "رَأَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيَّامِ بَاطِلِي: رَجُلًا بَارًّا يَهْلِكُ فِي بَرِّهِ، وَشَرِيرًا يَطُولُ عُمرُهُ فِي شَرِّهِ". يُعَبِّرُ الملك سليمان هنا عن عجزه عن فهم سبب هلاك البار بينما يتمتع الشرير بحياة مديدة. هل تفهم أنت ذلك؟ ألا ينبغي للبار المؤمن بيسوع أن ينعم ببركة طول العمر؟ وكيف يُعقل أن يتمتع الشرير بمثل هذه البركة؟ إن هذا بلا شك مظهر من مظاهر عمل الله السيادي الذي يفوق قدرة العقل البشري على الاستيعاب. لذا، ليس أمامنا خيار سوى الإقرار بسيادة الله المطلقة؛ وعلينا أن نمضي قدماً في الإيمان، واثقين بالله بصفتة الحاكم السيادي، ومطيعين للكلمة التي يمنحنا إياها. ومن جوانب تلك الكلمة: الوصية بتجنب الإفراط والمبالغة (أي التطرف) فالذين يعيشون حياة إيمانية متوازنة -يتصرفون بحكمة ويتقون الله- يناون بأنفسهم عن مثل هذه الأمور المتطرفة. فما هي إذن تلك الأمور المتطرفة التي يشير إليها الملك سليمان؟ نتحدث الآية 18 عن "هذا" و"ذاك"، قاصدةً بذلك طرفي النقيض: المبالغة في البر والمبالغة في الشر. بعبارة أخرى، إن من يمتلكون أساس الحكمة -أي الذين يتقون الله- يتجنبون الوقوع في فخ المبالغة في البر أو المبالغة في الشر.

أولاً، نبحثنا الملك سليمان على ألا نكون أبراراً بإفراط.

إن "البار" المقصود هنا ليس هو الشخص الذي تبرر بالإيمان بيسوع المسيح، بل هو المرائي الذي يدعي البر الذاتي (بارك يون-سون). فمن هم هؤلاء المرثونون؟ إنهم -على غرار الفريسيين- أشخاص يسعون لنيل الخلاص من خلال حفظ شريعة الله والعمل بها؛ وبعبارة أخرى، هم أولئك الذين يحاولون بلوغ الخلاص بأعمالهم الخاصة. فبدلاً من قبول بر الله كعطية تُحسب لهم، يسعون لاكتسابه بجهودهم واستحقاقاتهم الذاتية. لقد كان برّهم هذا يكرّس جهودهم واستحقاقاتهم ويرفع من شأن أنفسهم؛ وفي نهاية المطاف

لا بد أن يولد مثل هذا البرّ كبرياءً. ونتيجة لذلك، ظن هؤلاء المرائون أنهم حكماء، غير أن حكمتهم لم تكن البتة حكمةً نازلةً من فوق (يعقوب 1: 15). ونحن نعلم ذلك لأن الحكمة النازلة من فوق تتسم بالوداعة - أي التواضع - في حين أظهر المرائون غطرسة التعالي "على الآخرين. ولذا، يقول الملك سليمان في سفر الجامعة 7: 16: "لا تكن باراً كثيراً، ولا تكن حكيماً بزيادة. لماذا تخرب نفسك؟"، لقد ذكرني كلام الملك سليمان هذا بما ورد في سفر الأمثال 16: 18، حيث يُقال إن الكبرياء تسبق الهلاك. ولكي نتجنب الدمار، يجب ألا نكون أبراراً بإفراط.

ثانياً، يحثنا الملك سليمان على ألا نكون أشراراً بإفراط. انظر إلى نص اليوم في سفر الجامعة 7: 17: "لا تكن شريراً كثيراً، ولا تكن جاهلاً. لماذا تموت في غير أوانك؟" لا يعني هذا النص أن ارتكاب الشر بدرجة ما أمر مقبول، بل هو بمثابة تحذير من الشر المفرط؛ إذ يحثنا الملك سليمان على ألا نصبح أشراراً للغاية. فماذا يعني أن نصبح أشراراً للغاية؟ إنه يعني عدم مخافة الله، وعصيان كلمته بدافع الجهل. وبعبارة أخرى، فإن الجاهل الذي يسعى وراء الشر المفرط يعيش وفقاً لأهوائه، عاصياً كلمة الله لأنه ينكر وجوده. فعلى سبيل المثال، يُعد الشخص الشرير للغاية جاهلاً بامتياز؛ إذ إن قلب الجاهل يسكن في "بيت الله" (الآية 4). علاوة على ذلك، فإن قلب الأحقق تحكمه الأطماع وحب الرشوة (الآية 7). فالأحمق متغطرس (الآية 8) وسريع الغضب (الآية 9). فما عسانا نتوقع من شخص كهذا؟ وماذا يقول الكتاب المقدس عن مصير شخص بالغ الشر؟ يذكر الملك سليمان أن الأشرار للغاية يموتون قبل أوانهم (الآية 17). ومع ذلك، عند النظر إلى الآية 17 جنباً إلى جنب مع الجزء الأخير من الآية 15، يبدو أن هناك تناقضاً؛ ففي الآية 15، أشار سليمان إلى وجود أشرار يعيشون طويلاً رغم شرهم، بينما يذكر في الآية 17 أن الشرير قد يموت قبل أوانه. فكيف إذن نفسر هاتين العبارتين؟ لننظر في كلمات سفر الجامعة 8: 12-13: "إِنَّ الْخَاطِيَّ يَعْمَلُ الشَّرَّ مِثَّةَ مَرَّةٍ وَتَطُولُ أَيَّامُهُ. وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَمَامَهُ. وَأَمَّا الشَّرِيرُ فَلَا يَكُونُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَا يَمُدُّ أَيَّامَهُ كَالظِّلِّ، لَأَنَّهُ لَا يَخَافُ أَمَامَ اللَّهِ". ورغم أنه قد يبدو لنا أن هناك أشراراً يعيشون طويلاً رغم أعمالهم الشريرة (الآية 15)، إلا أن الكتاب المقدس يوضح بجلاء أن الشرير لن ينال خيراً ولن تطول أيامه (8: 13). وما السبب في ذلك؟ السبب هو أن الأشرار لا يتقون الله؛ إذ يعلن الكتاب المقدس صراحةً أن من لا يتقون الله لن ينعموا بحياة مديدة.

"إن الذين يتقون الله لا يعيشون حياة تتسم بالتطرف أو الإفراط. وبعبارة أخرى، فإن الشخص الحكيم الذي يتقي الله لا يعيش "بإفراط لا يبالغ في البر ولا يبالغ في الشر؛ وذلك لأنه يدرك أن المبالغة في — (الآيتان 16 و 17). فالذي يتقي الله — وهو مصدر الحكمة البرّ تؤدي إلى هلاك الذات، بينما تؤدي المبالغة في الشر إلى الموت قبل الأوان. وبدلاً من ذلك، يتجنب هؤلاء هذا التطرف ويعيشون يعيشون بالإيمان — حياة متوازنة قائمة على الإيمان. وتعني هذه الحياة المتوازنة أنهم — بعد أن تبرروا بالإيمان ببسوع المسيح وحده، ويسلكون حياة تبغض الشر. إنهم يبعضون الشر لأنهم يتقون الله (أمثال 8: 13)، ويحبون البر للسبب ذاته. ولذا، فإن من يتقي يبعض الظلم ويحب البر ويسلك طريق البر. وعلاوة على ذلك، فإن السالكين في طريق البر والمتقين — الله — وهو مصدر الحكمة الله لا يحددون يمنة ولا يسرة. أصلي أن نكون أنا وأنت ممن يتقون الله، مصدر كل حكمة

الحكمة التي تمنح المرء حكمةً وقوة

[سفر الجامعة 7: 19-22]

في الآونة الأخيرة، وبينما أرى حولي كبار السن والمرضى، أدرك حقاً حقيقة ما ورد في سفر الجامعة 7: 2، بأن الموت هو المصير المحتوم لنا جميعاً. أجد نفسي أتأمل بعمق في هذه المحطة الأخيرة من حياة الإنسان؛ فأنا ألاحظ أنه مع تقدمنا في العمر، تضعف أجسادنا - تلك "الخيام" الجسدية - حتماً. وأرى أناساً يعانون من أمراض شتى مع تراجع قوتهم البدنية. وكما يفقد الجسد الضعيف مناعته ويصبح عرضة للأمراض، فإن أرواحنا أيضاً، إذا خلت من القوة، تقع بسهولة فريسةً للتجارب والخطية. ولهذا السبب نحن بحاجة إلى القوة الروحية. إذن، كيف نكتسب هذه القوة الروحية؟ علينا أن نصلي إلى الله. وبالطبع، يجب أن تكون صلواتنا مرتكزة على كلمته. ولعل هذا هو السبب في أن البعض يربطون بين القوة الروحية وقوة الصلاة. وفي معرض الحديث عن قوة الصلاة؛ فقد قال إننا عندما نصلي، يجب أن نصلي بأسلوب (Gyeongsang) "أتذكر حواراً دار بيني وبين شخص من منطقة "جيونغسانغ" أي بكثافة وحزم وجدية بالغة. ويبدو أن سكان تلك المنطقة يستخدمون هذه الكلمة لوصف الصلاة التي - (ppaksige) "باكسيغي" - تتسم بحرارة شديدة وبذل جهد كبير. وعلى الصعيد الشخصي، أخبرني أحد الشيوخ قبل بضع سنوات - وكنت حينها راعياً شاباً - بأنني أفنقر إلى القوة الروحية. في ذلك الوقت، لم أكن أدرك تماماً معنى "القوة الروحية"، ولذا لم أعرف كيف أرد. ولكن منذ ذلك الحين، وحين أنظر إلى نفسي، أدرك أنني لا أفنقر إلى القوة الروحية فحسب، بل أيضاً إلى القدرة الفكرية، والكفاءة، والقدرة على التنفيذ، والتحمل البدني، وغيرها من الأمور. فضلاً عن مجرد الشعور بالنقص، كانت تمر عليّ أوقات أشعر فيها بعجز تام. فماذا، عليّ أن أفعل إذن؟ أشعر بحاجة ملحة لتعزيز هذه الجوانب التي أفنقر فيها - سواء كانت القوة الروحية، أو القدرة الفكرية، أو الكفاءة أو القدرة على العمل، أو التحمل البدني. كيف يمكننا أن نتقوى؟ وبشكل خاص، كيف يمكننا تعزيز قوتنا الروحية؟

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 7: 19، يقول الملك سليمان: "الحكمة تجعل الحكيم أقوى من عشرة حكام في المدينة". ماذا مقارنةً بالحكام العشرة الذين يديرون شؤون المدينة—فتجعله أقوى وأكثر قدرة—يعني هذا؟ يعني أن الحكمة تمنح الحكيم قوةً. باختصار، تمنح الحكمة القوة للحكماء. فكيف إذن تمنح الحكمة القوة للحكيم؟ دعونا نستخلص ثلاثة دروس من نص اليوم

أولاً، تمنح الحكمة القوة للحكيم من خلال تعليمه حقيقة أنه لا يوجد إنسان بار على الأرض لا يخطئ.

انظر إلى سفر الجامعة 7: 20 في نص اليوم: "لَيْسَ إِنْسَانٌ صَدِيقٌ فِي الْأَرْضِ يَعْمَلُ الصَّالِحَ وَلَا يُخْطِئُ". يعلن الملك سليمان أنه لا أي—يوجد شخص بار في هذا العالم يصنع الخير ولا يرتكب خطيئة. ماذا يعني هذا؟ يعني أنه لا يوجد إنسان واحد يمكن تبريره بواسطة أعماله الصالحة. بعبارة أخرى، لا أحد يستطيع نيل البر أمام الله من خلال الجهود البشرية لحفظ الشريعة—إعلانه باراً (رومية 3: 20). ولهذا السبب يقول الرسول بولس: "لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ" (الآية 10). تمنح الحكمة القوة للحكيم عبر كشف الحقيقة القائلة بأنه لا يمكن لأحد في هذا العالم أن ينال الخلاص بالأعمال الصالحة. كيف تمنح الحكمة القوة للحكيم؟ إنها تفعل ذلك بقيادته ليتطلع إلى إله الخلاص. تمنحنا الحكمة القوة بتعليمنا حقيقتين جوهريتين: أنه لا يوجد إنسان بار على الأرض يصنع الخير ولا يخطئ، وأنه لا يمكن لأي شخص نيل الخلاص من خلال أعماله الصالحة. ومن خلال كشف هذه الحقائق، توجه الحكمة أنظارنا البار—نحو إله الخلاص الذي يبرر الخاطئ. وبشكل أكثر تحديداً، تمنحنا الحكمة القوة بقيادتنا للنظر بإيمان إلى يسوع المسيح أكثر—الحقيقي الذي عاش على الأرض صانعاً الخير دون أن يرتكب أي خطيئة. لذا، ينبغي علينا أن نرغب بشدة في هذه الحكمة حتى من الذهب أو الفضة أو الكنوز الثمينة. وبالنسبة لنا نحن الذين تبررنا بالفعل بالإيمان بيسوع المسيح، تمنحنا الحكمة القوة من خلال مساعدتنا على إدراك أن تبريرنا يأتي فقط من خلال نعمة الله المطلقة. باختصار، القوة التي تمنحها الحكمة هي قوة النعمة؛ فالحكمة تقوينا بقوة النعمة.

ثانياً، تمنح الحكمة القوة للحكيم من خلال هبة الأذن المميزة (التي تحسن الإصغاء والتمييز). تأمل في نص اليوم، الوارد في سفر الجامعة 7: 21: "لا تضع قلبك على كل الكلام الذي يُقال، لئلا تسمع خادمك يلعنك". شخصياً، أو من بأن امتلاك أذن تصغي حقاً للآخرين هو هبة نادرة وقيمة، ببساطة لأن هذا النوع من الإصغاء اليقظ ليس أمراً شائعاً. وعلاوة على ذلك، ففي خضم مصاعب الحياة وصراعاتها، يُعد الإصغاء بعناية لمن يعانون خدمة قيمة للغاية لبث التعزية. وبالطبع، ليست هذه بالمهمة السهلة؛ فالإصغاء وتحديد التحلي بصفة "مُبتناً في الكلام" كما يوصي—الجيد للآخرين يتطلب انضباطاً وضبطاً للنفس. إن ممارسة ضبط النفس تتطلب جهداً وتفانياً عند الإصغاء بفاعلية للآخرين. وفضلاً عن ذلك، ولكي نضع وصية يعقوب بأن نكون—الرسول يعقوب مُسرعين في الاستماع" موضع التنفيذ في حياتنا، يجب علينا طلب الحكمة من الله (يعقوب 3: 19). ولماذا يُعد هذا أمراً ضرورياً؟ لأن الله عندما يمنحنا الحكمة، فإننا نصبح قادرين ليس فقط على الاستماع للآخرين بتواضع، بل أيضاً على الاستماع بتمييز وفطنة فالشخص الحكيم حقاً لا يستمع عشوائياً لكل ما يُقال، بل يستمع بتمييز. باختصار، يمتلك الحكماء أذناً مميزة؛ فهم يستمعون لما إلى هذه الأذن المميزة، فقد نصغي—بسبب حماقتنا—ينبغي سماعه، بينما يستبعدون ويتجاهلون ما لا داعي لسماعه. أما إذا افتقرنا حتى إلى همسات من يغتابوننا. وإذا—وأخذ الأمر على محمل الجد—باهتمام لكل كلمات الناس؛ وقد ينتهي بنا المطاف بالاستماع

استمعنا إلى كلمات الجميع وأمعنا التفكير فيها، فقد نسمع "خادمك يلعنك" (الجامعة 7: 21). فإذا أولينا اهتماماً مفراطاً لكل كلمة ينطق بها أي شخص، فلا بد أننا سنسمع أصواتاً تلعننا من بين تلك الكلمات. وحين يحدث ذلك، ما هي الحالة التي ستكون عليها قلوبنا؟

يُروى أن القس تشارلز سبورجون قال يوماً لطلابه في الخدمة الرعوية: "يحتاج الراعي إلى عين عمياء وأذن صماء"، ثم أضاف: "لا يمكنك كبح ألسنة الناس؛ لذا فإن أفضل ما يمكنك فعله هو إغلاق أذنيك، أي ألا تعير اهتماماً لما يقوله الآخرون" (وبرسبي). علينا أن نطلب الحكمة من الله، وتحديدًا أن نسأله أن يمنحنا أذاناً مميزة (فطنة). فبمثل هذه الأذان، نستطيع التمييز بين ما يجب سماعه وما يجب تجاهله، فلا نصغي إلا لما فيه نفع لنا. ومن الأمور التي ينبغي لنا الإصغاء إليها توبيخ الحكيم. تأمل ما ورد في سفر الجامعة سَمَاعُ تَوْبِيخِ الْحَكِيمِ خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ سَمَاعِ غِنَاءِ الْجُهَّالِ. فمن ذا الذي يجد متعةً بطبيعته في سماع صوت يوبخه؟ ومع "5: 7 ذلك، فإن الحكمة تقود الحكيم إلى الإصغاء لمثل هذا التوبيخ. وفضلاً عن ذلك، تُمكننا الحكمة من سماع صوت الله؛ ولهذا السبب يجب أن نطلب من الله الحكمة وأذاناً مميزة. فبواسطة الأذان المميزة التي يمنحنا إياها الله، علينا أن نميز بين صوت العالم وصوت الرب، وأن نجد الفرع في الإصغاء لصوت الرب. باختصار، إن القوة التي تمنحنا إياها الحكمة هي قوة الكلمة؛ فالحكمة تُمكننا من خلال كلمة الله.

ثالثاً، تُمكن الحكمة الحكيم من إدراك الخطيئة.

تأمل نص اليوم، سفر الجامعة 7: 22: "لأنَّ قَلْبَكَ يَعْظُمُ أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضاً لَعَنْتَ الْآخَرِينَ مَرَاراً كَثِيرَةً". عندما تُمكن الحكمة الحكيم من التمييز بين صوت العالم وصوت الرب -ومن سماع صوت الرب تحديداً- فإننا ندرك خطايانا من خلال ذلك الصوت الإلهي. فبينما يدفعنا صوت العالم إلى الاستهانة بالخطيئة وتكرار التجاوزات ذاتها، يُمكننا صوت الله من رؤية الخطيئة على حقيقتها. وخير مثال على ذلك هو إدراك الخطيئة الكامنة في قلوبنا (الآية 22)، وتحديدًا فعل لعن الآخرين في أذهاننا (الآية 22). فإذا استمعنا إلى الآخرين دون تمييز، قد نسمع كلمات لعن؛ ولكن دون تمييز، قد نعجز عن سماع -أو إدراك- ذلك الصوت الداخلي في قلوبنا الذي يلعن الآخرين. تمنح الحكمة الحكماء قوةً بتمكينهم من سماع تلك الأصوات الداخلية وإدراكها. كيف تمنح الحكمة الحكماء هذه القوة؟ إنها تفعل ذلك من خلال كشف عجزهم التام عن التغلب على الخطيئة بمفردهم، وفي الوقت نفسه تقودهم إلى الاتكال على دم يسوع الكفاري الذي سَفَكَ على الصليب. بعبارة أخرى، لا تكتفي الحكمة الحقيقية بكشف الخطيئة الكامنة في قلوبنا فحسب، بل تقودنا أيضاً إلى النظر بايمان إلى يسوع -الذي مات عوضاً عنا على الصليب، أي خشبة اللعنة، ليغفر تلك الخطيئة بالذات- مانحةً إيانا بذلك التحرر من الخطيئة. ألا ترغب في التحرر من الخطيئة؟ تمنح الحكمة الحكماء قوةً عبر تحريرهم من الخطيئة؛ فهي تمكّنهم من... الاتكال على دم يسوع المسفوك على الصليب واختبار قوته. باختصار، إن القوة التي تمنحنا إياها الحكمة هي تحديدًا قوة الدم الثمين إنه مصدر للقوة. تمنحنا الحكمة القوة من خلال الدم الثمين الذي سفكه يسوع على الصليب.

تمنح الحكمة الحكماء قوة؛ إنها تمدنا بالقوة. كيف تمنحنا الحكمة القوة؟ من خلال تعليمنا الحقيقة القائلة بأنه لا يوجد بار على الأرض لا يخطئ، تقودنا الحكمة للنظر بإيمان إلى يسوع المسيح -الذي صنع الخير ولم يرتكب أي خطيئة. ونتيجة لذلك، تمنحنا الحكمة القوة من خلال قوة النعمة. ومن خلال تمكيننا بهذه النعمة، تجعل الحكمة قلوبنا تفيض بالامتنان. كما تمنحنا الحكمة القوة عبر هبة الأذن المميزة؛ فهي تمكننا من التمييز بين صوت الله وصوت العالم، وتمنحنا القوة بمساعدتنا على استبعاد صوت العالم والإصغاء بدلاً من ذلك إلى صوت الله. بعبارة أخرى، تمنحنا الحكمة القوة من خلال قوة الكلمة. ومن خلال تمكيننا بالكلمة، تقودنا الحكمة لنسلك طريق الطاعة. تمنحنا الحكمة القوة بمساعدتنا على إدراك الخطيئة؛ وتحديدًا، فهي تكشف خطيئة لعن الآخرين في قلوبنا، وتقودنا للنظر إلى يسوع القادر على غفران تلك الخطيئة. تمنحنا الحكمة القوة عبر قوة الدم الثمين، مما يتيح لنا تذوق فرحة الحرية. أصلي أن تحل هذه البركات علينا جميعاً.

يا رب يسوع، أفيض نعمة وافرة على نفسي؛"

فالرب يسوع وحده هو قوتي ومصدر اكتفائي. " (لازمة الترنيمة رقم 486)

"هذا ما اكتشفته"

[سفر الجامعة 7: 23-29]

كيف تتعامل مع الصراعات التي تنشأ في علاقاتك مع الآخرين؟ بالطبع، ليست كل علاقة مشحونة بالصراعات، ولكن قد يكون هناك شخص محدد تتسم العلاقة معه بالتوتر الشديد لدرجة تسبب لك ضغطاً كبيراً. فماذا علينا أن نفعل، لا سيما عندما يُخرج ذلك الشخص أسوأ ما فينا؟ شخصياً، عندما أصادف شخصاً كهذا، أميل إلى تجنبه رغبةً مني في الابتعاد — الذي يوترنا ويجعل الحياة صعبة — عن الصراع؛ إذ لا رغبة لدي في مواجهته أو الحديث معه، ولذا أكتفي بالابتعاد. كثيراً ما أسأل نفسي عما إذا كانت هذه هي مشيئة الرب حقاً، لكنني لست متأكداً تماماً؛ فأنا لست واثقاً مما إذا كنت أدير علاقاتي بالطريقة التي يريدها الرب. ومع ذلك، قلت لزوجتي ذات مرة: "إذا كان هناك شخص يجعل حياتك صعبة ويُخرج أسوأ ما فيك، فربما يستخدم الله ذلك الشخص لمساعدتك على إدراك خطيتك". أليس هذا أمراً مثيراً للمفارقة؟ فقد يكون الله يستخدم الشخص ذاته الذي أرغب في تجنبه لمساعدتي *أنا* على إدراك خطيتي، ومع ذلك لم ألحظ ذلك؛ بل اقترحت بدلاً من ذلك أن الله ربما يمنح *هي* هذا الإدراك.

لقد أدركت مؤخراً أن إدراك المرء لخطيئة هو نعمة عظيمة. في الماضي، لم أكن أنظر للأمر بهذه الطريقة؛ إذ كان الوعي بالخطيئة مؤلماً ويغرقني في اليأس بسبب الشعور بالذنب. ولكن، بينما أتأمل في الكتاب المقدس، تتردد في قلبي كثيراً عبارة "يا لها من خطيئة سعيدة!" — وهي العبارة الشهيرة للقديس أغسطينوس. يساعدي الله تدريجياً على فهم معنى تلك الكلمات في سياق حياتي الخاصة وانطلاقاً من هذا المنظور، وبينما أتأمل في نص اليوم — سفر الجامعة 7: 23-29 — أؤمن بأن "الإدراك" هو نعمة عظيمة يمنحنا إياها الله.

في نص اليوم، يستخدم الملك سليمان كلمة "أدركت" ثلاث مرات: "أدركت... (الآية 26)، "...أدركت هذا" (الآية 27)، و"هذا ما أدركته" (الآية 29). قادتني التأملات في هذه الكلمة المتكررة إلى طرح السؤال التالي: "ما الذي أدركه الملك سليمان بالضبط؟ واستناداً إلى النص، يمكن تلخيص ما أدركه في أربع نقاط:

أولاً، أدرك الملك سليمان أن المرء لا يستطيع أن يجعل نفسه حكيماً بمجرد الإرادة.

لننظر إلى سفر الجامعة 7: 23: "كُلُّ هَذَا امْتَحَنُوهُ بِالْحِكْمَةِ. قُلْتُ: «أَحْكُمُ». أَمَّا هِيَ فَبَعِيدَةٌ عَنِّي". وكما نعلم، كان الملك سليمان ملكاً حكيماً؛ إذ يذكر الكتاب المقدس أن حكمته فاقت حكمة جميع ملوك الأرض (أخبار الأيام الثاني 9: 22). وكان هو نفسه يدرك أنه اكتسب حكمة عظيمة - حكمة تفوقت على حكمة أي شخص حكم أورشليم قبله (سفر الجامعة 1: 16). ومع ذلك، فقد سعى ليصبح أكثر حكمة. لننظر إلى سفر الجامعة 1: 17: "وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِمَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ وَمَعْرِفَةِ الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا أَيْضاً قَبِضٌ عَلَى الرِّيحِ". والأمر المحير نوعاً ما هو أنه، بعد أن ذكر (في 1: 17) أن سعيه وراء الحكمة كان أشبه بملاحقة الريح، استمر - كما نرى في نص اليوم، سفر الجامعة 7: 23- في اختبار الحكمة والسعي ليصبح أكثر حكمة. ومع ذلك، كانت النتيجة التي توصل إليها هي: "أَمَّا هِيَ فَبَعِيدَةٌ عَنِّي" (الآية 23). ورغم أن الملك سليمان بذل جهداً كبيراً ليصبح أكثر حكمة، إلا أن النتيجة النهائية التي اضطر إلى قبولها هي أنه لم يكن بوسعه أن يجعل نفسه حكيماً.

ما الذي يجب أن ندرکه من هذا؟ إنه لا يمكننا أن نصبح حكماء بمفردنا؛ فالله وحده هو القادر على منحنا الحكمة. بعبارة أخرى، يجب أن نفهم أننا لا نصبح حكماء إلا إذا منحنا الله الحكمة. هل أصبح الملك سليمان حكيماً بفضل جهوده الذاتية؟ بالتأكيد لا. فعندما قَدَّمَ ألف محرقة (أخبار الأيام الثاني 1: 6) وظهر له الله ليلاً وسأله: "اطْلُبْ مَاذَا أُعْطِيكَ؟" (الآية 7)، ألم يطلب "حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً"؟ (الآية 10). إن الله هو الذي يمنحنا الحكمة؛ وما يمكننا فعله هو أن نطلب الحكمة من الله، تماماً كما فعل الملك سليمان. وعندما نطلب، يجب أن نفعل ذلك بإيمان، طالبين إياها من الله الذي يعطي بسخاء للجميع دون أن يُعَيَّرَ أحداً (يعقوب 1: 5).

ثانياً، أدرك الملك سليمان أن الحكمة تفوق القدرة على استيعابها بالكامل.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 7: 24: "البعيد والغائر جداً، من يدركه؟" إن التعريف القاموسي لكلمة "يُتَقَنَّ" (أو "يستوعب تماماً") المستخدمة هنا هو "امتلاك فهم واضح وغير معاق للمعرفة أو المهارات في مجال معين"، في حين أن معنى الكلمة اليونانية، الأصلية هو "يفحص" أو "يبحث" (الإنترنت). لقد سعى الملك سليمان جاهداً لاكتشاف الحكمة الكامنة في أعماق المجتمع البشري لكنه في النهاية تحسّر على صعوبة إدراكها (بارك يون-سون). وعند تطبيق هذا الأمر على أنفسنا، نجد أنه مهما حاولنا جاهدين العثور على الحكمة، فإن جهودنا تذهب سدى ما لم يمنحنا الله إياها؛ وبالتالي، لا يبقى أمامنا خيار سوى التحسّر. فكيف يمكننا -نحن الذين لا نستطيع أن نصبح حكماء بمفردنا- أن نُتَقَنَّ الحكمة؟

بما الذي يجب أن ندرکه هنا؟ هو أننا لا نستطيع إتقان الحكمة إلا إذا مَكَّنَّا الروح القدس من ذلك. ولهذا السبب يقول الرسول بولس فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لِأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ" (1 كورنثوس 2: 10). أليس هذا أمراً غريباً بعض الشيء؟ فيما أن الروح القدس هو الله، فمن المؤكد أنه لا يحتاج إلى البحث عن أعماق الله؟ فلماذا إذن يقول بولس إن الروح القدس يفحص -أي يستكشف- أعماق الله؟ السبب هو أن بولس كتب الرسالة من منظورنا نحن المؤمنين بيسوع، وليس من منظور الله نفسه. بعبارة أخرى، في حين أن الروح القدس -بصفته الله- لا يحتاج إلى البحث عن أعماق الله لنفسه، إلا أنه يسكن فينا نحن المؤمنين

ويعمل على قيادتنا للبحث عن تلك الأعماق؛ ولذلك يتحدث بولس عن فحص الروح لأعماق الله. وبالفعل، هذا هو الواقع؛ فحتى في هذه اللحظة بالذات، يسكن الله الروح القدس فينا، ويقودنا لطلب كلمة الله ويمكننا من فهمها. علاوةً على ذلك، فإن الروح القدس ويمنحنا القدرة على طاعة تلك المشيئة. إنه يعيننا في ضعفنا؛ فيما أننا لا نعرف كيف —الساكن فينا يُعلن لنا مشيئة الله— أي أفكاره نصلي كما ينبغي، فهو نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها (رومية 8: 26). آمين. إنه يشفع فينا بحسب مشيئة الله (الآية 27). وعلينا أن ندرك هذه الحقيقة ونعيش حياتنا بقيادة الروح القدس.

ثالثاً، أدرك الملك سليمان أن حل جميع مشاكل الحياة يكمن في الله وحده.

لقد سعى الملك سليمان بجدٍ ليصبح أكثر حكمةً بغية حل مشاكل الحياة. انظر إلى سفر الجامعة 7: 25 في نص اليوم: "وَجَهْتُ قَلْبِي لِأَعْلَمَ وَلِأُبَحِّثَ وَلِأَطْلُبَ الْحِكْمَةَ وَالْعَقْلَ، وَلِأَعْرِفَ الشَّرَّ أَنَّهُ جَهَالَةٌ، وَالْحَمَاقَةُ أَنَّهَا جُنُونٌ". فماذا أدرك بعد كل ذلك الجهد ليصبح أكثر حكمة؟ لقد أدرك أن حل جميع مشاكل الحياة ليس موجوداً في داخلنا. ولماذا لا يوجد الحل في داخلنا؟ لأن قلوبنا أشبه بالفخاخ والشباك. انظر إلى الآية 26: "فَوَجَدْتُ أَمْرًا مِنَ الْمَوْتِ: الْمَرْأَةُ الَّتِي هِيَ شَبَاكَ، وَقَلْبُهَا فَخَاخٌ، وَيَدَاهَا قَيُودٌ. الصَّالِحُ أَمَامَ اللَّهِ يَنْجُو مِنْهَا، أَمَّا الْخَاطِئُ فَيُؤْخَذُ بِهَا". ماذا يعني القول هنا بأن قلوبنا أشبه بالفخاخ والشباك؟ يشير هذا النص إلى أن قلب الإنسان أكثر غدراً من الموت، مما يجعلنا عرضةً لإغواء امرأة قلبها كالفخ والشبكة، ويدها كالحبال المقيدة. ولذا، بحثنا كاتب سفر الأمثال ألا نحيد إلى طريق المرأة الزانية (أمثال 2: 16-19؛ 5: 1-14؛ 6: 24-29؛ 7: 1-27) (ماك آرثر). فإذا اقتربنا من الحكمة، فإنها "ستحمينا من الوقوع فريسةً للزانية الماكرة التي تغوي بكلماتها (أمثال 7: 5). أما الشخص الأحمق فهو "كالثور السائر إلى الذبح و"كالجاهل الذي يقع في فخ لينال عقابه" (الآية 22). ويُشبه ذلك "طائراً يندفع نحو الفخ، غير مدرك أن ذلك سيكلفه حياته" (الآية 23). لقد أدرك الملك سليمان -الذي سعى لنيل حكمة أعظم- في نهاية المطاف طبيعة الحماقة البشرية؛ إذ فهم أن هذه الحماقة -التي تشبه حفر المرء لقبره بيده- تقود الناس إلى الاستسلام للمغريات الدنيوية (التي ترمز إليها المرأة الزانية)، فيقعون في الشباك ويفقدون حياتهم. ومع ذلك، فقد أدرك أيضاً أن الحكماء -باطاعتهم لكلمة الله وسعيهم لإرضائه- يتجنبون هذه المغريات الدنيوية وينجون من الأفخاخ والشباك التي كانت ستوقعهم في حبالها لولا ذلك.

لقد أدرك الملك سليمان أن حل كل مشكلة في الحياة يكمن في الله وحده (بارك يون-سون). ما رأيك أنت؟ هل تؤمن بأن حل جميع مشاكل الحياة يقع على عاتق الله وحده؟ أم أنك لا تزال تعتقد أن الحل يكمن في داخلك؟ إذا واصلت العيش معتقداً أن الإجابة على مشاكل الحياة موجودة في داخلك، فمن المرجح أن تجد نفسك عالقاً في الفخاخ والشباك، وتعيش عبداً للخطيئة. أما إذا عشت مؤمناً بأن حل مشاكل الحياة يعود لله وحده، فستتحرر من تلك الفخاخ والشباك، وتتمتع بالحرية من الخطيئة.

رابعاً، أدرك الملك سليمان أنه على الرغم من أن الله خلق البشر مستقيمين، إلا أن الناس قد اختلقوا الكثير من الحيل والمكائد.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 7: 29: "هَذَا فَقَطَّ وَجَدْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ صَنَعَ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِيمًا، أَمَّا هُمْ فَقَدْ اخْتَرَعُوا جِيلًا كَثِيرًا". وبعد أن أدرك أن حل جميع مشاكل الحياة يكمن عند الله، يتحسر الملك سليمان في الآيتين 27 و 28 على قلة من الناس الذين يدركون حقاً: الحكمة الإلهية اللازمة لحل هذه القضايا: "... فحَصْتُ شَيْئاً فُشِيئاً لأُصِلَ إِلَى النَتِيجَةِ - وهو أمر لا تزال نفسي تسعى إليه ولم تجده - وجدتُ رجلاً مستقيماً واحداً بين ألف، لكنني لم أجد امرأة مستقيمة واحدة بينهم جميعاً". يشير الملك سليمان إلى أن قلة من الناس وبشكل خاص بين النساء، حيث العدد أقل - يدركون الحكمة التي يحل بها الله مشاكل حياتنا. كيف يمكننا فهم حكمة الله؟ كيف يمكننا استيعاب الحكمة التي يحل بها الله كل مشكلة نواجهها بشكل كامل؟ لماذا - تماماً مثل الملك سليمان - مهما بحثنا بجد، لا نستطيع بلوغ حكمة الله؟ ولماذا أصبح من الصعب علينا جداً إدراك حقيقة الله؟ ما هو السبب الجذري؟ السبب لا يكمن في الله، بل في داخلنا - في البشرية ذاتها (بارك يون-سون). بعبارة أخرى، السبب في صعوبة استيعابنا لحقيقة الله هو افتقارنا نحن إلى الاستقامة؛ فعلى الرغم من أن الله خلق البشرية مستقيمة، إلا أننا اختلفنا الكثير من الحيل (الآية 29)، مما جعلنا عاجزين عن إدراك الحكمة الإلهية اللازمة لحل مشاكل الحياة. في نهاية المطاف، وبسبب وقوعنا ضحيةً لمكرنا وعصياننا لكلمة الله، فقدنا القدرة على إدراك حكمته وحقه.

ومع ذلك، ومحبةً منه لهؤلاء الخطاة، أرسل الله ابنه الوحيد يسوع -الخالى من الخطيئة- ليموت على الصليب، مُعيداً بذلك خلقنا ككائنات مستقيمة. وعلاوة على ذلك، فمن خلال تمكيننا من الإيمان بيسوع -الذي هو الحق- ومن طاعة كلمته، منحنا الله البصيرة لفهم حكمته. وهكذا، أصبحنا نتمتع ببركة المضي قدماً في الإيمان وطاعة كلمة الله، مع السعي الدؤوب لنيل حكمته. فما هي إذن حكمة الله التي تدركها وتختبرها في حياتك هذه الأيام؟

.علينا أن نصل إلى إدراك حقيقي؛ إذ يجب أن ندرك أننا لا نستطيع أن نصبح حكماء بمفردنا، ولا أن نتقن الحكمة تماماً بجهودنا الذاتية. علينا أن نفهم أن حل كل مشكلة في الحياة لا يكمن في داخلنا، بل عند الله وحده. وعلينا أن نعترف بأنه رغم أن الله خلق البشرية مستقيمة، إلا أن الناس قد اختلفوا لأنفسهم مكائد وخططاً كثيرة. وهذا الإدراك يأتي من الله؛ فقد مكّننا الله من فهم أن يسوع المسيح هو تجسيد للحكمة الحقيقية. ولذا، ينبغي علينا -من خلال عمل الروح القدس الساكن فينا- أن نطيع يسوع، الذي هو الحكمة الحقيقية. وفي غمرة طاعتنا، علينا أن نتمتع بنعمة إدراك حكمة الله بينما يتولى هو حل جميع قضايا حياتنا. وحتى لو كان فهمنا ناقصاً، يجب أن نمضي قدماً بإيماننا بيسوع المسيح، عاملين بموجب ذلك القدر اليسير من الفهم الذي نمتلكه.

"الحكمة البشرية"

[سفر الجامعة 8: 1-8]

هناك مثل كوري يصف حال من يضع نفسه في مأزق أو ورطة لا مخرج منها، وهو تعبير: "حفر المرء قبره بيده". لقد تكرر هذا المثل في ذهني كثيرًا بعد تأملي في النص الوارد في سفر الجامعة (7: 23-29) الأسبوع الماضي؛ وربما يعود ذلك إلى أن النص يصف القلب البشري بأنه أشبه بالفخ أو الشبكة (الآية 26). فإذا امتلكنَا الحكمة التي يمنحها الله وعشنا في طاعة لكلمته، فإننا نتجنب الوقوع في مثل هذه الفخاخ وحفر قبورنا بأيدينا؛ أما إذا سلكنَا مسلك الحماسة وعصينا كلمة الله، فإننا عمليًا نحفر قبورنا بأنفسنا. ويبدو أمر شائع للغاية؛ وبعبارة أخرى، غالبًا ما نظهر نحن المسيحيين — أن وقوع المسيحيين في هذا الخطأ — أي حفر قبورهم بأيديهم. حماسة كبيرة. ونتيجة لهذه الحماسة، كثيرًا ما نعصي كلمة الله، ونقع في فخاخ وشباك صنعناها بأنفسنا، ونعاني من الضيق والمصاعب. أجد نفسي مرارًا في مأزق — وكثيرًا ما أجد نفسي أقع في هذا الأمر؛ فبسبب حماقتي — أي عجزني عن ضبط أفكاري وكلامي وأكون قد وضعت نفسي في — حرج. ومهما بلغ ندمي لاحقًا، تكون الكلمات قد قيلت بالفعل — كماء سكب ولا يمكن جمعه ثانية — مأزق لا مخرج منه. ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما حدث خلال اجتماع للمجمع الكنسي مؤخرًا؛ إذ لم أكن أدرك أن تعليقًا واحدًا وجهته لأحد الشيوخ سيوقعني في مثل هذا المأزق. ورغم أن الآخرين قد لا يرون في الأمر أزمة خطيرة، إلا أنه خلق بالنسبة لي موقفًا سبب لي قدرًا كبيرًا من التوتر والاضطراب. بل إنني حتى الآن، أجد نفسي أحيانًا أصارع القلق والضيق بسبب تلك الحادثة. في مأزق لا مخرج منه؟ — وماذا عنك؟ هل سبق أن وضعت نفسك — بحماسة، ومثلي تمامًا

وفي ضوء ذلك، أود اليوم أن أتأمل في موضوع الحكمة البشرية، مع التركيز على النص الوارد في سفر الجامعة (8: 1-8) وسأتناول هذا الموضوع من منظورين: أولاً، ماهية الحكمة البشرية في حقيقتها؛ وثانيًا، الفوائد التي تقدمها لنا. ويحدوني الأمل في أننا، من خلال الإصغاء للدروس التي يقدمها الله وعيش حياة تتسم بالحكمة، قد نحظى بالبركات التي يغدقها علينا.

أولاً، ما هي الحكمة البشرية؟ باختصار، الحكمة البشرية هي طاعة كلمة الله. تأمل في الآية الثانية من الإصحاح الثامن لسفر الجامعة في نص اليوم: "أنا أقول: احفظ أمر الملك بسبب القسم الذي أقسمته أمام الله". هنا، لا تشير كلمة "الملك" إلى حاكم أرضي، بل إلى ملك السماء - الله نفسه (بارك يون-سون). يحث الملك سليمان شعب إسرائيل على طاعة أمر الله، الملك السماوي. لماذا؟ لأن شعب

إسرائيل كان قد أقسم بميناً أمام الله، معترفين بأنهم شعبه (الآية 2) (بارك يون-سون). يجب علينا أن نطيع كلمة الله، ملكنا؛ فهنا تكمن حكمتنا. ولكي نفعل ذلك، يجب علينا أولاً أن نعترف بتواضع بسيادة الله - أي بطبيعته كإله. يصف النص هذه الطبيعة في الجزء "الأخير من الآية 3 وحتى الآية 4: "...الملك يفعل ما يشاء. وبما أن كلمة الملك لها سلطة، فمن يستطيع أن يقول له: 'ماذا تفعل؟ ماذا يعني هذا؟ يعني أن الله هو الحاكم صاحب السيادة المطلقة. وبناءً على ذلك، فإن الله، في سيادته، يفعل كل ما يشاء. ويمكن العثور على هذا التعليم المتعلق بسيادة الله أيضاً في رسالة رومية 9: 20-21: "ولكن من أنت أيها الإنسان لكي تجادل الله؟ هل يقول الجبل للصانع: 'لماذا صنعتني هكذا؟' أليس للخزاف سلطان على الطين، فيصنع من نفس الكتلة إناءً لغرض خاص وآخر للاستخدام 'العادي؟'. إذن، ماذا يجب علينا أن نفعل؟ كيف ينبغي لي ولك أن نستجيب لله صاحب السيادة؟ يجب ألا نسأل الله، ملكنا: "ماذا تفعل؟ نحن، كمخلوقات، يجب ألا نشك في سيادة الله، خالقنا. كل ما علينا فعله هو طاعة كلمة الله القوية بتواضع. بعبارة أخرى، يجب أن نطيع كلمة الله القوية (الآية 4). وهذا بالضبط ما يشكل الحكمة البشرية. فالشخص الحكيم حقاً هو من يعترف بسيادة الله ويطيع كلمته السيادية بتواضع. وبعبارة أخرى، يطيع الحكيم أوامر الله صاحب السيادة. وفي المقابل، يتمرد الجاهل على مشيئة الله السيادية ويعصي كلمته القوية. وعلاوة على ذلك، يرتكب الجاهل الشر ويخطئ في حق الله (الآية 3). يحثنا الملك سليمان -أنا وأنت- على ألا نكون من الحمقى؛ بل يدعونا لأن نكون حكماء. لماذا يحثنا على الحكمة؟ لأن الحكمة البشرية تمنحنا فوائد محددة.

ثانياً، ما هي الفوائد التي توفرها الحكمة البشرية؟ يعلمنا الملك سليمان فائدتين منها في نص اليوم

تحمينا الحكمة البشرية من التعرض للأذى. انظر إلى نص اليوم، في سفر الجامعة 8: 5: "مَنْ يَحْفَظُ الْوَصِيَّةَ لَا يَشْعُرُ بِأَمْرِ (1) شَرِّيرٍ، وَقَلْبُ الْحَكِيمِ يَعْرِفُ الْوَقْتَ وَالْحُكْمَ". يا له من درس ثمين لنا! إن القول بأن امتلاك الحكمة ينجينا من الأذى يعني ضمناً -وبالمقابل- أن غياب الحكمة (أو الحماسة) يؤدي إلى الأذى.

إذن، من هو الأحمق؟ الأحمق هو من لا يطيع كلمة الله؛ ونتيجة لذلك، يتعرض للأذى بسبب عصيانه. وفي المقابل، فإن الشخص الحكيم الذي يطيع كلمة الله يتجنب هذا الأذى. كيف تمكننا الحكمة من النجاة من الأذى؟ إنها تفعل ذلك من خلال تمكيننا من تمييز الوقت المناسب ومسار العمل الصحيح. بعبارة أخرى، تساعدنا الحكمة على إدراك الأزمنة التي نعيش فيها. فعلى سبيل المثال، تمنحنا الحكمة التمييز الكتابي لفهم طبيعة العصر الحالي. أي وقت نعيشه الآن؟ يخبرنا الكتاب المقدس أننا نعيش في الأيام الأخيرة أي في أواخر الزمان. وعلاوة على ذلك، يكشف الكتاب المقدس أن هذا هو وقت الخلاص. كما تمنحنا الحكمة حكماً صائباً؛ إذ يذكر سفر الجامعة 8: 7 أننا لا نستطيع معرفة المستقبل. ويشير أيضاً إلى أمور كثيرة تخرج عن سيطرتنا، مثل عدم امتلاكنا السلطة على حياتنا أو على يوم موتنا (الآية 8). تقودنا هذه الحقيقة إلى إدراك جوهرية: نحن عاجزون، بينما الله كلي القدرة وله السيادة المطلقة على كل هذه الأمور. والحكمة هي التي تمنحنا هذه الرؤية الثاقبة. ومن خلال هذا الفهم، يمكننا التأمل في سبب اختيار الله ألا يطلعنا، على ما يخبئه المستقبل؛ والسبب هو أنه أرادنا أن نعتمد كلياً عليه (7: 14). ولذلك، لا يمكننا معرفة الأحداث التي ستواجهنا غداً أو بعد غد، أو في المستقبل. ما نعلمه يقيناً هو أنه بقدر ما ستكون هناك أيام رخاء، ستكون هناك أيضاً -بلا شك- أيام شدة (الآية 14)

وتمنحنا الحكمة حُسن التقدير والتمييز إزاء أحداث المستقبل هذه التي لا يمكن التنبؤ بها؛ فهي تُمكننا، على سبيل المثال، من الفرح في أيام الرخاء والتأمل في أيام الشدة (الآية 14)

.الحكمة البشرية تجعل وجوها تشرق (2)

"تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 8: 1: "مَنْ كَالْحَكِيمِ؟ وَمَنْ يَعْرِفُ تَفْسِيرَ أَمْرٍ؟ حِكْمَةُ الْإِنْسَانِ تُنِيرُ وَجْهَهُ، وَصَلَفُ وَجْهِهِ يَتَغَيَّرُ". يذكر الملك سليمان أن الحكمة البشرية تجعل وجوها تشرق وتُغيّر الملامح الصارمة. وفي المقابل، يمكن القول إن الحماسة البشرية تتجلى في تعبيرات وجه صارمة أو قاسية. إنه لأمر لا يليق بالمسيحيين المؤمنين ببسوع أن يتجولوا بلامح صارمة؛ فماذا سيظن غير المؤمنين إذا رأوا تعبيراتنا القاسية؟ يُقال إن الرئيس لينكولن علّق قائلاً: "الإنسان مسؤول عن وجهه بعد سن الأربعين". وأنا أيضاً تجاوزت السن التي يتحتم عليّ فيها تحمل مسؤولية ملامح وجهي. وبينما أتأمل في نص اليوم، أسأل نفسي: هل هناك أي قسوة في تعبيرات وجهي؟ وماذا عنكم أنتم؟ هل تغيرت وجوهكم على الإطلاق منذ إيمانكم ببسوع؟ حتى وإن لم تكن تشع بريقاً ساطعاً. هل تلاشت منها القسوة؟ إن المسيحيين الحكماء حقاً لا يتخلصون فقط من الصرامة في تعبيراتهم، بل يشعون أيضاً ببريق حقيقي بعبارة أخرى، يمتلئ وجه الشخص الحكيم حقاً بسلام حقيقي (بارك يون-سون). وكما كان وجه استفانوس -الذي عرف مشيئة الله وأطاعها حقاً- مشرقاً لحظة موته، فإن وجه الشخص الحكيم حقاً يمتلئ بسلام حقيقي حتى عند مواجهة الموت. وهكذا، فإن الحكمة تجلب المنفعة لمن يطيعون كلمة الله.

تكن الحكمة البشرية الحقيقية في طاعة كلمة الله. فعندما نطيع كلمة الله، تحمينا الحكمة من الأذى. وعلاوة على ذلك، تُغيّر هذه الحكمة ملامحنا، فتجعلها تشرق ببريق ونور. أصلي أن تحل هذه البركة عليّ وعليكم.

"كل ما يُعمل تحت الشمس"

[سفر الجامعة 8: 9-13]

بينما تمارسون حياتكم اليومية في هذا العالم، ماذا ترون وماذا تشعرون؟ وعندما تتأملون بعمق فيما تشاهدونه وتختبرونه، إلى أي استنتاج تتوصلون؟ على الصعيد الشخصي، أدرك حقيقة واضحة وهي أن كبرياء هذا العالم لا يعدو كونه تعباً وحرناً (مزمو 90 كما أنني أرى هذا العالم مكاناً متقللاً بالهموم والمشاق والخطية والموت (الترنيمة 486). أتبنى هذه النظرة لأنها تعكس واقع (10) ما أراه وأسمعه وأشعر به كل يوم. ونتيجة لذلك، توصلت إلى فناعة خاصة من خلال هذه التجارب: ففي خضم العيش في هذا العالم، الذي يشبه القفر، يبقى الرب هو الوحيد الذي يمكنني تثبيت نظري عليه والاعتماد عليه. لذا، أجدد عزمي على جعل الرب رجائي وأن أعيش مستعداً للعالم الآتي. ما هي العقلية التي تحملونها في حياتكم؟ وما هي الاستنتاجات التي تتوصلون إليها عند التأمل العميق في الأمور التي ترونها وتسمعونها وتختبرونها في هذا العالم؟

في نص اليوم، سفر الجامعة 8: 9، نرى الملك سليمان وهو يفحص بكل قلبه كل ما يُعمل تحت الشمس. ومن خلال هذه العملية، نراه يتوصل إلى استنتاج - بتوجيه من الحكمة التي يمنحها الله - بشأن الأمور التي رصدها. وباختصار، يتمثل ذلك الاستنتاج في الآتي: الخير يكون من نصيب الذين يتقون الله. انظروا إلى نص اليوم، سفر الجامعة 8: 12: "إِنَّ الْخَاطِيَّ يَعْْمَلُ شَرًّا مِثْلَ مَرَّةٍ وَتُؤَمِّدُ لَهُ أَيَّامُهُ. إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَمَامَهُ". فبعد أن فحص بكل قلبه كل ما يُعمل تحت الشمس (الآية 9) خلص الملك سليمان إلى أن الأشرار لا ينالون خيراً (الآية 13)، في حين أن الذين يتقون الله ينالونه (الآية 12). انظروا إلى الآية وَلَا يَكُونُ خَيْرٌ لِلشَّرِّيرِ، وَلَا يَمُدُّ أَيَّامُهُ كَالظِّلِّ، لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ أَمَامَ اللَّهِ". إنه يقرر بوضوح أن الأشرار لا ينالون خيراً. على: 13: الرغم من أنه قد يبدو لنا أن الشرير (الخاطي) يعيش حياةً مديدة رغم ارتكابه الشر مئة مرة (الآية 12)، إلا أن الأشرار بالتأكيد لا يزددهرون ولا يعيشون طويلاً؛ فأيامهم كالظل (الآية 13). وما السبب في ذلك؟ السبب هو أن الأشرار لا يخشون الله (الآية 13) جرأةً على ارتكاب الشر (الآية 11) —الذين لا يخشون الله— ولأن الحكم على العمل الشرير لا يُنفذ بسرعة، تزداد قلوب الأشرار كم هي صادقة ومنطقية هذه الكلمات: أن القلوب تزداد جرأةً على فعل الشر لأن العقاب لا يُنفذ فوراً. فلو واجهنا عقاباً فورياً من الله بعد ارتكاب الخطيئة ودون توبة، لكننا خفنا ولم نسارع إلى الخطيئة مرة أخرى. ولكن، لأن الله صبور وبطيء الغضب، وينتظر منا أن نعترف بخطايانا ونتوب ونعود إليه، فإننا لا نخشى ارتكاب الخطيئة؛ بل نمارسها بجرأة.

يشير تحديداً إلى ملك شرير يحكم الشعب—الذي يتسم بالجرأة في ارتكاب الشر—إن الشخص الشرير الموصوف في نص اليوم (بارك يون-سون). ويمكننا فهم ذلك بالنظر إلى الآية 9، حيث يصف الكاتب كيف أنه، بعد فحص جميع الأعمال التي تُصنع تحت ليلجلب الضرر على نفسه في النهاية. فعبارة "شخص—الشمس بكل قلبه، لاحظ موقفاً يمارس فيه شخص واحد سلطةً على الآخرين واحد" يمارس السلطة على الكثيرين تشير إلى ملك يحكم شعب أمةٍ ما. ومع ذلك، نرى هذا الملك يضر نفسه أثناء حكمه لهم. وما أولئك الذين اعتادوا الدخول والخروج من المكان—السبب في ذلك؟ انظر إلى الآية 10 من نص اليوم: "ورأيث الأشرار يُدفنون وقد نُسيوا في المدينة التي صنعوا فيها تلك الأمور. وهذا أيضاً باطل". السبب هو أن الملك الشرير نفسه سيموت في—المقدس النهاية (بارك يون-سون). وعلاوة على ذلك، ولأنه سيُنسى من قِبَل الشعب ذاته الذي حكمه يوماً ما، يعلن الملك سليمان قائلاً: "وهذا أيضاً باطل".

إذن، كيف ينبغي لنا أن نعيش؟ من الآيات الكتابية التي نعرفها جيداً ونقتبسها كثيراً عند تبادل البركات، الآية الواردة في رسالة يوحنا الثالثة (الإصحاح 1: 2): "أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ أُرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحاً وَصَاحِباً، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ". فكيف يمكننا نيل هذه البركة؟ وكيف يمكن لنفوسنا أن تزدهر؟ يكمن السر في أمر واحد لا غير: مخافة الله (سفر الجامعة 8: 12-13). فبعد تأمل كافة المساعي البشرية، خلص الملك سليمان إلى أن الأشرار—الذين يرتكبون الخطية بجرأة ودون مخافة الله—قد يبدون وكأنهم يتمتعون بطول العمر، إلا أنهم في نهاية المطاف لن يعيشوا طويلاً ولن يزدهروا، بل ستكون حياتهم كالظل الزائل؛ وفي المقابل، فإن الذين -يتقون الله سيزدهرون حقاً. ولكي تزدهر نفوسنا، لا بد لنا من مخافة الله. وكما ورد في سفر الجامعة (12: 13) -وهي خلاصة السفر فلنكي تزدهر نفوسنا في كل شيء، يجب علينا أن نتقي الله ونحفظ وصاياه. وإنها لصلاتي أن نتقي الله جميعاً ونطيع كلمته، فننعم ببركة ازدهار نفوسنا في كل شيء.

تأجيل الله للعقاب

مِنْ أَجْلِ أَنْ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لَا يُجْرَى سَرِيعًا، فَلِذَلِكَ امْتَلَأْ قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ فِيهِمْ لِفِعْلِ الشَّرِّ " (جامعة" 8: 11).

يُبيِّن الملك سليمان، "الجامعة"، أن الناس يزدادون جرأة على ارتكاب الشر لأن العقاب على الأعمال الشريرة لا يُنفذ على الفور وهذه حقيقة من كلمة الله لا يمكن لأحد إنكارها. فلو حلَّ عقاب الله مباشرةً عقب ارتكاب عملٍ شرير، لتردَّد الناس في تكرار ذلك، ولو بدافع الخوف فقط. ولكن، ولأن العقاب لا يأتي سريعاً، فإنهم يرتكبون الشر دون تردد، ولا يشعرون بأي خوفٍ أثناء ذلك؛ فهم لا يخشون ارتكاب الخطيئة لا اعتقادهم بأن الله لا يراهم. وهكذا، حتى عندما "يَصْنَعُ الْخَاطِيُ شَرًّا مِثْلَ مَرَّةٍ" (الآية 12)، تظل قلوبهم جريئة؛ فكلما ارتكبوا شراً أكثر، زادت جرأتهم، وتصلبت قلوبهم أكثر فأكثر بسبب تكرار الخطيئة. ولأنهم لا يخشون الله، فإنهم يرتكبون الشر بقلوبٍ قاسية.

إذن، لماذا يتأخر عقاب الله؟ تقول رسالة رومية 2: 4: "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغَنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنْاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَنْتَازِكُ إِلَى التَّوْبَةِ؟". إن السبب في عدم وقوع عقاب الله فور ارتكابنا للخطيئة هو رغبته في أن نتوب. بعبارة أخرى، لا يعاقبنا الله فوراً عندما نخطئ لأنه يمنحنا وقتاً - وفرصة - للتوبة. ومع ذلك، غالباً ما نستهين بلطف الله هذا؛ ونتيجة لذلك، فإننا باقترافنا الخطايا ضد الله، كثيراً ما نضع صبره على المحك. فبدلاً من العودة السريعة إلى الله للتوبة عن خطايانا، نميل إلى العودة إلى الشر؛ ومثل الكلب الذي يعود إلى قيئه، نكرر ارتكاب نفس الأفعال الحمقاء (أمثال 26: 11).

أما الذين يخشون الله فيخافون من ارتكاب الشر، لأنهم ذاقوا عواقب أفعالهم الخاطئة؛ فبعد أن أدبهم الله بسبب خطاياهم، أصبحوا يخشون فعل الشر، ولا يستهينون أبداً بتأديب الله لهم. ونتيجة لذلك، فإن الذين يخشون الله لا يملكون الرغبة في ارتكاب الشر، ولا هم قادرون على فعله. نظراً لأن قلوبهم قد لانت بفضل تأديب الله المفعم بالمحبة، فإنهم لا يطاوعون أنفسهم على ارتكاب الشر بجرأة إن من يتقون الله يتمتعون بضميرٍ نقي؛ ولذا، فحتى حين يوبخهم ضميرهم، فإنهم يرفضون التجربة ويقاومون الخطيئة وينتصرون عليها. إنهم لا يسارعون أبداً إلى ارتكاب أفعالٍ تُثقل ضمائرهم. وإذ يحبون الله ويخدمونه بضميرٍ صالح، يظلون بريئين من الشعور

بالذنب أمام الله والناس على حد سواء؛ فهم يتحلون بالجرأة أمام الله، لكنهم لا يجرؤون على ارتكاب الخطيئة. إن من يتقون الله ييغضون الشر لأن الله نفسه ييغضه. وعلاوة على ذلك، ولأن الله قدوس، فإن من يتقونه يسعون أيضاً لنيل القداسة التي له.

أعمال الله التي لا تُستقصى

[سفر الجامعة 8: 14 – 9: 1]

ما الذي أدركته خلال عيشك في هذا العالم؟ لقد أدركت مؤخراً -أكثر من ذي قبل- أن الحياة قصيرة، وأن الكثير مما نفعله خلال هذه الفترة الوجيزة هو في الواقع أمرٌ عبثي وعديم الجدوى. وفي خضم ذلك، وبينما أتأمل في سفر الجامعة خلال اجتماعات الصلاة الأسبوعية التي نعقدها أيام الأربعاء، كثيراً ما يتبادر إلى قلبي سؤال: "لماذا يسمح الله للأشرار بالازدهار والنجاح؟" وكما تعلمنا الأسبوع الماضي، فإن الأشرار يزدادون جرأة على فعل الشر لأن العقاب على أعمالهم لا يُنفذ بسرعة؛ وهذا يدفعنا للتساؤل: "لماذا لا يعاقبهم الله فوراً؟" هل تعرف إجابة هذا السؤال؟

لقد تعرفنا بالفعل على الخلاصة التي توصل إليها الملك سليمان بعد أن فحص بكل جوارحه جميع الأعمال التي تُصنع تحت الشمس؛ "وهي خلاصة وردت في سفر الجامعة (8: 9-13). كانت تلك الخلاصة ببساطة هي أن "الخير سيكون من نصيب الذين يتقون الله وبعبارة أخرى، قرر سليمان أن الذين لا يتقون الله ويرتكبون الشر لن يزددهروا أبداً ازدهاراً حقيقياً (الآية 13)، في حين أن الذين يتقون الله هم وحدهم الذين سيكون حالهم حسناً (الآية 12). ثم، عند الوصول إلى الآية 17 من الإصحاح الثامن -وهي نص تأملنا اليوم- يخلص سليمان إلى نتيجة أخرى بعد فحص جميع أعمال الله، قائلاً: "لَمَّا وَجَّهْتُ قَلْبِي لِأَعْرِفَ الْحِكْمَةَ وَأَنْظُرَ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ عَلَى الْأَرْضِ... رَأَيْتُ كُلَّ صَنِيعِ اللَّهِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ. فَهَمَّا تَعَبَ الْإِنْسَانُ فِي الطَّلَبِ فَلَا يُدْرِكُهُ. وَبِالْحَرِيِّ إِنْ قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّهُ يَعْرِفُهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ إدْرَاكُهُ". ورغم أنه فحص وتأمل باجتهاد في كل ما يفعله الله تحت الشمس، إلا أن خلاصته كانت ببساطة أن أعمال الله تفوق الإدراك البشري. وانطلاقاً من هذه الخلاصة التي توصل إليها الملك سليمان، أود أن أتأمل في نقطتين تحت عنوان: "أعمال الله التي لا تُدرك". أصلي لكي تتمكن جميعاً، من خلال هذا التأمل، من قبول الدروس التي يقدمها الله، والعمل بها، والعيش بحكمة في هذا العالم. النقطة الأولى التي يجب النظر فيها هي: "ما هي بالضبط أعمال الله التي عجز الملك سليمان عن استيعابها؟" يُبرز النص الذي بين أيدينا جانبين

أحد أعمال الله التي لم يستطع الملك سليمان إدراك كنهها هو حقيقة وجود أناس أبرار يواجهون مصائب وكأنهم أشرار، بينما (1) يوجد أناس أشرار يزددهرون وكأنهم أبرار.

انظر إلى سفر الجامعة 8: 14: "يوجد باطلٌ يُجرى على الأرض: أن صِدِّيقين يُصِيبهم ما يُصِيب أعمال الأشرار، وأشراراً يُصِيبهم ما يُصِيب أعمال الصِدِّيقين. فقلْتُ إنَّ هذا أيضاً باطلٌ". إنَّ عمل الله الذي عجز الملك سليمان عن سبر أغواره في هذا العالم هو حقيقة مثل الأبرار (بارك يون-سون). وبعبارة—بينما يزدهر الأشرار أحياناً—مثل الأشرار—أنَّ الأبرار قد يواجهون سوء الحال أحياناً أخرى، هو يقرُّ بعجزه عن فهم تصرفات الله: فمع إدراكه التام بأنَّ الله إله عادل، إلا أنه يقف حائراً أمام سبب تلقِّي الأبرار عقاباً يشبه عقاب الأشرار، في حين ينال الأشرار مكافآت تشبه مكافآت الأبرار (ماكدونالد). هل تفهم هذا؟ هل تدرك كيف يمكن لإلهٍ بارٍّ أن يعاقب الأبرار وكأنهم أشرار، ويكافئ الأشرار وكأنهم أبرار؟ أعتقد أنَّ هذا السؤال يرتبط بمعاناة الأبرار وازدهار الأشرار. في كاتب المزمور—الأسبوع الماضي، وبينما كنت أقرأ الكتاب المقدس، وقع نظري على سفر إرميا 12: 1. كنت أعتقد سابقاً أنَّ أساف هو الوحيد الذي عانى من صراعٍ فكريٍّ حول مسألة معاناة الأبرار وازدهار الأشرار؛ غير أنني اكتشفت أنَّ النبي إرميا قد—73 واجه أيضاً هذا السؤال ذاته. انظر إلى إرميا 12: 1: "بارُّ أنت يا رب حين أخاصمك، ولكن دعني أناقشك في أحكامك: لماذا تنجح طريق الأشرار؟ ولماذا يعيش الغادرون في دعةٍ وسلام؟" إنَّ النبي إرميا يتساءل أمام الله عن عدله: "لماذا يزدهر الأشرار ويعيشون في دعة؟" وبكل صدق، أليس هذا سؤالاً نطرحه نحن أيضاً أحياناً على الله في أعماق قلوبنا؟ يتمحور سؤالنا الجوهرى حول عدل "الله: "من الواضح أن الله إله عادل وبار، فلماذا يسمح للأشرار بالازدهار بينما يعاني الأبرار؟

من أعمال الله التي عجز الملك سليمان عن إدراك كنهها حقيقةً أنه لا أحد يستطيع أن يعرف ما إذا كانت الأحداث التي تقع (2) للأبرار أو الحكماء علامةً على محبة الله أم على كراهيته. تأمل النص الوارد في سفر الجامعة 9: 1: "لَأَتِي وَصَعْتُ كُلَّ هَذَا فِي قَلْبِي... أَنَّ الصِّدِّيقِينَ وَالْحُكَمَاءَ وَأَعْمَالَهُمْ هِيَ فِي يَدِ اللَّهِ. لَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ لَا حُبًّا وَلَا بُغْضًا. الْكُلُّ أَمَامَهُمْ". ومن تدبيرات الله الأخرى التي استعصت على فهم الملك سليمان في هذا العالم، عجزُ البشر عن تمييز ما إذا كانت الأحداث التي تصيب الأبرار أو الحكماء دليلاً على محبة الله أو كراهيته (ماكدونالد). ومع أنه من المؤكد أن الأبرار والحكماء وأعمالهم جميعاً في يد الله، إلا أن الأمر الذي يظل غامضاً هو سبب عدم منح الله للأبرار ازدهاراً مادياً بالضرورة في هذه الحياة (بارك يون-سون)، أو ما إذا كانت تلك الظروف تعكس محبةً أم كراهية. فكيف لنا أن نتنبأ بتدبير الله؟ وكيف يمكننا استيعاب قصد الرب العظيم من السماح للأبرار بالمعاناة؟ غالباً ما نلمح لمحةً بسيطة عن تدبير الله بعد انقضاء الأحداث، لكننا لا نستطيع أبداً إدراك مشيئته الواسعة والنهائية بشكل كامل ومهما سعينا بجد لفهم مشيئة الله، يظل السبب وراء عدم منحه الأبرار دائماً ازدهاراً مادياً في هذا العالم أمراً مجهولاً لنا. ورغم، إيماننا واعترافنا بأن الله يسمح لنا باحتمال المعاناة والألم لأنه يحبنا، إلا أننا نتساءل أحياناً: "هل يحبنا الله حقاً؟" أو "إذا كان يحبنا فلماذا يسمح لنا بالمعاناة على هذا النحو؟" وفي لحظات كهذه، لا يقتصر الأمر على الشك في محبة الله، بل قد نصل إلى حد التساؤل: عما إذا كان يتصرف بدافع الكراهية تجاهنا؛ وهو شعورٌ انتاب بني إسرائيل تماماً أثناء رحلة الخروج. تأمل في سفر التثنية 1: 27: فَتَذَمَّرْتُمْ فِي خِيَامِكُمْ وَقُلْتُمْ: لِأَنَّ الرَّبَّ أَبْغَضَنَا، أَخْرَجَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُسَلِّمَنَا إِلَى أَيْدِي الْأُمُورِيِّينَ فَيُهْلِكُونَا". لقد تذر شعب إسرائيل على الله أثناء رحلة الخروج، وكان جوهر شكواهم هو أن "الله يبغضنا" (الآية 27). وبناءً على ذلك، زعموا أن الله لم يُخرجهم من مصر إلا ليسلمهم إلى الأموريين لكي يهلكوهم. والحق أنهم كانوا يتفوهون بكلامٍ لا أساس له من الصحة أمام الله؛ فلو

كان الله ييغضهم، فلماذا كان سينقذ بني إسرائيل من مصر في المقام الأول؟ لقد خلّصهم الله بوضوح بدافع المحبة، ومع ذلك اعتقد بنو إسرائيل أنه ييغضهم. هل المعاناة التي يسمح الله بحدوثها لك ولي هي علامة على المحبة أم علامة على الكراهية؟ إن استنتاج الملك سليمان هو أننا لا نستطيع معرفة الإجابة.

:النقطة الثانية التي أود تناولها هي: "ماذا ينبغي علينا أن نفعل عندما نعجز عن إدراك أعمال الله؟" وأود مناقشة هذا الأمر من منظورين

عندما نعجز عن استيعاب ما يفعله الله في هذا العالم، فبدلاً من تكبد عناء محاولة حلّ ما يستعصي على الفهم، يجب علينا أن (1) ندرك أن هذه الأمور الصعبة تقع في يد الله (9: 1) وأن نتطلع إليه وحده (8: 16-17) (بارك يون-سون)

كم من التحديات الصعبة نواجهها في حياتنا في هذا العالم؟ حقاً، كم من المشكلات المحيرة تملأ حياتنا؟ هل يمكنك حقاً استيعاب كل تلك القضايا الشائكة؟ هل تفهم سبب نشوء مثل هذه المشكلات في حياتك؟ وهل يمكننا إدراك مشيئة الله بالكامل؟ لم يسع الملك سليمان لفهم أسباب صعوبات الحياة فحسب، بل اجتهد أيضاً لحل تلك المشكلات المحيرة. ومع ذلك، تخبرنا خلاصته بأنه بدلاً من الصراع لحل ما لا يمكننا إدراكه، يجب علينا أن نؤمن بأن هذه الأمور في يد الله وأن نتطلع إليه وحده. ورغم حدوث أمور كثيرة في هذا العالم تعجز عقولنا عن فهمها، إلا أن هناك حقيقة يجب علينا -أنا وأنت- أن نؤمن بها بثقة: وهي أن كل مشكلة صعبة نواجهها في الحياة تقع في يد الله. وعلاوة على ذلك، يجب أن نؤمن بأن مستقبلنا المجهول يخضع أيضاً لسيادة الله. فبينما لا أحد منا يعرف ما ينتظره أو ما هي الأحداث التي سيواجهها مستقبلاً، يجب أن نؤمن بأن الله يعلم كل شيء عن هذه الصعوبات وعن مستقبلنا. كما يجب أن نؤمن بأن الله يحقق مشيئته السيادية من خلال التحديات التي نمر بها، وأنه يدير مستقبلنا وفقاً لمشيئته. وعندما نؤمن بسيادة الله هذه، يمكننا -بالإيمان- التغلب حتى على الألم والمحن التي قد تعترض طريقنا.

عندما نعجز عن استيعاب ما يفعله الله في هذا العالم بشكل كامل، ينبغي علينا أن نجد الرضا والفرح في نصيب الحياة الذي (2) خصه الله لنا.

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 8: 15: "فَمَدَحْتُ الْفَرَحَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ خَيْرٌ تَحْتَ الشَّمْسِ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيَفْرَحَ. فَهَذَا يُلَازِمُهُ فِي تَعْبِهِ كُلِّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي يُعْطِيهِ اللَّهُ إِيَّاهَا تَحْتَ الشَّمْسِ." بينما نعيش على هذه الأرض ونواجه مشكلات محيرة لا حصر، يجب أن نثق بأن كل هذه الأمور بين يدي الرب. وبعد أن نودع كل شيء بين يديه —لها— مواقف تفوق قدرتنا على الفهم أو الحل ينبغي لنا أن نجد الفرح والرضا في النصيب الذي يمنحنا إياه الله كل يوم. وبالطبع، عندما يتحدث الملك سليمان عن الأكل والشرب والابتهاج باعتبارها نصيبنا المخصص لنا، فهو لا يدعو بأي حال من الأحوال إلى حياة تقتصر على الملذات الجسدية؛ فنحن نعلم ذلك لأنه سبق وأن جرب السعي وراء الملذات الجسدية، ليخلص في النهاية إلى أنها "بلا معنى". إن مغزى كلامه هنا هو أنه حتى عندما نعجز عن إدراك كنه أعمال الله في هذا العالم، ينبغي لنا أن نثق بأن كل شيء خاضع لسيادته، وأن نستمتع بالبركات التي

يغدقها علينا يوماً بعد يوم. علينا أن نصغي إلى كلمات سفر الجامعة 2: 24: "لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ خَيْرٌ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيُرِيَ نَفْسَهُ خَيْراً فِي تَعْبِهِ. رَأَيْتُ أَيْضاً أَنَّ هَذَا مِنْ يَدِ اللَّهِ". يجب علينا أن ندرك ونقدّر البركات التي نلناها من الله. ولكي نعيش كل يوم مستمتعين بالبركات التي حصلنا عليها في الرب، علينا أن نحصي النعم التي أغدقها الله علينا؛ إذ ينبغي لنا أن نتمتع بفرح بالبركات الروحية التي نلناها بالفعل من الله عبر يسوع المسيح. وبدلاً من إضاعة وقتنا وطاقتنا في محاولة حل قضايا معقدة تفوق إدراكنا بأنفسنا، ينبغي لنا أن نودع المصاعب التي نواجهها في هذا العالم الظالم بين يدي الله، وأن نستمتع بفرح —حتى في خضم تلك— بنصيب البركات الذي منحنا إياه —المصاعب

بينما كنت أقود سيارتي متوجهاً إلى الكنيسة اليوم، استمعت إلى قصة مثيرة للاهتمام عبر الراديو. كانت القصة تدور حول بذرة (Haman-gun) "زُرعت في مقاطعة" هامان-غون، (Goryeo Dynasty) "زهرة اللوتس تعود إلى حقبة" سلالة غوريو لتزهر أخيراً وتصبح زهرة لوتس بعد مرور 700 عام. لا أعرف كيف حددوا أن عمر (Gyeongnam) "بمقاطعة" غيونغنام البذرة يبلغ 700 عام، لكن كان أمراً مذهلاً حقاً أن نرى زهرة تتمتع بمثل هذا العمر المديد، لا سيما عند مقارنة ذلك بحياة الإنسان التي لا تتجاوز السبعين أو الثمانين عاماً. وبينما كنت أتأمل في هذا الأمر، تعجبت من عناية الله، مدركاً أن من يدبر شؤون هذا العالم بأسره هو أيضاً من يدبر حياة زهرة بهذه الطريقة العجيبة. يا أصدقائي، حتى وإن سعينا -على غرار الملك سليمان- لسبر أغوار الأعمال التي يصنعها الله في هذا العالم، فلن نتمكن أبداً من إدراك كنهها بالكامل. فإذا كنا نعجز عن استيعاب سرّ تفتح بذرة زهرة اللوتس بعد مرور سبعمائة عام، فكيف لنا أن ندرك تاريخ عمل الله في تدبير شؤون الكون بأسره؟ ولماذا يبدو الأمر وكأن الله العادل يعاقب الأبرار كما لو كانوا أشراراً، بينما يكافئ الأشرار كما لو كانوا أبراراً؟ هل يمكننا حقاً فهم أفعال الله؟ وهل نعلم لماذا لا يمنح الله بالضرورة الرخاء المادي في هذه الحياة لمن يراهم أبراراً؟ وهل بوسعنا الجزم بأن هذه النتائج هي دليل على محبته أم على كراهيته؟ إذن، ما الذي يمكننا فعله؟ بدلاً من تكبد عناء محاولة فهم أمور تفوق قدراتنا الإدراكية، علينا أن نثق بأن كل التحديات الصعبة هي في يد الله. وعلينا، في خضم ذلك، أن نوجّه أنظارنا نحو الله وحده، وأن نجد الفرح والرضا -يوماً بعد يوم- في النعم التي أغدقها علينا. أصلي أن يمنحنا الله جميعاً هذه الحكمة

المصير النهائي للجميع واحد.

[سفر الجامعة 9: 2-6]

"؟ يشير هذا المصطلح إلى الظاهرة التي أثارها الأخطبوط "بول" (Paul Syndrome) "هل سمعت يوماً عن "متلازمة بول (المعروف بلقب "العراف") خلال بطولة كأس العالم في جنوب أفريقيا. لقد حقق "بول" -وهو أخطبوط كان يعيش في مركز "سي" في مدينة أوبرهاوزن بألمانيا- نسبة دقة بلغت 100% في توقع نتائج مباريات كأس العالم؛ إذ تنبأ (Sea Life Centre) "لايف" بشكل صحيح بنتائج ثماني مباريات -بما في ذلك المباراة النهائية وسبع مباريات شارك فيها المنتخب الألماني- بدقة مذهلة. لقد شاهدت تقارير إخبارية عن هذا الأخطبوط على التلفاز والإنترنت، ووجدت الأمر برمته مثيراً للسخرية؛ فقد بدا الأمر عبثياً لأنه بعد "بول"، بدأت تظهر حيوانات أخرى تدعي "العرافة" -مثل تمساح عراف- لتقوم بالأمر نفسه. ويبدو أن بعض شركات المراهنات حققت أرباحاً طائلة بفضل "بول". كما أصابتنني الدهشة الشديدة عندما صرح اللاعب الذي سجل هدف الفوز -بعد انتصار إسبانيا- "في المباراة النهائية- قاتلاً: "ليحيا بول".

لماذا تعتقد أن الناس يذهبون إلى العرافين لمعرفة طالعهم؟ أليس السبب هو رغبتهم في معرفة المستقبل؟ ومع ذلك، يتحدث الكتاب المقدس بوضوح عن هذه المسألة. ففي سفر الجامعة (الإصحاح 7: 14 والإصحاح 8: 7) -وهي نصوص تأملنا فيها سابقاً- يقرر الملك سليمان أننا لا نستطيع إدراك أو معرفة المستقبل ("ما سيحدث"). فإله وحده، الكلي المعرفة والذي يدبر الماضي والحاضر والمستقبل، هو من يعلم ما يخبئه لنا الغد. غير أن هناك أمراً واحداً يتعلق بالمستقبل يمكنني أنا وأنت معرفته بيقين مطلق. فما هو؟ إنه حقيقة أن المصير النهائي لكل إنسان هو الموت. لا يوجد أحد يجهل هذه الحقيقة، ولا أحد ينكر واقع أن الموت هو المصير المحتوم لجميع البشر. ومع أننا جميعاً نعلم بهذا المستقبل الأكيد، إلا أن ردود أفعال الناس تجاهه تبدو متفاوتة. فكيف تعيش أنت في ضوء مصيرك النهائي: الموت؟

في نص اليوم (سفر الجامعة 9: 2-3)، يستخدم الملك سليمان عبارة "مصير واحد" (أو "نفس المصير") أربع مرات. فما هو هذا المصير المشترك الذي يتحدث عنه مراراً وتكراراً؟ إنه الموت؛ المصير النهائي لنا جميعاً. بعبارة أخرى، يقول الملك سليمان: "نحن جميعاً نتشارك في المصير النهائي ذاته، وهذا المصير هو الموت". انظر إلى سفر الجامعة 9: 2: "الكل يشتركون في مصير واحد

الصديق والشرير، الصالح والطالح، الطاهر والنجس، من يقدم الذبائح ومن لا يقدمها. فكما يكون حال الصالح، كذلك حال الخاطيء؛ وكما يكون حال من يحلف، كذلك حال من يخشى الحلف". إنه يعلن أنه سواء كان المرء باراً أو شريراً، صالحاً أو خاطئاً، طاهراً أو نجساً، عابداً أو غير عابد، فإن الجميع يموتون في النهاية. لا يوجد شخص واحد في هذا العالم يمكنه إنكار هذه الحقيقة؛ فالجميع على وجه الأرض يدركون واقع الموت باعتباره المصير النهائي. يتفق المسيحيون (المؤمنون بيسوع) وغير المسيحيين على هذه الحقيقة الواحدة: أن المصير النهائي للبشرية هو الموت. ومع ذلك، هناك نقطة نختلف فيها نحن المسيحيين عن غير المسيحيين: وهي المصير، الذي يلي الموت. بعبارة أخرى، بينما يتفق المسيحيون وغير المسيحيين على أن النهاية الحتمية للحياة في *هذا الدهر* هي الموت، إلا أنهم لا يتفقون حول المصير المتعلق *بالدهر الآتي* - أي الدهر الذي يلي الموت. نحن المسيحيين نؤمن بالدهر الآتي؛ ونؤمن بالحياة الأبدية. نحن نؤمن بوجود مستقبلي - سواء كان حياة أبدية في السماء أو وجوداً أبدياً في الجحيم. أما غير المسيحيين، فلا يؤمنون بالحياة الأبدية أو السماء أو الجحيم كما ورد وصفها في الكتاب المقدس. وهذا هو الاختلاف الجوهرى بين المسيحيين وغير المسيحيين.

إذن، ماذا علينا أن نفعل؟ كيف ينبغي لي ولك -نحن الذين نؤمن بالدهر الآتي على خلاف غير المسيحيين- أن نعيش حياتنا؟ يجب علينا أن نصغي إلى كلمات سفر الجامعة 7: 2: "الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة، لأن الموت هو مصير كل إنسان؛ وعلى الأحياء أن يضعوا ذلك في قلوبهم". وبصفتنا أحياء نتنفس اليوم، يجب علينا أن نعي تماماً حقيقة أن الموت هو المصير النهائي لكل إنسان على هذه الأرض. في ضوء ذلك، ينبغي علينا أن نحسن عيش ما تبقى من حياتنا هنا، وأن ننظر إليها من منظور الموت. فكيف إذن ينبغي أن نعيش في هذا العالم ونحن نتبنى هذه الرؤية؟ أود اليوم أن أتأمل في هذا الأمر من خلال التركيز على نقطتين مستمدتين من النص الوارد في سفر الجامعة 9: 2-6.

أولاً، يجب أن نعيش واضعين الموت نصب أعيننا، تائبين عن الخطيئة التي تملأ قلوبنا.

لننظر إلى الآية 9: 3 من سفر الجامعة في نص اليوم: "هذا شر في كل ما عمل تحت الشمس: أن مصيراً واحداً يلقاه الجميع. وفضلاً عن ذلك، فإن قلوب الناس ممتلئة بالشر، وفي قلوبهم حماقة ما داموا أحياء، وبعد ذلك ينضمون إلى الأموات". ونظراً لعدم وجود فرق جوهري بين البار والشرير فيما يتعلق بالأحداث التي يواجهونها في هذا العالم، يتخذ المنتمون لهذا العالم من ذلك ذريعة لتحويل حياتهم بأكملها إلى فرصة لارتكاب الخطايا (كما يرى بارك يون-سون). فعلى سبيل المثال، عندما يرى الأشرار الأبرار -أي يعانون مثلهم تماماً، يستنتجون أنه لا فرق بين الإيمان بيسوع وعدمه؛ ونتيجة لذلك، يمعنون في ارتكاب المزيد -المؤمنين بيسوع من الخطايا في هذا العالم. وعلاوة على ذلك، فإن السبب وراء ارتكاب الأشرار للخطايا بجرأة كبيرة هو أن عقاب الله على أعمالهم الشريرة لا يُنفذ على الفور (8: 11). وهكذا، وأمام حقيقة الموت، لا يكتفي الأشرار بعدم التوبة عن خطاياهم، بل يصبحون عاجزين عن ذلك أيضاً؛ إذ يستمرون في ارتكاب الخطايا بجرأة حتى وهم يواجهون الموت.

كيف ستكون ردة فعلك لو علمت أن موتك بات وشيكاً؟ على سبيل المثال، كيف ستتستجيب لو أخبرك الطبيب: "لم يتبقَّ لك سوى ستة لتعيشها"؟ أعتقد أن هناك ردتي فعل محتملتين: (1) محاولة فعل كل ما يرغب فيه المرء إلى — أشهر — أو سنة واحدة على الأكثر أقصى حد لأن الوقت ينفد، أو (2) التأمل في الحياة في مواجهة الموت والتوبة عن الخطايا المرتكبة في حق الله. وفي رأيي، من المرجح أن تكون ردة الفعل الأولى أكثر شيوعاً من الثانية؛ وذلك لأن غير المؤمنين ببسوع يعجزون عن التأمل الحقيقي في ذواتهم وتقديم توبة صادقة لله عند مواجهة الموت. لذا، إذا أخذنا في الاعتبار كلاً من غير المؤمنين وأولئك المؤمنين الذين يختارون - شأنهم شأن غير المؤمنين - الانغماس في رغباتهم الشخصية بدلاً من التوبة مع اقتراب الموت، فإن الفئة الأولى ستفوق بلا شك الفئة الثانية عدداً. ويمكننا العثور على أساس كتابي لهذا الأمر بالنظر إلى بني إسرائيل إبان فترة الخروج؛ فعلى الرغم من إيمانهم بالله، نرى مدى عنادهم وتصلب رقابهم، إذ رفضوا التوبة حتى وهم تحت وطأة غضب الله وتأديبه. وأعتقد أننا لسنا مختلفين عنهم؛ فنحن قوم نتباطأ في إدراك خطايانا والتوبة عنها، حتى ونحن نواجه الموت. ونتيجة لذلك، أظن أن الغالبية العظمى من الناس يختارون - في الوقت القصير المتبقي لهم - أن يعيشوا تماماً كما يحلو لهم، بدلاً من مراجعة حياتهم والتوبة عن الخطايا التي ارتكبوها في حق الله. فإذا عشنا وفقاً لرغباتنا الخاصة حتى لحظة الموت، فإن ذلك لا يعدو كونه "إضماراً للجنون في قلوبنا قبل أن ننضم في النهاية إلى الأموات" (الآية 3). لذا، لا ينبغي لنا أن نواجه الموت بهذه الطريقة؛ بل يتحتم علينا، قبل مواجهته، أن نتوب إلى الله عن الخطايا التي تملأ قلوبنا.

فماذا يعني ذلك؟ تماماً كما نخضع (X-ray) ذات مرة إن للموت قوة تشبه قوة الأشعة السينية (Wiersbe) "قال القس "ويرسبي للأشعة السينية أثناء الفحوصات الطبية لرؤية ما بداخل أجسادنا، يعمل الموت كأشعة سينية تكشف عما يكمن في قلوبنا؛ فهو يفضح الخطايا المتجذرة التي نحملها في داخلنا، ويمنحنا فرصة للتوبة أمام الله. بعبارة أخرى، يستخدم الله الموت كأداة لإظهار الخطايا التي تملأ قلوبنا، مما يقودنا إلى التوبة ويجعلنا شعبه المقدس. ولذلك، وبينما نعيش في هذا العالم، يجب أن ننظر إلى الحياة من منظور الموت، تائبين عن الخطايا التي تملأ قلوبنا. وعلينا أن نربط موتنا بموت يسوع على الصليب، واضعين الخطايا التي نحملها عند أقدام الصليب مراراً وتكراراً طوال ما تبقى من حياتنا. يجب علينا أن نضع خطايانا عند الصليب باجتهاد؛ فمعتمدين على قوة الدم الثمين الذي سفكه يسوع هناك، ينبغي علينا أن نسلم خطايانا له باستمرار. ورغم أننا نواجه حكم الموت، إلا أنه يتوجب علينا أن نعيش ما تبقى لنا من وقت على الأرض ونحن تائبون عن الخطايا الكامنة فينا. وبفعلنا ذلك، سنتمكن من مواجهة الموت بطريقة ترضي الله، بصفتنا شعبه المقدس.

ثانياً وأخيراً، يجب أن نعيش والرجاء بملأ قلوبنا، ناظرين إلى الحياة من منظور الموت.

"تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 9: 4: "لأنه مَنْ يُوصَلُ بِجَمِيعِ الْأَحْيَاءِ يُوجَدُ رَجَاءً، فَإِنَّ الْكَلْبَ الْحَيَّ خَيْرٌ مِنَ الْأَسَدِ الْمَيِّتِ كيف تبدو لك عبارة "الكلب الحي خير من الأسد الميت" بالنسبة للشعب اليهودي، كان الكلب أكثر الحيوانات احتقاراً، أما الأسد - كما نعلم - فهو ملك مملكة الحيوان، أليس كذلك؟ ومع ذلك، يعلن الملك سليمان أن الكلب الحي خير من الأسد الميت. ماذا يعني هذا؟

يعني أن البقاء على قيد الحياة أفضل من الموت. ولماذا تُعد الحياة أفضل من الموت؟ لأن الإنسان بمجرد أن يموت، لا تعود لديه فرصة ليعيش حياةً صالحة؛ أما وهو على قيد الحياة، فتوجد فرصة للتوبة وأمل في تصحيح الأمور. ولذلك، فإن الكلب الحي هو بالفعل خير من الأسد الميت. وهكذا، فإننا -نحن الأحياء اليوم- في حال أفضل من أولئك الذين ماتوا بالفعل، مهما بلغت شهرتهم أو ثروتهم أو سلطتهم.

فكيف إذن ينبغي لنا -نحن الذين نحيا ونتنفس اليوم- أن نعيش؟ يجب أن نعيش مدركين حقيقة أننا سنموت. تأمل في نص اليوم، الوارد في سفر الجامعة 9: 5: "لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً، وليس لهم أجر بعد الآن، لأن ذكراهم قد نُسيّت". فالموتى لا يعلمون شيئاً؛ إذ لا وجود للحب أو الكراهية أو الحسد بالنسبة لهم (الآية 6). وبما أنهم ماتوا، لم يعد لهم أي نصيب في أي عمل يُنجز تحت الشمس -إلى الأبد- (الآية 6). باختصار، لا رجاء للموتى؛ فهم يفتقرون إلى الإدراك الذي يدفعهم للعمل سعيًا وراء نيل مكافأة، كما أنهم بلا رجاء وقد نُسيّت أسماؤهم. أما الأحياء فلهم رجاء. وأي نوع من الرجاء هذا؟ بما أن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، فإن لديهم رجاء في أن يعيشوا بعزيمة متجددة وروح يقظة. هل نمتلك هذا الرجاء حقاً؟ وهل ندرك فعلاً أننا سنموت؟ وهل نعيش بروح يقظة وعزيمة متجددة انطلاقاً من هذا الإدراك؟ يجب علينا أن نتوب ما دامت الفرصة سانحة؛ ففرصة التوبة ليست متاحة دائماً. وإذ نعلم أننا سنموت يوماً ما، يتحتم علينا الابتعاد عن الخطيئة ونحن لا نزال أحياء، والسير في الطريق القويم مع الحفاظ على علاقة سليمة مع الله. أصلي ألا نضيع أبداً فرصة التوبة التي يمنحنا الله إياها، فنندم حين لا ينفع الندم. دعونا لا ننتظر حتى تصبح التوبة بلا جدوى؛ فبمجرد الموت، تنعدم أي إمكانية للتوبة أو الندم. إن وقت التوبة هو الآن.

إن المصير النهائي لجميع البشر واحد؛ فسواء كانوا أبراراً أو أشراراً، فإن نهاية الجميع هي الموت. وفي ضوء هذه الحقيقة، كيف ينبغي لنا أن نعيش حياتنا في هذا العالم خلال الوقت المخصص لنا؟ يجب أن نعيش مدركين حقيقة فناننا، تائبين عن الخطايا التي والنظر إلى الحياة من —تملاً قلوبنا. من خلال التأمل العميق في الموت —الذي يعمل كأشعة سينية تكشف ما في أعماق قلوبنا منظور الموت، ينبغي علينا أن نتوب يومياً أمام الله القدوس، معتمدين على قوة الدم الثمين المسفوك على صليب يسوع. وعلاوة على ذلك، يجب أن نعيش والرجاء يملأ قلوبنا، حتى ونحن نضع حقيقة الموت نصب أعيننا. فنحن الأحياء قومٌ نعيش بالرجاء، وقادرون على البقاء يقظين ومواصلة الحياة بعزيمة متجددة. ومستندين إلى هذا الرجاء، علينا أن نتوب ونسلك الطريق القويم الذي يريده "الرب؛ فحين نسلك طريق الرب، يغمرنا الرجاء في المستقبل. ولننتذكر دائماً تلك الكلمات: "كلبٌ حيٌّ خيرٌ من أسدٍ ميت".

الشخص الذي يرضى الله عنه ويقبله بسرور

[سفر الجامعة 9: 7-10]

ما الذي يبعث فيك الفرح في هذه الأيام؟ وأي نوع من السعادة تختبره وأنت تمارس حياتك اليومية؟ على الرغم من أننا نعيش في عالم مليء بالأحزان، إلا أن الكتاب المقدس يأمرنا بأن "نفرح كل حين". فهل نعيش حقاً بفرح دائم؟ وما الذي يجب علينا فعله لنعيش حياة ملؤها الفرح المستمر؟ علينا أن نطيع وصايا الله. بعبارة أخرى، يمكننا اختبار الفرح عندما نعيش مطيعين لكلمة الله. وعلاوة على ذلك، فعندما نعيش في طاعة لكلمته، فإن الله يقبلنا بسرور.

"في النصف الثاني من الآية 7 في الإصحاح التاسع من سفر الجامعة، يقول الملك سليمان: "...لأن الله قد رضي بالفعل عن أعمالك وبينما كنت أتأمل في هذه الآية، سألت نفسي: "من هو الشخص الذي يقبله الله بسرور؟" الجواب هو: أولئك الذين يعيشون وفقاً لكلمة الله (بارك يون-سون). فالذين يعيشون بحسب كلمة الله يعيشون بفرح. أود أن أستعرض أربع طرق يعيش بها هؤلاء الأشخاص - الذين يقبلهم الله بسرور - حياتهم بفرح، مع التركيز على نص اليوم، لكي ننال النعمة التي يقدمها الله.

أولاً: الذين يقبلهم الله بسرور يأكلون ويشربون بفرح.

انظر إلى النصف الأول من الآية 7 في الإصحاح التاسع من سفر الجامعة: "اذهب، كُلْ خبزك بفرح، واشرب خمرك بقلب مسرور...". ولأن الذين يقبلهم الله بسرور يعيشون في طاعة لكلمته، فإن الله يغدق عليهم البركات. فما نوع البركات التي يمنحها؟ انظر إلى الآية 24 في الإصحاح الثاني من سفر الجامعة: "ليس للإنسان خيرٌ من أن يأكل ويشرب ويُري نفسه خيراً في تعبهِ ورأيته أيضاً أن هذا هو من يد الله". إن البركة التي يمنحها الله لمن يطيعون كلمته هي القدرة على الأكل والشرب وإيجاد متعة حقيقية في نفوسهم. هل نختبر أنا وأنت حقاً هذه البركة من الله؟ هل تجد الفرح الذي يمنحه الله وأنت تأكل وتشرب؟ عندما أتأمل في صورة الأكل والشرب الواردة في الآية 24 من الإصحاح الثاني وفي نص اليوم (الآية 7 من الإصحاح التاسع)، يتبادر إلى ذهني مشهد الوليمة". عندما أفكر في وليمة أو مأدبة، أتذكر عرس قانا الجليل المذكور في الإصحاح الثاني من إنجيل يوحنا. وهذا يذكرني بمحاضرة استمعتُ إليها منذ فترة للقس تيم كيلر حول هذا العرس؛ فقد أثرت فيّ بعمق فكرة أن "ملكوت الله هو وليمة". وإذا كان

، الأمر كذلك، فأنا أؤمن بأن حياتنا اليومية -نحن المؤمنين بيسوع- ينبغي أن تكون وليمة؛ والسبب هو أن يسوع، ملك ملكوت الله يسكن فينا بواسطة الروح القدس. وينطبق الأمر ذاته على الكنيسة؛ فعندما نجتمع كمؤمنين، ينبغي أن نبتهج ونأكل ونشرب بفرح، الوليمة. وفي ضوء ذلك، أؤمن بأننا حين نتناول الخبز والكأس -وهما رمزان لجسد يسوع ودمه- ونحيي ذكرى موته على الصليب يجب أن نفرح ونحن نشارك في هذا العشاء. نحن نفرح لأنه بموت يسوع على الصليب، لم تُغفر خطايانا فحسب، بل لنلنا أيضاً ضماناً بأننا سندخل السماء يوم عودة الرب ونشارك في "عشاء عرس الحمل". وبالنسبة لأولئك الذين يرضى الله عنهم ويقبلهم، تكون الحياة وليمه يومية؛ يأكلون بابتهاج ويشربون بقلب مفعم بالفرح.

ثانياً، إن الذين يرضون الله يعيشون حياة تتسم بالطهارة والفرح.

لننظر إلى نص اليوم الوارد في سفر الجامعة 9: 8: "لِتَكُنْ ثِيَابُكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَيَضَاءً، وَلَا يَنْقُصِ الدُّهْنُ عَنْ رَأْسِكَ". هنا، تشير عبارة لتكن ثيابك في كل وقت ببيضاء إلى ضرورة أن تكون حياتنا طاهرة دائماً، بينما تعني عبارة "لا ينقص الدهن عن رأسك" أن الفرح يجب أن يكون حاضراً باستمرار في حياتنا (إيريد ميتشر). يوضح الملك سليمان أن الحياة التي ترضي الله هي حياة تجمع بين الطهارة والفرح. وعندما تأملت في هذا النص، أدركت وجود رابط بين الطهارة والفرح؛ فبكلمات أخرى، يمتلك الفرح أولئك الذين يعيشون حياة طاهرة، وفي المقابل، يستحيل على من لا يعيشون بطهارة أن يختبروا الفرح الحقيقي. ولماذا ذلك؟ لأن الخطيئة لا يمكن أبداً أن تجلب لنا الفرح. وفي نهاية المطاف، يسعى الذين يرضون الله إلى عيش حياة الطهارة، مطيعين كلمته ومتمتعين بالتححرر من الخطيئة. إذا أردنا أن نكون أشخاصاً تُرضي الله، فيجب علينا أن نسعى لعيش حياة الطهارة. وإذا رغبتنا في التمتع بالفرح الذي يمنحه الله، فيجب علينا السعي لنيل طهارة القلب. لماذا؟ لأن الله ينظر إلى قلوبنا. قد تبدو طاهرين في نظر الآخرين من الخارج بينما تُضمّر في داخلنا شتى أنواع الخطايا، لكننا لا نستطيع خداع الله الكلي العلم الذي يعلم كل شيء. لذا، يجب أن نعيش حياة تسعى لطهارة القلب أمام الله القدوس. ولتحقيق ذلك، علينا أن نعتمد على دم يسوع الثمين الذي سَفَكَ على الصليب، وأن نعترف بخطايانا ونتوب عنها يومياً. يجب أن نضع خطايا قلوبنا عند أقدام الصليب. وعندما نفعل ذلك، سنتمكن من العيش متمتعين بالتححرر من الخطيئة؛ ذلك الفرح الذي يختص به من هم طاهرو القلب حقاً.

ثالثاً، إن أولئك الذين يقبلهم الله بسرور يعيشون بفرح مع زوجاتهم الحبيبات.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 9: 9: "عَشْ بِفَرَحٍ مَعَ الزَّوْجَةِ الَّتِي تُحِبُّهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي أَعْطَاكَ إِيَّاهَا اللَّهُ تَحْتَ الشَّمْسِ، كُلَّ أَيَّامِ بَاطِلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ نَصِيْبُكَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي تَعَبِكَ الَّذِي تَتَعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ". يعلن الملك سليمان أنه في هذا العالم، الزائل والعديم المعنى، تكمن مكافأة كدحنا في العيش بسعادة مع الزوجة الحبيبة التي وهبها الله إياها. وهو يعلمنا أنه لكي تُرضي الله يجب أن نبتهج في وليمة الأكل والشرب (الآية 7)، ونسعد بحياة الطهارة (الآية 8)، ونجد الفرح في زوجاتنا الحبيبات (الآية 9) استمع إلى ما يقوله الملك سليمان في سفر الأمثال: "مَنْ يَجِدُ زَوْجَةً يَجِدُ خَيْرًا، وَيَبَالُ رِضَى مِنَ الرَّبِّ" (أمثال 18: 22)، و"الْبَيْتُ

وَالزَّوْجَةُ مِيرَاثٌ مِنَ الْآبَاءِ، أَمَّا الزَّوْجَةُ الْعَاقِلَةُ فَمِنْ الرَّبِّ" (أمثال 19: 14). تتسم حياة من يُرضون الله بالتمتع المتواضع ببركة الزوجة التي منحها الله؛ وفقاً لكلمة الله، هم يحبون زوجاتهم تماماً كما يحب يسوع الكنيسة. إن الذين يُرضون الله -أي الذين يحبون ويبتهجون بزواجهم كما يبتهج يسوع بالكنيسة- يجدون لذتهم وفرحهم في زوجاتهم. هل نجد أنا وأنت حقاً السعادة والبهجة في شريكي حياتنا؟ وهل تعيش بالفعل حياةً مفعمة بالفرح مع شريك حياتك الحبيب؟

سمعتُ بالصدفة، (YMCA) "في يوم الاثنين الماضي، وبينما كنت أمارس التمارين الرياضية في مركز "الواي إم سي إيه رجلاً أمريكياً يبلغ من العمر 80 عاماً يتحدث إلى رجل مسن آخر في غرفة تبديل الملابس. ذكر الرجل أن الذكرى الستين لزواجه تقترب. فسأله الرجل الآخر: "في هذه الأيام، يتزوج الناس ويطلقون ثم يتزوجون مرة أخرى باستمرار؛ فكيف تمكنت من البقاء مع زوجتك طوال 60 عاماً؟" فأجاب الرجل الثماني: "لقد كانت زوجتي صبورة جداً معي". ثم أضاف: "لدينا الكثير من القواسم المشتركة ونثق ببعضنا البعض..." لقد بعث حديث هذا الرجل المسن الدفء في قلبي؛ فمشاهدته وهو ينسب الفضل في استمرار زواجهما لستين عاماً إلى صبر زوجته -وسماع حديثه عنها بتلك الطريقة- منحني لمحة عن حبه العميق لها. وكما أشار الرجل الآخر، يمر الكثير من الناس اليوم بتجارب الزواج والطلاق وإعادة الزواج. وفي خضم هذه الاتجاهات الاجتماعية فإن رؤية رجل عاش مع زوجته 60 عاماً ولا يزال يحبها تدفعني للتأمل: كيف *ينبغي* أن نحب أزواجنا؟ أتذكر هنا كلمات سفر الأمثال (5: 18-19): "لِيَكُنْ يَنْبُوغُكَ مُبَارَكاً، وَأَفْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ. الظَّنِّيَةُ الْمُحْبُوبَةُ وَالْعَزَالَةُ الْبَهِيَّةُ... لِيُزَوِّكْ نَدِيَّاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَبِمَحَبَّتَيْهَا كُنْ مُسْتَعْرِقاً دَائِماً". يجب علينا دائماً أن نجد الرضا والاكتفاء في أحضان شريك حياتنا؛ فإذا لم نفعل ذلك، ستتجه أنظارنا نحو نساء أخريات، مما يقودنا إلى الرغبة فيهن والوقوع في النهاية في شباك الخيانة والزنا.

وأخيراً، النقطة الرابعة: إن الذين يرضون الله يعملون بجِد واجتهاد وبكل طاقاتهم. انظر إلى نص اليوم من سفر الجامعة (9: 10): "كُلُّ مَا تَجِدُهُ يَدُكَ تَفْعَلُهُ، فَافْعَلْهُ بِكُلِّ قُوَّتِكَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ عَمَلٌ وَلَا اخْتِرَاعٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ وَلَا حِكْمَةٌ فِي الْهَوَايَةِ [عالم الموتى]" (10: 10). لم يكن الشعب اليهودي ينظر إلى العمل باعتباره لعنة، بل كأمانة (Wiersbe) "التي أنت ذاهبٌ إليها". ووفقاً للقس "ويرسبي ووكالة أوكلها الله إليهم. وبعبارة أخرى، كانوا يقبلون على عملهم بشعور من الدعوة الإلهية؛ وبصفتهم وكلاء لله، كانوا يؤدون بأمانة المهام التي كلفهم بها. من هذا المنظور، يبدو أن الملك سليمان يحثنا قائلاً: "ابحثوا عن العمل وأنجزوه باجتهاد"، و"ابذلوا قصارى جهدكم ما دمت قادرين على العمل". لماذا يحثنا الملك سليمان على العمل بجِد طالما أننا قادرون على ذلك؟ لأن الليل حيث لا يعود بإمكاننا العمل، سيحل قريباً. وبينما نعيش في هذا العالم ونؤدي عمل الرب، يجب أن نتعلم كيف نستمتع بالعمل ذاته بقلبٍ مهتلل. كم سيكون الأمر بانساً لو ظللنا نتذمر ونشتكي باستمرار أثناء العمل - سواء في وظائفنا أو في الكنيسة! وعلى وجه الخصوص، فبدون شعور واضح بالدعوة - أي إدراك العمل كأمانة موكلة من الله، كما فعل الشعب اليهودي - سيكون من الصعب العمل باجتهاد، وسيصبح الاستمتاع بالعمل أمراً مستحيلاً. يجب أن نتحلى بنفس روح الأمانة والمسؤولية التي تمتع بها الرسول بولس في العهد الجديد. وسواء كنا نعمل في وظائفنا أو نخدم الكنيسة - التي هي جسد المسيح - ينبغي علينا الحفاظ على عقلية الأمانة التي تأتي من الله. فإذا كان لدينا إدراك واضح لمفهوم الأمانة وشعور راسخ بالدعوة، فسنتمكن من أداء واجباتنا باجتهاد وفرح في آن واحد. وهؤلاء هم الأشخاص الذين يقبل الله عملهم بسرور. أمل أن نكون - أنا وأنتم - أشخاصاً يبذلون قصارى جهدهم بروح الأمانة في المهام الموكلة إليهم، طالما أننا لا نزال نملك القوة للقيام بذلك.

أي نوع من الأشخاص ينبغي أن نكون؟ يجب أن نكون أشخاصاً يرضى الله عنهم ويقبلهم. ولتحقيق ذلك، علينا أن نتقي الله ونطيع كلمته. تخبرنا كلمته بأن نأكل ونشرب بفرح وقلب مسرور (الآية 7). كما أنها ترشدنا لنعيش حياة تتسم بالطهارة والفرح (الآية 8). وعلاوة على ذلك، ينبغي أن نعيش بسعادة مع شركاء حياتنا المحبوبين (الآية 9). ويجب علينا أن نعمل باجتهاد وبكل ما أوتينا من قوة ما دمنا قادرين على ذلك (الآية 10). فلنكن جميعاً أشخاصاً يرضون الله

التوقيت والفرصة

[سفر الجامعة 9: 11-12]

الإخبارية. أفاد المقال بأن رجلاً يبلغ من CNN في الأسبوع الماضي، وقع نظري على مقال مثير للاهتمام في موقع شبكة العمر 35 عاماً، يُدعى ميتشل هيسمان -وكان يقيم في شقة داخل حرم جامعة هارفارد- قد أقدم على الانتحار قرابة الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت، 18 سبتمبر؛ وهو اليوم الذي وافق "يوم الغفران" (يوم كيبور) لدى اليهود. وقبل أن ينهي حياته، كتب رسالة انتحار بلغت 1905 صفحات. وبحسب التقارير، تطرقت الرسالة إلى شخصيات مثل سقراط ونيوتن وأينشتاين، وناقشت مواضيع شتى كالحرية، والعدمية، والله، واليهودية، والرموز اليهودية، ومعدل الذكاء لدى اليهود، وتاريخ الأنجلو-ساكسون. ورغم أنني لم أقرأ النص كاملاً، إلا أن عبارة محددة وردت فيها حول الحياة تركت أثراً عميقاً في نفسي وأود مشاركتها معكم، وهي: "الحياة بلا معنى". لقد أعادت قراءة هذه العبارة في المقال الإخباري إلى ذهني فوراً كلمات سفر الجامعة 1: 2: "بَاطِلُ الْبَاطِيلِ! يَقُولُ الْجَامِعَةُ: بَاطِلُ الْبَاطِيلِ! الْكُلُّ بَاطِلٌ". لقد شعرت بالحزن وأنا أقرأ عن رجل -في اللحظة ذاتها التي أنهى فيها حياته- دُون كلمات كانت قد كُتبت بالفعل في الكتاب المقدس. وكان سبب حزني هو أنه، رغم إدراكه ربما لعبثية الحياة، إلا أنه أنهى حياته دون أن يكتشف معناها الحقيقي في يسوع. ولو أنه وجد ذلك المعنى في يسوع، فأنا على يقين بأنه لم يكن ليقدم على الانتحار؛ بل كان سيستثمر الحياة التي وهبت له على أفضل وجه ويعيشها لأجل الرب. كما أجد نفسي أفكر في أنه لو أدرك معنى الحياة في يسوع وعاش حياة ذات مغزى لأجل الرب قبل رحيله، لما كان موته عبثاً بالتأكيد؛ بل كان بإمكانه أن يختبر موت القديسين -ذلك الرحيل العزيز في عيني الله- في كنف الرب.

في الآونة الأخيرة، كنت أتأمل في مفهوم "التوقيت". وتحديداً، كنت أفكر في اللحظة التي ينبغي فيها على المرء التوقف عن السعي لإنقاذ حياة عزيز يعاني، والسماح له بدلاً من ذلك بمغادرة هذا العالم بسلام. ويعود سبب ذلك إلى وضعي مع حَيِّي (والد زوجتي) العزيز؛ فقد أشار الطبيب المعالج له إلى أن الوقت قد حان للاستعداد للنهاية. من الناحية الطبية، تتمثل النصيحة في تقبُّل حقيقة أنه لم يعد بالإمكان فعل المزيد، ونقل المريض إلى برنامج للرعاية التلطيفية (رعاية المحتضرين) لضمان راحته. حتى أيامه الأخيرة. ومع ذلك، تواصل حماتي العزيزة بذل كل ما في وسعها. لقد دفعني هذا الموقف للتفكير في مسألة "التوقيت"، بالطبع، لا أحد يستطيع تحديد هذا التوقيت بدقة مطلقة؛ فحتى عندما ينصح الطبيب بالتوقف عن المحاولات والاستعداد للنهاية، يمكننا نحن المؤمنين بيسوع أن نستمر في الصلاة، واضعين ثقتنا في إله الشفاء. نحن نصلي بهذه الطريقة لأن هناك دائماً

،احتمالاً بأن يختار الله إعادة الحياة للمريض. وخير مثال على ذلك هو ما فعله داود حين صام وصلى بينما كان الطفل الأول الذي وُلد من علاقته الأثمة مع بثشبع، مريضاً. ورغم أن داود كان قد تلقى بوضوح كلمة الله على لسان النبي ناتان — "لأنك بهذا الأمر جعلت أعداء الرب يزدرون، فالابن المولود لك يموت حتماً" (صموئيل الثاني 12: 14) — إلا أنه ظل صائماً ومتضرعاً إلى الله من أجل الطفل (الآية 16). لماذا تضرع بتلك الطريقة؟ يوضح داود السبب في سفر صموئيل الثاني 12: "قائلاً: "وقال: 'بينما كان الطفل حياً، صمتُ وبكيتُ، إذ قلتُ: مَنْ يدري؟ لعل الرب يترأف بي ويُبقي الطفل حياً 22

في الجزء الأخير من الآية 11 من الإصحاح التاسع في سفر الجامعة — وهو النص الذي نتأمله اليوم — يقول الملك سليمان لأن الوقت والصدفة يقعان عليهم جميعاً". فما هو المعنى الحقيقي لهذه العبارة؟ قبل استيعاب معناها، يجب أن ندرك أولاً أن الترجمة الكورية لكلمة "صدفة" هنا تُعد في الواقع ترجمة خاطئة (وفقاً لـ "بارك يون-سون"). بالنسبة لنا كمسيحيين نؤمن بسيادة الله، لا يوجد شيء اسمه "صدفة" أو "مصادفة"؛ فكل شيء يحدث في ظل سيادة الله وعنايته الإلهية، ولا شيء يقع بمحض الصدفة البحتة. نحن نؤمن بأن كل الأمور تتم وفقاً لمشئنة الله السيادية؛ ولهذا السبب، أنا شخصياً لا أقبل عبارة "حظاً سعيداً (Hapdong) المستخدمة حالياً من قبل طائفة "هابدونغ (RNKSV) "عند النظر إلى "النسخة الكورية القياسية الجديدة المنقحة في كوريا، نجد أن الآية 11 من الإصحاح التاسع في سفر الجامعة تنص على ما يلي: "...لأن الوقت و*الفرصة* يواجهانهم ؛ وأعتقد أن هذه (coincidence) "وليس "صدفة (opportunity) "جميعاً". تترجم هذه النسخة الكلمة بمعنى "فرصة الكوري (Naver) "الترجمة أكثر ملاءمة. إذن، ما هي "الفرصة" التي يشير إليها الملك سليمان هنا؟ وفقاً لقاموس "نافر تُعرّف "الفرصة" بأنها "وقت أو مناسبة ملائمة للقيام بشيء ما". وبالمثل، يصفها قاموس "هانجا" (الخاص بالرموز الصينية) في "نافر" بأنها "اللحظة المرتقبة - أي الوقت المناسب للعمل". عندما نغتني الفرص المتاحة لنا ونبادر بالعمل، فما الذي نأمل في تحقيقه؟ أليس هو النجاح؟ وما الذي ينبغي على المرء فعله أثناء انتظار مثل هذه الفرصة؟ عليه أن يستعد. ولتحقيق أقصى استفادة من فرصة قادمة وضمان النجاح، يجب على المرء أن يطور قدراته بفاعلية كجزء من الاستعداد.

في نص اليوم (سفر الجامعة 9: 11)، يتحدث الملك سليمان عن خمس فئات من الأشخاص المستعدين أو الأكفاء. ويمكننا وصفهم بأنهم أفراد يهيئون أنفسهم لفرص الحياة من خلال تنمية قدراتهم الذاتية

أولاً: "العداؤون السريعون". ماذا يبتغي العداؤون السريعون؟ بطبيعة الحال، يطمحون إلى إنهاء السباق في المركز الأول (1) ولتحقيق ذلك، يجب عليهم التدريب ليصبحوا أسرع - أسرع من أي شخص آخر. وعندما تسنح فرصة السباق، يتعين عليهم بذل قصارى جهدهم والركض بأقصى سرعة نحو خط النهاية. لماذا؟ ليعبروا الخط أولاً ويحققوا النصر.

ثانياً: "المحاربون". ماذا يبتغي المحاربون؟ بطبيعة الحال، يطمحون إلى الانتصار في المعركة. وللغز في الحرب، يجب (2) أن يتحلى الجنود بشجاعة حقيقية؛ وهذا الأمر يتطلب تدريباً مكثفاً

ثالثاً: "الحكماء". يجب على الحكماء تطبيق المعرفة التي يمتلكونها بفاعلية في حياتهم الواقعية، واستخدامها لتحسين سبل (3) عيشهم ورفاهيتهم. فلا يوجد شخص حكيم حقاً يرغب في عيش حياة يعجز فيها حتى عن كسب عيش كريم، مكتفياً بامتلاك معرفة عديمة الفائدة.

رابعاً: "ذوو البصيرة" (أو المميزون للأمور). وهم أيضاً سيسعون جاهدين لتوظيف عقولهم الثاقبة في العمل بجد واجتهاد (4) وكسب المال، وتحقيق الثراء.

خامساً، تأتي فئة "المتقنين"؛ إذ سيسعون لنيل التقدير واستمالة الكثيرين من خلال توظيف المعرفة التي اكتسبوها عبر (5) الدراسة الدؤوبة.

غير أن المشكلة تكمن في أنه حتى عندما يغتنم هؤلاء الأفراد الخمسة -المستعدون والمؤهلون- الفرص ويبدلون قصارى جهدهم أملاً في النجاح، فإن النتيجة تظل غير مضمونة أبداً. إذ يقول الملك سليمان في سفر الجامعة (9: 11): "عَدْتُ وَرَأَيْتُ تَحْتَ الشَّمْسِ أَنَّ السَّعْيَ لَيْسَ لِلْخَفِيفِ، وَلَا الْحَرْبُ لِلْأَقْوِيَاءِ، وَلَا الْخُبْرُ لِلْحُكَمَاءِ، وَلَا الْغِنَى لِلْفُهَمَاءِ، وَلَا النِّعْمَةُ لِلذَّوِي الْمَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّ الْوَقْتَ وَالْحَادِثَةَ يُصِيبَانِهِمْ جَمِيعاً". ومغزى هذه الكلمات -أي أن أسرع العدائين لا يفوزون بالسباق بالضرورة، وأقوى المحاربين لا ينتصرون في الحرب حتماً- هو أن هذه الأمور تفوق الإدراك والتفسير البشري. وبعبارة أخرى، فإن هذه الأحداث تجري بتدخل من الله، ولا يستطيع البشر تفسيرها أو تعليل أسبابها بشكل كامل (بارك-يون-سون). ولذلك، حتى لو استوفى المرء جميع الشروط اللازمة لتحقيق هدف ما، فلا ينبغي له أن يغتر بنفسه، ظناً منه أنه قادر على ضمان النجاح بجهوده الذاتية فحسب؛ بل يجب عليه دائماً أن يتطلع إلى الرب (بارك-يون-سون).

إنها غريزة بشرية أن يميل المرء إلى الغرور والتباهي بأنه حقق النجاح بقوته الذاتية. وخير مثال على ذلك هو شعورنا بالفخر والرغبة في التباهي بأننا جمعنا ثروة طائلة بفضل قوتنا وقدرتنا الشخصيتين. ولهذا السبب يخبرنا سفر التثنية (8: 17-18): "فَتَقُولُ فِي قَلْبِكَ: قُوَّتِي وَقُدْرَةُ يَدَيَّ اصْطَنَعَتَا لِي هَذِهِ الثَّرْوَةَ. بَلْ أَذْكُرُ الرَّبَّ إِلَهَكَ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِيكَ قُوَّةً لِصُنْعِ الثَّرْوَةِ" لِكَيْ يَفِي بَعْثِهِ الَّذِي أَقْسَمَ لِأَبَائِكَ كَمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ". فنحن لا نكتسب ثروة عظيمة بفضل استحقاقنا أو قدرتنا الذاتية، بل ننالها لأن الله يفي بالعهد الذي قطعه لأباء إسرائيل؛ وبعبارة أخرى، لا يمكننا الحصول على الثروة إلا عندما يمنحنا الله القدرة على ذلك. ولهذا يقول الرسول يعقوب: "وَأَمَّا الْآنَ فَإِنَّكُمْ تَفْتَخِرُونَ فِي تَعْظُمِكُمْ. كُلُّ افْتِخَارٍ مِثْلُ هَذَا هُوَ شَرِيرٌ" (يعقوب 4: 16). ولماذا يجب علينا تجنب هذا التباهي المغرور؟ لأن يوماً من المصائب -غير المتوقعة وغير المنتظرة على الإطلاق- قد يباغت حياتنا فجأة. لننظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 9: 12: "لِأَنَّ الْإِنْسَانَ أَيْضًا لَا يَعْرِفُ وَقْتَهُ. كَالْأَسْمَاكِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِشَبَكَةِ مُهْلِكَةٍ وَكَالْعَصَافِيرِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِالْفَخِّ، تُقَنَّصُ بَنُو الْبَشَرِ فِي وَقْتِ الشَّرِّ حِينَ يَقَعُ عَلَيْهِمْ بَغْتَةً". ماذا يعني هذا؟ يعني أنه حتى عندما نستعد بجد، ونجتهد، ونغتنم الفرص، ونبدل قصارى جهدنا، تظل هناك أحداث غير متوقعة تماماً يمكن أن تقع. ما هو

، هذا الحدث غير المتوقع؟ إنه الحلول المفاجئ ليوم البلاء. فتماماً كما تُصاد الأسماك في شبكة الكارثة وتُحبس الطيور في الفخ، يمكن ليوم البلاء — غير المتوقع وخارج نطاق سيطرتنا — أن يحل علينا فجأة. إذن، ماذا علينا أن نفعل؟

علينا أن نتذكر. يجب أن نتذكر أن لكل شيء وقتاً، ولكل أمر تحت السماء وقت محدد (الجامعة 3: 1-8). وعلينا أيضاً أن نتذكر أن لكل أمر وقتاً وإجراءً مناسباً (8: 6). وفوق كل شيء، حتى عندما يحل يوم البلاء فجأة، يجب ألا ننسى الحقيقة القائلة بأن الله يجعل كل شيء حسناً في وقته (3: 11) (ويرسبي). وحتى لو لم تسر الأحداث في حياتنا كما توقعنا — بل كانت مؤلمة وصعبة لدرجة تبدو وكأنها كارثة — فلا يجب أن نتخلى عن الرجاء الذي وضعناه في الرب. يجب أن نؤمن بأن كل ما يحدث في حياتنا يقع ضمن سيادة الله. وعلاوة على ذلك، يجب أن نثق بأن الله سيجعل كل شيء حسناً في النهاية من خلال هذه الأحداث. وحتى عندما تبدو الكارثة المفاجئة — من منظور بشري — مظلمة تماماً وخالية من أي جمال، يجب أن نؤمن بأن الله الذي يحبنا سيعمل حتى من خلال هذه الكوارث ليحقق الخير ويجعل الأمور حسنة في نظره. وعندما نفعل ذلك، سنعاين مجد الله، الذي هو النور.

في الكتاب المقدس، كثيراً ما قال يسوع: "ألم تأتِ سَاعَتِي بَعْدُ" (يوحنا 2: 4؛ 7: 6، 8؛ 30؛ 8: 20؛ 12: 4، 23، 27؛ 17: 1). ماذا كان يقصد يسوع بعبارة "ساعتي"؟ يشير ذلك الوقت إلى اللحظة التي صُلب فيها يسوع ومات ليفدنا (1: 13؛ أنت وأنا). وبعبارة أخرى، يشير وقت يسوع إلى اللحظة التي سيعلن فيها عن مجده بصفته ابن الله. ويؤكد الكتاب المقدس أن يسوع مات وقام وصعد إلى السماء، وأنه سيعود بالتأكيد؛ ووحده الله يعلم توقيت ذلك الحدث (متى 24: 36). وحينئذٍ، سيُتمم الله الخلاص بملئه ويُضفي الجمال على حياتك وحياتي و حياة جميع شعب الله الذين يعيشون في هذا العالم المظلم. أصلي لكي نعيش جميعاً متمسكين بالرجاء ومستعدين لذلك اليوم.

"الفقير الحكيم"

[سفر الجامعة 9: 13-18]

لو طُلب منك الاختيار بين "الثروة" و"الحكمة"، فأيهما تختار؟ ولو كان عليك اختيار واحد فقط من الأمرين، فأيهما تفضل: "أن تصبح غنياً" أم "أن تكون فقيراً ولكن تكتسب الحكمة"؟ عندما طرحْتُ على نفسي هذا السؤال، تذكرتُ قصة "نابال" و"أبيجايل" الواردة في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر صموئيل الأول في العهد القديم. كما تعلمون، كان نابال ثرياً جداً؛ فقد كان رجلاً غنياً يمتلك ثلاثة آلاف رأس من الغنم وألفاً من الماعز (الآية 2). ومع ذلك، لم يكن مجرد شخص عنيد وشرير في أفعاله (الآية 3) فحسب، بل كان أيضاً رجلاً شريراً (الآية 17) وأحمق (الآية 25). حتى زوجته، أبيجايل، كانت تدرك حماقته؛ "...لذا ذهبت إلى داود وقالت: "...لا يضع سيدي قلبه على هذا الرجل الشرير نابال. لأن اسمه يطابقه؛ اسمه نابال، وهو أحمق (الآية 25). وفي المقابل، كانت زوجته -التي تدعى أبيجايل- امرأة ذكية وجميلة المظهر (الآية 3). وعندما سمعت الخبر بأن داود قد قرر إلحاق الأذى بنابال وبكل أهل بيته لأن زوجها الأحمق نابال قابل إحسان داود بالإساءة (الآيات 17، 21)، سارعت بتحميل الخبز والخمر والأغنام والحبوب على الحمير (الآية 18) وذهبت لمقابلة داود (الآية 20) لمنعه من سفك الدماء والانتقام بنفسه (الآية 33). وفي تلك اللحظة، قال داود لأبيجايل: "مبارك الرب إله إسرائيل الذي أرسلك اليوم للقائي. ومباركةً حكمته وحُسن تدبيرك..." (الآيتان 32-33). وهناك نص آخر يمكننا تأمله، وهو ما ورد في سفر الجامعة 4: 13-16؛ ففي هذا النص، يعقد الملك سليمان مقارنة بين شاب فقير حكيم وملك غني ولكنه عجوز وأحمق. ومغزى كلامه هو أن الفقر أو الثروة والشباب أو الشيخوخة -سواء كان المرء صبيّاً أو ملكاً- لا تشكل فارقاً جوهرياً؛ فالأمر الأهم حقاً هو الحكمة. عند التأمل في هذين النصين الكتابيين، نجد أن الخيار المتاح أمامنا ليس الثروة، بل الحكمة. ومع ذلك، يطرح علينا سؤال هام: "إذا اخترت الحكمة ووجدت نفسك فقيراً لا غنياً، ومنبوذاً من الآخرين بدلاً من أن تحظى بالتقدير والثناء، فماذا ستفعل؟ وهل ستظل تختار الحكمة مفضلاً إياها على الثروة؟"

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 9: 13، يقول الملك سليمان: "رايتُ أيضاً تحت الشمس هذا المثال عن الحكمة الذي أثار إعجابي الشديد". فما هو مثال الحكمة هذا الذي رآه سليمان وأولاه كل هذا التقدير؟ إنه قصة مدينة صغيرة قليلة السكان حاصرها ملكٌ جبار وأقام حولها تحصينات حصار ضخمة (الآية 14)؛ إلا أن "رجلاً حكيمًا فقيرًا" داخل المدينة تمكن من فلا أحد يضمن —حتى لو شيد منشآت حصار هائلة لمهاجمة مدينة صغيرة— إنقاذها بفضل حكمته. ومهما بلغت عظمة الملك النتيجة (9: 11-12). فبينما يوحى المنطق السليم بأن الملك القوي سينتصر حتمًا على المدينة الصغيرة ويكسب الحرب، يشير

قد تخرج منتصرة بالفعل. كيف يمكن ذلك؟ يعود—التي لا يقطنها سوى قلة من الناس—الملك سليمان إلى أن المدينة الصغيرة الفضل في ذلك إلى "رجل حكيم فقير". انظر إلى سفر الجامعة 9: 15: "فَوُجِدَ فِيهَا رَجُلٌ حَكِيمٌ فَقِيرٌ، فَجَعَى هُوَ الْمَدِينَةَ بِحِكْمَتِهِ..." لقد لاحظ الملك سليمان "تحت الشمس" أن ملكاً غنياً وجباراً قد يُهزم على يد رجل حكيم فقير. وخير مثال على ذلك نجده في سفر صموئيل الثاني 20: 14-22؛ فعندما حاصر جيش يوباب مدينة "أبل" الإسرائيلية، تحدثت امرأة حكيمة من —وهو الحكيم بحد ذاته—المدينة بذكاء وحنكة إلى يوباب وأنقذت المدينة. إذن، ما هي الرسالة الجوهرية التي أراد الملك سليمان إيصالها من خلال هذا المثال؟ انظر إلى الشطر الأول من سفر الجامعة 9: 16: "فَقُلْتُ: الْحِكْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الْقُوَّةِ..." إنها ببساطة حقيقة أن الحكمة تتفوق على القوة. وانظر أيضاً إلى الآية 18: "الْحِكْمَةُ خَيْرٌ مِنْ أَدَوَاتِ الْحَرْبِ..." إذ يعلن الملك سليمان أن الحكمة تعلق على الأسلحة الحربية. على الرغم من أن القوة والعتاد العسكري يُعدان بلا شك عنصرين هامين في الحروب، إلا أن النصر لا يتحقق دون حكمة، مهما بلغت عظمة القوة أو تفوق السلاح؛ فالحكمة تفوق القوة والعتاد أهميةً بمراحل. ولذا، يقول كاتب سفر الأمثال: "الحكمة هي الرأس، فافتن الحكمة، وبكل مقتنياتك افتن الفهم" (أمثال 4: 7). كما يقول الملك سليمان كلمات الحكماء الهادئة تُسمع أكثر من صراخ حاكم بين الحمقى" (جامعة 9: 17). وعلينا أن نصغي إلى كلمات الحكماء الهادئة بدلاً من صراخ قائدٍ يقود الحمقى.

ولكن، أين تكمن المشكلة؟ رغم أن الحكمة تتفوق على القوة والعتاد، إلا أن الملك سليمان لاحظ أموراً تحت الشمس استعصت على الفهم أو التوقعات. وهناك أمران محيران من هذا القبيل:

"أولاً، انظر إلى الجزء الأخير من الآية 16 في نص اليوم: "...حكمة الفقير مُحترمة، وكلامه لا يُصغى إليه

إن ما عاينه الملك سليمان تحت الشمس —وهو أمر عجز عن استيعابه أو تفسيره— هو أن الرجل الفقير الحكيم، حتى حين ينجز عملاً عظيماً كإنقاذ مدينة، غالباً ما يفشل في نيل التقدير اللائق ويُقابل بالرفض بدلاً من ذلك (الآية 16) (ويرسبي). لماذا يحدث هذا برأيك؟ لماذا لا يحظى الفقير الحكيم —بعد إنجازه العظيم بإنقاذ المدينة— بتكريم الناس، بل يُنبذ جانباً؟ لقد بحثت عن السبب في سفر الأمثال، فوجدت: "الفقير يُبغض حتى من جاره، أما الأغنياء فلهم أصدقاء كثر" (14: 20)؛ و"الغنى يضيف أصدقاء كثيرين، أما الفقير فينتحلي عنه صديقه" (19: 4). لماذا يرفض الناس الفقير الحكيم الذي أنقذهم وأنقذ مدينتهم بدلاً من تكريمه؟ السبب ببساطة هو فقره. فلو كان ذلك الحكيم ثرياً، لسعى كثيرون لمصادقته، ولأشادوا به وأصغوا إلى كلماته؛ وبالتأكيد ما كانوا ليحتقروه أو يرفضوه. أشار الملك سليمان إلى أنه على الرغم من تفوق الحكمة على القوة والعتاد، إلا أن هناك ظاهرة أخرى في هذا العالم تتجاوز الفهم والتوقعات؛ وهي الظاهرة الموصوفة في الشطر الثاني من الآية 18: «...وَحَاطِيٌّ وَاجِدٌ يُفْسِدُ خَيْرًا كَثِيرًا».

ماذا يعني هذا؟ يقدم سفر الجامعة (10: 1) بعض الرؤى حول ذلك: "الذباب الميت يُنتنُ ويُفسدُ طيبَ العطار؛ كذلك الحمافة القليلة تغطي على الحكمة والكرامة". وهذا يشير إلى أن الحكمة يمكن أن تُمحي بسهولة، تماماً كما يمكن لخطأ صغير أن يجعل رائحة الحمافة تغطي على عبير الحكمة (10: 1) (كارسون). بعبارة أخرى، يمكن تدمير القيمة العظيمة للحكمة بتصرف واحد من تصرفات الحمافة (والفولد). ونرى مثلاً بارزاً على ذلك في سفر التكوين: الإنسان الأول، آدم. فعندما نتأمل كيف دخلت الخطيئة إلى العالم - ودخل الموت بسبب الخطيئة - نتيجة لعصيان (تعدّي) رجل واحد، وهو آدم، ندرك أن خاطئاً واحداً يمكنه بالفعل أن يُفسد قديراً هائلاً من الخير (رومية 5: 12). وهناك مثال آخر في قصة "عخان" في زمن يشوع؛ فقد مُنيت أمة إسرائيل بأكملها بالهزيمة في معركة "عاي" بسبب فعل تعدّي واحد ارتكبه عخان (يشوع 7). حتى أن تعدّي الملك داود جلبت الولايات على شعب إسرائيل (2 صموئيل 24)، كما قاد ابنه أبشالوم انقلاباً زجّ بالأمة في أتون حرب أهلية (2 صموئيل 15 وما بعدها) (ويرسبي).

وهكذا، فإن تصرفات الحمافة - وتحديدًا العصيان - التي قام بها شخص واحد كان لها عواقب وخيمة؛ ففي حالة آدم، جلبت: عصيانه الخطيئة، وبالتالي الموت، على البشرية جمعاء. ومع ذلك، وفي خضم هذا كله، صنع الله أمراً يفوق الإدراك البشري: فقد أرسل ابنه الوحيد، يسوع المسيح، إلى العالم ليموت على الصليب، مخلصاً إياك وإياي. وكما أن رجلاً فقيراً وحكيماً أنقذ ذات مرة مدينة صغيرة من ملك جبار، فإن يسوع - الذي هو تجسيد للحكمة الحقيقية - قد أنقذنا من الموت ومن الشيطان وقواته والأكثر إثارة للدهشة هو أنه، تماماً كما نسي الناس ذلك الرجل الفقير الحكيم، فإنهم ينسون يسوع المسيح، الحكمة الحقيقية (أمثال وعلاوة على ذلك، فكما احتقر الناس حكمة الرجل الفقير ورفضوا الإصغاء إلى كلماته، يحتقر الكثيرون اليوم حكمة يسوع. (8) ويرفضون الاستماع إلى تعاليمه. هل يمكنك استيعاب هذا الأمر؟ لقد جاء يسوع إلى هذا العالم ليفتدي الكثيرين من الخطيئة ومع ذلك لم يقبله خاصته (يوحنا 1: 12). واليوم، يخاطبنا الله قائلاً: "اسمعوا التأديب وكونوا حكماء ولا ترفضوه. طوبى للإنسان الذي يسمع لي، ساهراً عند أبوابي كل يوم، وحافظاً قوائم مداخلتي. لأن من يجدنني يجد الحياة وينال رضى من الرب؛ أما من يخطئ في حقي فيضر نفسه، وكل من يبغضني يحب الموت" (أمثال 8: 33-36). علينا أن نتمسك بيسوع، الذي هو الحكمة الحقيقية؛ فحين نفعل ذلك، لن ننال الحياة الأبدية فحسب، بل سنحظى أيضاً برضى الله. أصلي أن تحل هذه النعمة الثمينة علينا جميعاً.

دعونا لا نُثبت أننا حمقى

[سفر الجامعة 10: 1-4]

إلى أي مدى تعتقد أن الحماسة البشرية تصل؟ بعبارة أخرى، ما الذي تعتبره ذروة الحماسة البشرية؟ عندما تأملتُ في هذا السؤال، تبادرت إلى ذهني كلمات سفر الأمثال 26: 11: "كَمَا يَعُوذُ الْكَلْبُ إِلَى قَيْئِهِ، هَكَذَا يُعِيدُ الْجَاهِلُ حِمَاقَتَهُ". قد لا نكون رأينا كلباً يأكل قَيْئَهُ، لكننا على الأرجح رأينا كلباً يأكل فضلاته. ماذا يخطر ببالك عندما ترى ذلك؟ ألا تعتبره كلباً أحمق حقاً؟ وبالمثل، كم تبدو الحماسة عظيمة في عيني الله عندما نرتكب نحن البشر مراراً وتكراراً نفس الأفعال الحمقاء؟ يُعد بنو إسرائيل -في سفري الخروج والقضاة من العهد القديم- مثلاً على ذلك؛ فقد ارتكبوا مراراً خطايا التذمر وعصيان كلمة الله. كم بدا ذلك حماسة في نظر الله! ومع ذلك، ألا تعتقد أن هذا يعكس طبيعتنا نحن أيضاً؟ لكنني لا أعتقد أن هذا يمثل الذروة المطلقة للحماسة البشرية؛ ففي رأيي، تكمن ذروة الحماسة الحقيقية فيما ورد في المزمور 14: 1: "قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَيْسَ إِلَهٌ...". إنني أو من بأن أقصى درجات الحماسة هي القلب الذي لا يؤمن بوجود الله. فالقلب الذي ينكر الله يفسد، وتصبح الأعمال النابعة من قلب فاسد أعمالاً مفيتة (الآية 1). وفي النهاية، فإن أولئك الذين يقولون إنه لا يوجد إله هم حمقى لدرجة أنهم لا يفعلون الخير ولا هم قادرون على فعله. أعتقد أن العالم المظلم الذي نعيش فيه اليوم مليء حقاً بهذا النوع من الحماسة المطلقة؛ فالناس ينخرطون في الفساد والسلوك الشنيع، ويتصرفون وفقاً لأهوائهم بدلاً من الإيمان بوجود الله أو بالحقيقة المطلقة. لقد تخطى كثيرون عن الحكمة وساروا في طريق الحماسة، وبذلك يبرهنون على حماقتهم؛ وبعبارة أخرى، فإنهم باعتقادهم عدم وجود إله وعيشهم بناءً على هذا الاعتقاد، يثبتون مدى حماقتهم.

في نص اليوم، سفر الجامعة 10: 3، يخبرنا الملك سليمان قائلًا: "بَلْ حَتَّى فِي الطَّرِيقِ حِينَ يَمْشِي الْجَاهِلُ، يَنْقُصُهُ الْفَهْمُ فَيُظْهِرُ لِلْجَمِيعِ أَنَّهُ جَاهِلٌ". يقول الكاتب إن الأحمق يتحدث عن حماقته - أي أن الشخص الأحمق يُظهر حماقته بنفسه. ما رأيك في هذه العبارة؟ أنا أتفق معها؛ فعندما أنظر إلى نفسي، أدرك أن هناك أوقاتاً كثيرة أظهر فيها حماقتي. ومن الأمثلة على ذلك - كما يشير كاتب سفر الأمثال غالباً - أنني كثيراً ما أكشف عن حماقتي من خلال كلامي. فعلى سبيل المثال، يقول سفر الأمثال 10: 19: "كَثْرَةُ الْكَلَامِ لَا تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَمَّا الضَّائِبُ شَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ"؛ ومع ذلك، وبسبب عدم ضبطي لشفتي وكثرة كلامي: 19: 10: كثيراً ما ارتكب خطايا أمام الله والآخرين، كاشفاً بذلك عن حماقتي. وهناك مثال آخر نجده في سفر الأمثال 14: 29: "بَطِيءُ الْعُضْبِ كَثِيرُ الْفَهْمِ، وَقَصِيرُ الرُّوحِ يَرْفَعُ الْحِمَاقَةَ". وعندما أتأمل في هذا التعليم، أدرك أنه ينبغي عليّ أن أكون بطيء

،الغضب؛ إلا أن هناك أوقاتاً يتغلب فيها نفاذ الصبر عليّ، فأفشل في كبح غضبي. وبسبب ارتكابي للخطية ضد الله والآخرين ،كثيراً ما أثبت مدى حماقتي. ونتيجة لذلك، لا أجد ما أقوله أمام ما ورد في سفر الأمثال 12: 23: "الرَّجُلُ الْعَاقِلُ يُخْفِي الْمَعْرِفَةَ ،وَقَلْبُ الْجُهَالِ يُبَادِي بِالْحَمَاقَةِ".

:اليوم، وبينما نركز على النص الوارد في سفر الجامعة 10: 1-4، أود أن نتأمل في الدرس الذي يقدمه الله لنا تحت عنوان دعونا لا نُثبت أننا حمقى". صلاتي هي أن نتقبل هذا الدرس بتواضع، ونطيع كلمة الله، ونتجاوز حياة الأحق - الذي يُظهر" .حماقته باستمرار - لنعيش حياة الحكمة

ما هو الدرس الذي يريد الله أن يوصله إلينا في نص اليوم؟ هناك نقطتان على الأقل

:أولاً، يجب أن نتعلم من هذا النص جوانب حماقتنا التي لا ينبغي أن نكشف عنها أو نُظهرها. ويمكن تلخيص ذلك في أمرين

يجب ألا نكشف عن أدنى قدر من الحمافة (1)

انظر إلى سفر الجامعة 10: 1: "ذُبَابُ الْمَوْتِ يُنِنُّ وَيُفْسِدُ طِيبَ الْعَطَّارِ. حَمَاقَةٌ قَلِيلَةٌ أَوْقَرُ مِنَ الْجُكْمَةِ وَمِنَ الْكَرَامَةِ". إن تصرفاً أحق واحداً من جانبنا يجعل نتانة الحمافة تطفئ على أريج الحكمة (9: 18؛ 10: 1). وخير مثال على ذلك هو الإنسان الأول، آدم؛ فبسبب عصيان رجل واحد -آدم- دخلت الخطيئة إلى العالم، ومن خلال تلك الخطيئة حلّ الموت على البشرية جمعاء -حتى القدر اليسير من الشر يلحق ضرراً جسيماً بالبشرية (بارك يون-سون). لذا، يجب ألا نرتكب أي فعل -مهما كان صغيراً- ينطوي على شر أو حمافة، وألا نستهيئ أبداً بأي مظهر من مظاهر الحمافة، مهما بدا بسيطاً

يجب ألا نتمرد على حاكمنا (2)

لننظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 10: 4: "إِنْ صَعِدَتْ عَلَيْكَ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ فَلَا تَتْرُكْ مَكَانَكَ، لِأَنَّ الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً". يوصينا الملك سليمان بالبقاء في موقعنا حتى عندما يصبّ حاكمٌ صعبُ المراس غضبه علينا. وبعبارة أخرى، حتى لو تعرضنا للظلم على يد حاكم غير عادل، فلا ينبغي لنا التمرد عليه (بارك يون-سون). لماذا علينا فعل ذلك؟ السبب هو أن الهدوء يُسَكِّنُ خطايا عظيمة" (الآية 4). ماذا يعني هذا؟ هنا، يشمل المعنى العبري الأصلي للكلمة المترجمة بـ "الهدوء" (أو) و"التعافي". وهذا يعني أنه حتى لو صبّ حاكم غير—أي الخلو من المرض أو الضعف—الوداعة/السكينة" كلاً من الصحة"

بالامتناع عن التمرد والتحلي بالصبر—عادل غضبه علينا وعاملنا بظلم، فإننا إذا حافظنا على صحتنا الروحية والجسدية فإننا نتجنب ارتكاب خطايا عديدة كان من الممكن أن تقع فيها لولا ذلك (بارك يون-سون). يجب علينا الحفاظ على—والجلد صحتنا الروحية والجسدية وألا نتمرد على رؤسائنا في العمل؛ بل علينا ممارسة الصبر والتحمل. ومهما بلغ ظلم الرئيس، أو

مهما صبَّ علينا من غضب ومعاملة جائرة، فلا ينبغي لنا الانتقام. وبهذه الطريقة، نمنع أنفسنا من ارتكاب خطايا أعظم وأكثر عدداً.

ثانياً وأخيراً، علينا أن نتأمل في الدرس المستفاد من نص اليوم حول كيفية تجنب إظهار — أو إبداء — مثل هذه الحماسة

انظر إلى سفر الجامعة 10: 2: "قَلْبُ الْحَكِيمِ عَنْ يَمِينِهِ، وَقَلْبُ الْجَاهِلِ عَنْ يَسَارِهِ". ماذا يعني هذا؟ إنه يعلمنا أن قلوبنا يجب أن تكون حكيمة، وأن قلب الشخص الحكيم يميل نحو اليمين. بعبارة أخرى، ينبغي أن نمثل قلب الحكيم؛ قلباً يميل إلى اليمين. يذكر أنه في العالم القديم، كانت اليد اليمنى ترمز إلى القوة والشرف، بينما ارتبطت اليد اليسرى (Wiersbe) "القس" و"يرسبي بالضعف والرفض (متى 25: 33، 41). وهكذا، فإن القول بأن قلب الحكيم يقع جهة اليمين يعني أن الحكيم يحرس قلبه بيقظة وقوة. وفي المقابل، فإن القول بأن قلب الجاهل يقع جهة اليسار يعني أنه يفتقر إلى القوة — تماماً كاليد اليسرى — عندما يتعلق الأمر بالسيطرة على قلبه (بارك يون-صن). باختصار، الدرس الموجه إلينا اليوم هو أننا يجب أن نحرس قلوبنا بقوة، تماماً كما يفعل الحكماء. ولهذا السبب يقول كاتب سفر الأمثال: "فَوْقَ كُلِّ تَحَقُّطٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ" (أمثال 4: 23). إذن، كيف يمكننا حراسة قلوبنا بقوة؟

يجب أن نظل يقظين (1)

أيها الأصدقاء، ماذا يحدث للمدينة إذا غلبه النعاس على الحارس الذي يحميها من غزو الأعداء؟ لا بد أنها ستغزى وتُهزم. لذا يجب على الحارس أن يظل مستيقظاً. وبالمثل، يجب أن نظل يقظين روحياً؛ علينا أن نسهر، ونكون رزيين في تفكيرنا، ونرفع صلواتنا إلى الله. وفي صلواتنا، يجب أن نلتمس حماية الله، كما يجب أن نطلب حكمته؛ لأن الله عندما يمنحنا الحكمة، فإننا نكتسب القدرة على حماية قلوبنا وسط الحرب الروحية.

لحماية قلوبنا بفعالية، يجب أن نوجه تحذيرات لأنفسنا (لقلوبنا) مستخدمين كلمة الله (2)

تتمثل مهمة حارس المدينة في النفخ في البوق أو إعطاء إشارة ما لتحذير السكان عند هجوم العدو. وبالمثل، بصفتنا حراساً يتحتم علينا تحذير نفوسنا عندما يشن الشيطان هجوماً —للروح ومؤتمنين على حماية القلب —الذي هو ينبوع الحياة ذاته عليها. فكيف نوجه هذا التحذير؟ علينا أن نحذر نفوسنا مستخدمين كلمة الله. وكما خاطب صاحب المزمور نفسه قائلاً: "لِمَاذَا: أَنْتَ مُنَحْنِيَّةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَتَنَبَّئِينَ فِيَّ؟ ارْجِي إِلَهَ، لِأَنِّي سَأَعُوذُ أَعْمَدُهُ: خَلَّاصَ وَجْهِي وَإِلَهِي" (مزمور 42: 5، 11؛ 43). كذلك ينبغي لنا أن نوجه لأنفسنا كلمات مماثلة وأن نلجأ إلى الله حين يعتري قلوبنا القلق أو اليأس؛ فهذه الطريقة سنتمكن، (5) من حماية قلوبنا بفعالية.

علينا أن نتحلى بالحكمة؛ فالحكماء لا يقتربون من الحماسة بل يناون بأنفسهم عنها (ويرسبي). ويجب علينا الابتعاد حتى عن أبسط مظاهر الحماسة في نظرنا؛ إذ إن مثل هذه التصرفات الحمقاء الصغيرة قد تقودنا إلى ارتكاب خطايا تحجب مجد الله العظيم.

وعلاوة على ذلك، يجب أن نظل ثابتين في مواقعنا ومسؤولياتنا؛ فمهما بلغ ظلم الحاكم —وحتى لو أثار غضبنا أو عاملنا بغير
لا يجوز لنا التمرد عليه. وللحفاظ على هذا الموقف، يتعين علينا حماية قلوبنا بقوة، وأن نظل يقظين ورزيين، نرفع —إنصاف
صلواتنا إلى الله ونذكر أنفسنا بكلمته. لذا، لا ينبغي أن نُظهر أنفسنا بمظهر الحمقى، بل علينا أن نبرهن على أننا حكماء.

!حافظ على هدوءك

4).
:إِنْ صَعِدَتْ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْكَ فَلَا تَتْرُكْ مَكَانَكَ، لِأَنَّ الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً" (سفر الجامعة 10

"بعنوان "قس يواجه أقصى عقوبة بعد توجيه اتهام مباشر له (Yahoo News) "قرأت بالأمس مقالاً على موقع "ياهو نيوز فقد وُجِّه اتهام مباشر لقس سابق يُدعى "جيونغ" (63 عاماً) بتعطيل خدمة عبادة في الكنيسة التي كانت قد فصلته سابقاً؛ حيث قام بالطرق على كرسي باستخدام زجاجة مشروب فارغة وأخذ يرتل الترانيم عبر الميكروفون. نشأ النزاع بسبب فصله في سبتمبر 2001 -وهو قرار اتخذ إثر قيامه بطرد أحد شيوخ الكنيسة دون موافقة الطائفة- وبعد ذلك غادر الطائفة ليؤسس كنيسة جديدة. وتصاعدت التوترات بشأن ملكية الكنيسة عندما أرسلت الطائفة قساً آخر إلى تلك الكنيسة الجديدة، مما أدى إلى وقوع الحادثة المذكورة. وقد حكمت المحكمة على "جيونغ" بالسجن لمدة ثلاث سنوات وأمرت بحبسه فوراً، مشيرةً إلى أنه "على الرغم من كونه قساً وما تقتضيه التعاليم الكتابية بضرورة 'محبة الأعداء'، إلا أن السيد جيونغ لم يُبدِ أي ندم". وأضافت المحكمة لقد سعى وراء مصالح دنيوية بحتة، وقاد بنفسه -وهو القس الذي يُفترض به إرشاد الرعية نحو الصواب- تلك الأعمال" الإجرامية، مما يستوجب فرض عقوبة صارمة". (كما حُكم على مساعد قس وثمانية من المصلين بالسجن لمدة عام أو عامين وجرى توقيفهم أيضاً). إنها حقاً حادثة عبثية وصادمة

الذي تتبعه كنيسةنا؛ فقد انقسمت كنيسة كبيرة تابعة (presbytery) ويبدو أن موقفاً مشابهاً يتكشف حالياً داخل المجمع الكنسي للمجمع إلى فصيلين، وتصاعد النزاع ليتحول إلى معركة قانونية. ورغم محاولات المجمع الكنسي للوساطة وإعادة السلام، إلا أن مجموعة داخل تلك الكنيسة -غير راضية عن إجراءات المجمع- انتهت بها المطاف بالانسحاب من الطائفة. لا أعرف التفاصيل الكاملة، لكنني رأيت تقريراً في صحيفة كورية الأسبوع الماضي يتحدث عن صراع داخلي تحول إلى شجار أججه الغضب، وهو موقف استدعى تدخل الشرطة. إنه أمر مخز حقاً

لماذا يتشاجرون؟ قد تكون هناك أسباب متعددة، لكنني أعتقد أن الغضب هو الذي يوجب نيران الصراع، وغالباً ما يقود الأطراف المعنية إلى أروقة المحاكم. ويقدم لنا النص الكتابي اليوم دروساً عديدة حول كيفية تعاملنا مع الغضب. النقطة الأولى التي يجب مراعاتها هي كيف ينبغي لنا أن ننظر إلى "الحاكم" الغاضب

هنا، قد تشير كلمة "حاكم" إلى ملك، أو -بمعنى أوسع- إلى قائد، أو رئيس في العمل، أو راعٍ للكنيسة، أو زوج يغضب. يذكر سفر الجامعة (10: 3) أن "الحاكم" الغاضب يكشف عن حماقته بسبب افتقاره إلى الحكمة. وينبع هذا النقص في الحكمة من الفشل في السعي وراء كلمة الله وعيش حياة الطاعة لها؛ وهي عملية من شأنها أن توسع قلب الإنسان. وبعبارة أخرى، يسمح مثل هذا الشخص للمشاعر بأن تتغلب على العقل؛ ولأنهم لا يتركون الكلمة توجه مشاعرهم، فإنهم يفتقرون إلى ضبط النفس العاطفي. ونتيجة لذلك، يسارعون إلى تفريغ غضبهم. يقول سفر الأمثال (25: 28): "مَدِينَةٌ مُنْهَدِمَةٌ بِلا سُرٍّ، الرَّجُلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ ضَبْطٌ لِنَفْسِهِ". ويصف الكتاب المقدس هذا الشخص -الذي يفتقر إلى ضبط النفس والحكمة، والذي يستسلم بسهولة للغضب- بأنه أحمق يكشف عن حماقته بنفسه.

النقطة الثانية التي يجب مراعاتها هي كيف ينبغي لنا أن نتصرف في حضرة "حاكم" غاضب.

يقول لنا النص اليوم: "لا تترك مكانك". وهذا يعني أنه مهما بلغ شر "الحاكم" -وحتى لو عوملنا بظلم- فلا يجب علينا أن نقاوم ذلك "الحاكم". ويعني ذلك ألا نرد بغضب عندما يغضب من هو في منصب أعلى منا. ومع ذلك، أعترف بأنني مررت بأوقات كثيرة غضبتُ فيها أنا أيضاً عندما كانت زوجتي غاضبة؛ وهذا يكشف عن حماقتي ويظهر خطيئة عصيان كلمة الله. يأمرنا سفر الجامعة (8: 3) قائلاً: "لَا تَعْجَلْ إِلَى الدَّهَابِ مِنْ وَجْهِهِ [الملك]، وَلَا تَقِفْ فِي أَمْرِ رَدِيءٍ". وقد ضرب داود مثلاً على ذلك؛ فرغم أن الملك الشرير شاول سعى لقتله، إلا أن داود لم ينتقم من شاول لأنه كان يتقي الله. يجب ألا نقاوم "الحاكم" (سواء كان راعياً، أو زوجاً، أو رئيساً في العمل، أو رئيساً للدولة) عندما يتصرف بدافع الغضب.

"النقطة الثالثة والأخيرة التي يجب مراعاتها هي الدرس القيم المتمثل في ضرورة الحفاظ على هدوئنا واتزاننا في حضرة "حاكم"، (التي تعني الاحترام أو الخضوع) في الآية الرابعة *gongsun* غاضب. تستخدم الترجمة الكورية للكتاب المقدس كلمة (NASB) أو "الرزانة/ضبط النفس" (في ترجمة NIV في ترجمة) "بينما تستخدم الترجمات الإنجليزية كلمات مثل "الهدوء". إن نفس الشخص الرزين تشبه المياه الهادئة؛ فمن منظور كتابي، يتمتع هذا الشخص بروح وديعة، وهذا هو جوهر الحكمة. فالشخص الحكيم يعرف كيف يسيطر على غضبه؛ إنه "بطيء الغضب" ومن "يضبط روحه" (أمثال 16: 32). وعلاوة على ذلك، فهو شخص يهدئ غضب "صاحب السلطان"؛ فالشخص الحكيم الرزين يهدئ سخط الغاضب (أمثال 16: 14). كيف يمكن ذلك؟ لقد وجدتُ الإجابة في سفر الأمثال 25: 15: "بَطُولُ الْأُنَاةِ يُقَنِّعُ الرَّئِيسَ، وَاللِّسَانُ اللَّطِيفُ يَكْسِرُ الْعَظْمَ". فالصبر واللسان اللطيف يهدئان غضب الشخص المستشيط غضباً.

نحن محاطون بأشخاص ومواقف تثير الغضب، ونعيش في مجتمع تكون فيه المشاعر دائماً على وشك الانفجار. ولا تقتصر هذه الظاهرة على المجتمع ككل، بل نرى نوبات غضب داخل الكنيسة أيضاً - حتى بين الرعاة. فكيف ينبغي لنا أن نتصرف؟ بما أن الشخص الغاضب يكشف عن حماقته بسبب غياب الحكمة، فلا ينبغي لنا أن نقابل الإساءة بالإساءة؛ بل يجب علينا أن

نحافظ على هدوئنا ونساعد في تهدئة غضبه. ولكن للقيام بذلك، يجب علينا أولاً أن نكون قادرين على السيطرة على غضبنا نحن.

شرُّ مُحدّد

[سفر الجامعة 10: 5-7]

ما نوع الإعلانات التي تشاهدها بكثرة على التلفاز هذه الأيام؟ غالباً ما أرى إعلانات تتعلق بانتخابات التجديد النصفي الأمريكية المقررة في الثاني من نوفمبر. ومن بين هذه الإعلانات الانتخابية، لفتت انتباهي ثلاثة أمور محددة: السباق على مقعد مجلس ويعود اهتمامي بهذا (Proposition 19) "الشيوخ ومنصب حاكم ولاية كاليفورنيا، والأهم من ذلك،" "المقترح رقم 19 المقترح - ليس فقط من خلال متابعة الإعلانات بل الأخبار أيضاً - إلى أنه يتضمن تعديلاً قانونياً مقترحاً بشأن الماريجوانا (القنب)، وهي مادة نصنفها عموماً كمخدر. هنا في كاليفورنيا، حيث أقيم، هناك مساح لتقنين استخدام الماريجوانا لأغراض ترفيهية وبكميات محدودة؛ وتشير التقارير الإخبارية الأخيرة إلى أن نسبة التأييد للتقنين تبلغ حوالي 40%، بينما تبلغ نسبة المعارضة حوالي 44%. وإلى جانب "المقترح رقم 19"، فإن العيش في كاليفورنيا يدفعني بطبيعة الحال إلى متابعة الحملات الانتخابية لمجلس الشيوخ ومنصب الحاكم. وعند مشاهدة الإعلانات التلفزيونية للمرشحين الجمهوريين والديمقراطيين على حد سواء، يرى المرء قدراً كبيراً من تبادل الاتهامات وحملات التشويه المتبادل. إنني أطرح هذا الموضوع لأنني أؤمن بأننا، بصفتنا سكاناً لولاية كاليفورنيا، ينبغي أن نعرف من هم القادة الذين سيقودون ولايتنا نحو المستقبل. وأتبنى هذا الرأي لأن تعيين قادة صالحين - سواء للأمة أو للولاية - أمر بالغ الأهمية. وبصفتي راعياً للكنيسة، أعتبر تعيين مسؤولي الكنيسة في مناصب قيادية أمراً جوهرياً؛ وبالتالي، لا يسعني إلا أن أولي اهتماماً كبيراً لعملية اختيار القادة.

إذن، ما نوع القادة الذين ينبغي للكنيسة تعيينهم؟ إن نوع القائد الذي تسعى كنيستنا لتعيينه هو القائد الذي لا يتمحور حول الذات أو الناس، بل حول المسيح. وهنا، تشير عبارة "التمحور حول المسيح" إلى القائد الذي يقبل يسوع المسيح رباً ويطيع كلمته. تتمثل رؤية كنيستنا في إعداد قادة مطيعين، يؤدون مهامهم بتواضع وأمانة. ومع ذلك، فإن أحد التحديات التي تواجه تحقيق هذه الرؤية هو غياب التحول الحقيقي في الشخصية والحياة. ومن وجهة نظري الشخصية، فإن الكنائس اليوم تعين الأفراد في مناصب قيادية بسهولة مفرطة، رغم افتقارهم إلى هذا التحول. وبعبارة أخرى، فإن الكنيسة - من خلال تعيين أشخاص غير مؤهلين بشكل عشوائي في مناصب مثل الشيوخ والشمامسة المكرسين ورئيسات الشمامسات - تُخلُ بنظامها وسلامها الداخلي أي هيئة القيادة - (Session) "أعتقد أن السبب الجذري لهذا الوضع الآثم داخل كنائسنا المشيخية يكمن في "مجلس الكنيسة

الأساسية المكونة من الرعاة والشيوخ. ويقع اللوم بشكل خاص على الرعاة أمثالي، والسبب الكامن وراء ذلك هو افتقارنا إلى الحكمة.

في نص اليوم، وتحديدًا في سفر الجامعة 10: 5، يقول الملك سليمان: "هُؤَدَا شَرُّ رَأْيَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ: كَأَنَّهُ سَهْوٌ صَادِرٌ مِنْ قَبْلِ الْمُتَسَلِّطِ". وفيما يتعلق بعبارة "شر رأيت"، فقد تأملنا سابقاً في شر محدد رصده سليمان في هذا العالم، كما ورد في سفر الجامعة 6: 1. يتعلق ذلك الشر بعبء ثقيل يقع على كاهل الناس: فقد ينال المرء ثروة وغنى وكرامة من الله - بحيث لا ينقصه شيء مما تشتهي نفسه - ومع ذلك لا يُمنح القدرة على التمتع الفعلي بها، مهما طال به العمر. بل إن الله يمنح التمتع بهذه الأمور - لأولئك الذين يرضونه. وقبل رصد هذا الشر تحديداً، كان الملك سليمان قد تحدث عن "شر عظيم" في سفر الجامعة 5: 13 وهذا "الشر العظيم" ليس سوى قيام المالك باكتناز الثروة بما يضر نفسه (الآية 13). وعلاوة على ذلك، لوحظ أن المالك 20. كان يحرس ثروته بطريقة ألحقت الضرر به، لينتهي به المطاف بمواجهة كارثة وفقدان كل شيء، دون أن يترك شيئاً يورثه لأبنائه. يا لها من مأساة مريعة! تبدأ الحياة وتنتهي واليدان فارغتان؛ فلماذا التمسك بالثروة بشدة لدرجة أنها تلحق الضرر بالنفس؟ وما الفائدة إذا حلت الكارثة في النهاية وضاعت تلك الثروة بأكملها؟ ألا نشهد نحن أيضاً هذا النوع من الشر العظيم ونحن نعيش في هذا العالم؟

ما هو ذلك الأمر السيئ الذي لاحظته الملك سليمان في هذا العالم؟ إنه خطأ يصدر عن الحاكم (10: 5). وعند الحديث عن: "خطأ" الحاكم هنا، يمكننا العودة إلى الآية 4 من الإصحاح العاشر في سفر الجامعة، التي سبق وتأملنا فيها. لنعد إلى تلك الآية: "إِنْ صَعِدَتْ عَلَيْكَ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ فَلَا تَتْرُكْ مَكَانَكَ، لِأَنَّ الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً". يوضح الملك سليمان أنه حتى لو عاملنا حاكم ظالم معاملةً غير عادلة وأثار غضبنا، فيجب علينا البقاء في مواقعنا بدلاً من التمرد عليه. لماذا؟ لأننا بمعارضة في حق الله. وفي نص اليوم، الجامعة 10: 5، يتحدث الملك سليمان عن -أي خطيئة أكبر- الحاكم قد نرتكب خطأً أعظم الخطأ" مرة أخرى. خطأ من هذا؟ إنه خطأ ينبع من الحاكم. فما هو هذا الخطأ الذي يرتكبه الحاكم إذن؟ إنه ليس سوى قرار" نابع من حماقة الحاكم نفسه. ونرى مثلاً على مثل هذا القرار في الآية 6: "الْحَمَاقَةُ وَضِعَتْ فِي مَرَاتِبٍ عَالِيَةٍ، وَالْأَغْنِيَاءُ يَجْلِسُونَ فِي الْوَضَاعَةِ". ماذا يعني هذا؟ يعني أن الحاكم الأحق يوضع الحمقى في مناصب أو مراكز رفيعة، بينما يضع ورغم أننا قد نربط -الأغنياء" في مناصب أو مراكز متدنية (ويرسبي). وفيما يتعلق بذكر وضع "الأغنياء" في مراكز متدنية" إلا أن مصطلح "الأغنياء" هنا يشير إلى الحكماء (والفورد). تأمل في -حالياً بين الثراء والمكانة العالية، حتى داخل الكنيسة سفر الأمثال 14: 24: "تَاجُ الْحُكَمَاءِ غِنَاهُمْ، أَمَّا حَمَاقَةُ الْجُهَالِ فَهِيَ حَمَاقَةٌ". حين أتأمل في هذا القرار الأحق الذي يتخذه، بتعيين حمقى في مناصب عليا -مدفوعاً بحماقته- شخص ذو سلطة، أتساءل عما سيحل بأمة ما لو قام رئيس غير مؤهل بينما يُنزل الحكماء إلى مناصب متدنية. وينطبق الأمر ذاته على الشركات؛ فالرئيس التنفيذي غير المؤهل لا يكفي بمعاملة بوضع الحمقى في مناصب عليا والحكماء في مناصب متدنية -بسبب حماقته- الموظفين بظلم وإثارة غضبهم، بل يقوم أيضاً وكذلك الحال بالنسبة للكنيسة. لا سيما في ظل الواقع الراهن الذي تتسم فيه عمليات التعيين في الكنيسة غالباً بالعشوائية، أجد

نفسى أتأمل في سياقنا المشيخي: هل تفتقر مجالس الكنيسة أحياناً إلى الحكمة — وتتصرف بحماقة — حين تفشل في إسناد أدوار هامة لأفراد مؤهلين، وتوكلها بدلاً من ذلك إلى أشخاص يفتقرون تماماً للمؤهلات المطلوبة، وذلك بناءً على مبررات شتى؟ على سبيل المثال، ينبغي إسناد المسؤوليات الكنسية الجسيمة إلى أفراد تراهم القيادة — أي الرعاة والشيوخ — جديرين بتزكية الجماعة ومحل احترام داخل الكنيسة (راجع رومية 16: 1-6). ومع ذلك، أرى أن الكنيسة تحجب مجد الله بمنح ألقاب مثل "شيخ" أو "شماس مرسّم" أو "شماسة أولى" بلا مبالاة لأشخاص يفتقرون إلى المؤهلات اللازمة. لماذا تستمر هذه الأمور في الحدوث بلا انقطاع داخل الكنيسة؟ هل تدرك السبب؟ رغم أن الأمر يعود بالتأكيد إلى حماقة قادة الكنيسة، إلا أنه ينبع تحديداً من "نزوات صاحب السلطة" (كما يرى وولبولد). ولناخذ الكنيسة مثلاً: قد يتصرف راعٍ مثلي بنزوات شخصية، فيفشل في إسناد المسؤوليات الجوهرية لأفراد حكماء ومؤهلين، ويوكلها بدلاً من ذلك إلى الحمقى. وغالباً ما تتبع حماقة الحاكم من كونه مفرطاً في الانقياد أو سريع التأثر بآراء الآخرين (كما يرى ويرسبي). فعندما يكون الحاكم منقاداً للغاية ويفتقر إلى الشخصية القوية والشجاعة اللازمة، قد يتخذ قرارات معكوسة تماماً بشأن التعيينات: فيضع الحمقى في مناصب عليا والحكماء في مناصب دنيا. وفي سياق الكنيسة، قد يحدث هذا عندما تفتقر القيادة — كالراعي ومجلس الشيوخ — إلى الشجاعة لفعل الصواب، نظراً لسهولة تأثرهم بآراء الآخرين.

ما هي نتيجة ذلك؟ بعبارة أخرى، ماذا يحدث عندما يفشل قائد الأمة — متصرفاً بحماقة، سواء بدافع النزوات الشخصية أو الانقياد المفرط — في ترفيع الحكماء إلى مناصب عليا، ويمنح تلك المناصب بدلاً من ذلك للحمقى؟ انظر إلى نص اليوم في سفر الجامعة 10: 7: "رَأَيْتُ عَبِيداً عَلَى خَيْلٍ، وَرُؤَسَاءَ مَاشِيَيْنَ عَلَى الْأَرْضِ كَعَبِيدٍ". عندما تؤدي تصرفات الحاكم الحمقاء إلى مثل هذا الوضع، ينهار نظام الأمة، ويتلاشى السلام، وتعجز البلاد عن الصمود والثبات. تخيل فقط: ما الذي يحل بأمة الذين كان ينبغي أن يكونوا هم من يمتطون الخيول ويتلقون — يمتطي فيها الخدم الخيول — ويحظون بالاحترام، بينما يجبر الأمراء على السير على الأقدام مثل الخدم؟ أعتقد أن هذا المبدأ ينطبق بالقدر نفسه على الأسرة ومكان العمل والكنيسة. على — التكريم سبيل المثال، لننظر إلى أسرة يكون فيها الزوج هو رب الأسرة، ومع ذلك تتصرف الزوجة وكأنها هي الرئيسة؛ فماذا يحل بنظام تلك الأسرة؟ يوجه الكتاب المقدس الزوجات بوضوح لاحترام أزواجهن والخضوع لهم، ويوجه الأزواج بمحبة زوجاتهم؛ بل وخلطت بين الأدوار ووهمت نفسها بأنها ربة الأسرة بينما تطالب هي — ولكن، إذا أخفقت الزوجة في احترام زوجها فماذا يحل بتلك الأسرة؟ وينطبق الأمر ذاته على مكان العمل. تتكون الشركة من رئيس وموظفين؛ فلو جلس موظف — بالاحترام في كرسي الرئيس محظياً بكل الاحترام، بينما كان الرئيس يؤدي مهام الموظف، فماذا سيحل بتلك الشركة؟ ولا تختلف الكنيسة عن ذلك؛ ففي ظل وجود الرعاة والشيوخ والشماسة المرسمين، ماذا سيحل بالكنيسة إذا أخفق الأفراد في إدراك مواقعهم وأدوارهم الصحيحة، وتجاوزوا الحدود في أفكارهم وتصرفاتهم؟ إن مثل هذه الأسر وأماكن العمل والكنائس تفقد نظامها وسلامها، ولا يمكنها الصمود والثبات. وهذا هو بالضبط نوع الخطأ الذي ينجم عن وجود قائد أحمق. هل ترى مثل هذه الأخطاء لدى راعي كنيستك، أو رئيس شركتك، أو الزوج (أو الأب) الذي يرأس أسرته؟

أثناء تأملي في هذا النص، سألت نفسي: "لماذا يسمح الله لشعب أمة ما بتعيين رئيس أحمق كهذا؟" والسبب هو أن الله قد قرر دينونة الأمة من خلال أخطاء ذلك القائد الأحمق (بارك يون-سون). وبعبارة أخرى، يدين الله الأمة أو الكنيسة أو الأسرة من خلال رئيس أحمق، أو راعٍ أحمق، أو رب أسرة أحمق، على التوالي. وتحديداً، يودب الله هذه الكيانات بالسماح لشخص غير مؤهل بشغل منصب ذي سلطة عليا، مما يؤدي إلى زعزعة نظام وسلام الأمة أو الكنيسة أو الأسرة. فكيف ينبغي لنا إذن أن نستجيب عندما ندرك هذه الحقيقة؟ وبمعنى آخر، كيف ينبغي للقادة الذين يديرون الأسرة أو الكنيسة أو الأمة أن يسلخوا؟ عليهم أن ينبذوا حماقتهم وأن يلتمسوا الحكمة من الله، فيفكروا ويتصرفوا بحكمة. وعلى وجه الخصوص، ينبغي للقادة أن يسندوا المناصب المهمة إلى الحكماء بدلاً من تعيين الحمقى فيها بتهور، وأن يحرصوا على منح التقدير اللائق لمن يستحقونه. وحين يتحقق ذلك، ستثبت الأمة والكنيسة ومكان العمل في الرب، وتنعم بالسلام الذي يمنحه. وإنني أصلي لكي تصبح عائلاتنا وكنائسنا. وهذه الأمة وشعبها مجتمعاً يتسم بهذه الصفات.

الحكمة سبيل للنجاح

[سفر الجامعة 10: 8-11]

ما هو مفهومك لـ "النجاح"؟ هل تعتقد أن "النجاح" بمفهوم العالم هو ذاته "النجاح" الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس؟ أم تظن أن هناك اختلافاً بينهما؟ وإذا كان هناك اختلاف، فما هي أوجه هذا الاختلاف في رأيك؟ هل سبق أن طرحت على نفسك هذه الأسئلة؟ شخصياً، أؤمن بأن "النجاح" الذي يتحدث عنه العالم يختلف عن "النجاح" الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس. غير أن المشكلة تكمن في أننا نحن المسيحيين - قد نكون منبهرين أو منقادين للنظرة العالمية للنجاح بدلاً من النظرة الكتابية. تتضمن للمؤلف توني نيلسون الفقرة التالية: "إن (Succeed by God's Standards) مقدمة كتاب "النجاح وفقاً لمقاييس الله مجتمعنا الذي يتمحور حول الإنسان مهووس بالنجاح؛ فالجميع يتحدثون عنه ويسعون إليه. ومع ذلك، لماذا يعاني الكثيرون ويعيشون مشاعر الذنب والندم بعد تجرع مرارة الفشل؟ السبب هو أنهم لا يدركون الجوهر الحقيقي للنجاح كما يصفه الكتاب المقدس. فالنجاح الحقيقي ليس هو الثروة، ولا يقتصر على عيش حياة سعيدة. النجاح ليس شيئاً نحققه، بل هو حقيقة هويتنا وجوهر وجودنا. النجاح لا يتعلق بإعجاب الناس بنا، بل برضا الله وسروره بنا" (الإنترنت). هل يبدو هذا الكلام منطقياً بالنسبة لك؟ هل تدرك الجوهر الحقيقي للنجاح كما يعرفه الكتاب المقدس؟ يجادل توني نيلسون في كتابه بأنه - رغم تعرضنا المستمر للنظرة العالمية للنجاح التي تربطه بالمال والمكانة والرفعة والرخاء - يجب علينا تبني نظرة كتابية للنجاح تستند إلى مقاييس الله. ويمضي الكاتب لي طرح اثني عشر مبدأ للنجاح الكتابي؛ وفيما يتعلق بالمفتاح الأول من هذه المفاتيح الاثني عشر، يقول أولاً، يبدأ المفتاح الكتابي للنجاح بتصحيح منظورنا. فنقطة الانطلاق نحو النجاح هي مخافة الله واكتساب الحكمة. ويكمن أساس النجاح في الاعتماد الكلي والعميق على حضور الله، لدرجة أن القناعة باستحالة الاستغناء عنه تصبح هي المحرك لحياتنا ولأننا ندرك طبيعة الله وسيادته، فإننا لا نخطو خطوة واحدة في الحياة معتمدين على أنفسنا" (الإنترنت). ما رأيك في هذا القول؟ وهل تتفق معه؟ تكشف قصة يوسف في الإصحاح التاسع والثلاثين من سفر التكوين أن النظرة الكتابية للنجاح تتضمن المصاعب والمعاناة. فالنجاح الكتابي الحقيقي هو ما يصفه الكتاب المقدس بـ "الازدهار" (أو "النجاح")، وجوهر هذا الازدهار هو حضور الله معنا. ويُعد يوسف مثلاً بارزاً على ذلك؛ إذ يخبرنا سفر التكوين (39): "وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلًا نَاجِحًا..." (العدد 2)؛ "وَرَأَى سَيِّدُهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُهُ الرَّبُّ يُنْجِيهِ بِيَدِهِ" (العدد 3)؛ "وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا، وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ" (العدد 21)؛ "...لَأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِيهِ" (العدد 23) هذا هو سر النجاح (أو الازدهار) الحقيقي لنا نحن المسيحيين؛ فيما أن الرب - عمانوئيل - معنا، يمكننا التمتع ببركة. (23)

النجاح (الازدهار) حتى في هذا العالم. ولهذا السبب صلى صاحب المزمور إلى الله قائلاً: "يَا رَبُّ، خَلِّصْ الآنَ. يَا رَبُّ أَنْجِ الآنَ" (مزمور 118: 25). وفي النصف الثاني من الآية 10 من الإصحاح العاشر لسفر الجامعة - وهو النص الذي نتأمله اليوم - يقرر الملك سليمان حقيقة مفادها: "الحكمة تحقق النجاح". فما هي هذه الحكمة التي تقود إلى النجاح؟ إنها الحكمة المطبقة في حياتنا اليومية؛ ففي الآيات من 8 إلى 11 من الإصحاح العاشر لسفر الجامعة، يسلط الملك سليمان الضوء على جانبين محددين منها:

أولاً: الحكمة التي تقود إلى النجاح تحمينا من الخطر.

انظر إلى الآيات 8 و9 من الإصحاح العاشر لسفر الجامعة: "مَنْ يَخْفَرُ خُفْرَةً يَقَعُ فِيهَا، وَمَنْ يَنْقُضُ جِدَاراً تَلْدَعُهُ الْحَيَّةُ. مَنْ يَقْلَعُ جِجَارَةً يَتَأَدَّى بِهَا، وَمَنْ يَشُقُّ حَطَباً يَخْطُرُ بِهِ". إن العالم الذي نعيش فيه مليء بالمخاطر؛ فهناك عوامل تحيط بنا يمكن أن توقعنا في المهالك. وأحد هذه المخاطر ينشأ عندما يقوم أولئك الذين يضمرون لنا الشر بحفر فخاخ للإيقاع بنا. لقد اختبر صاحب المزمور هذا الأمر وكتب قائلاً: "أخفى المتكبرون لي فخاً وحبالاً، وبسطوا شبكة بجانب الطريق، ونصبوا لي، أشراكاً" (مزمور 140: 5). وبالفعل، ينصب المتكبرون الفخاخ والحبال والشباك والأشراك لإيذائنا. ومن بين هذه المخاطر أجد التحذير الوارد في سفر الأمثال 23: 27 مثيراً للقلق بشكل خاص: "لأن الزانية هوة عميقة، والمرأة الخائنة بئر ضيقة". إنه حماقتنا نحن إن فخ الزانية خطير للغاية لأن الكثير من المسيحيين يقعون فيه ويخطئون في حق الله. فما هو السبب الجذري؟ (أمثال 7: 7). وبسبب حماقتنا، عندما تحفر الزانية حفرة وتغويينا بكلمات معسولة، فإننا نسير - مثل ثور يُقاد إلى الذبح - مباشرة نحو قيود العقاب (الآيات 21-22). كيف ينبغي لنا أن نواجه واقعاً كهذا؟ في سفر الجامعة 8: 9-10، يتحدث الملك سليمان عن حفر الحفر، وهدم الجدران، واقتلاع الحجارة، وشق الخشب؛ وتصف هذه الأفعال النوايا المدمرة لأولئك الذين يضمرون لنا الشر - وهي أفعال يمكن أن تزعج بنا بسهولة في الخطر. ومع وجود مثل هذه المخاطر المترتبة بنا من كل جانب، والساعية لإسقاطنا، فماذا علينا أن نفعل؟ وكيف ينبغي أن نتصرف عندما يقوم من يريدون إيذاءنا بحفر الحفر وهدم الجدران واقتلاع الحجارة وشق الخشب لتعريضنا للخطر؟ يجب علينا أن نصرخ إلى الله. انظر إلى مزمور 9: 141: "احفظني من الفخاخ التي نصبوها لي، ومن أشراك فاعلي الشر". ومثل صاحب المزمور، يجب أن نتضرع إلى الله طلباً للنجاة. يجب أن نصلي لكي ينفذنا الله من الفخاخ التي ينصبها من يريدون إيذاءنا. وعلاوة على ذلك، يجب أن نتخلص من حماقتنا ونطلب الحكمة من الله؛ فعندما ننال حكمة الله، نكتسب القدرة على الإفلات من الفخاخ التي ينصبها الساعون لإيذاءنا. تأمل في الآيتين أمثال 13: 14 و2: 16: "تعليم الحكيم ينبوع حياة، يصرف الإنسان عن فخاخ الموت" (13: 14). "الحكمة تتجيك أيضاً من المرأة الزانية من المرأة المنحرفة بكلماتها المغوية" (2: 16).

ثانياً وأخيراً، تتضمن الحكمة التي تقود إلى النجاح استعداداً دقيقاً ومسبقاً.

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 10: 10-11: "إِذَا كَلَّتِ الْحَدِيدَةُ وَلَمْ يُسَنَّ حَدُّهَا، وَجَبَ بَذْلُ مَزِيدٍ مِنَ الْقُوَّةِ؛ لَكِنَّ الْحِكْمَةَ تَجْلِبُ النَّجَاحَ. وَإِذَا لَدَغَتِ الْحَيَّةُ قَبْلَ أَنْ تُسَخَّرَ، فَلَا فَايِدَةَ مِنْ رَاقِيهَا". والرسالة هنا هي أنه لكي ينجح المرء في أي مسعى

عليه أن يستعد له جيداً مسبقاً؛ فأى عمل يفتقر إلى التخطيط والاستعداد محكوم عليه بالفشل (بارك يون-صن). وهنا، يورد الملك سليمان مثالين:

المثال الأول هو أنه إذا كانت السكين غير حادة (ثلمة)، فإن استخدامها يتطلب حتماً جهداً أكبر (1).

ماذا يعني هذا؟ يعني أن شحذ السكين مسبقاً يقلل من الجهد المطلوب. ثمة شعار شهير يقول: "لا تعمل بجهد أكبر، بل اعمل بذكاء أكبر!" (ويرسبي). بعبارة أخرى، ينصحن الشعار بالعمل بحكمة بدلاً من جعل المهمة صعبة بلا داعٍ. غالباً ما نتعامل مع أعمالنا بطريقة بدائية أو غير حكيمة، بينما نحتاج إلى العمل بذكاء؛ فالشخص الحكيم يعمل بذكاء. ومثل السكين المشحودة جيداً، ينجز الشخص الحكيم المهام بفعالية مع الحفاظ على طاقته وتجنب الحاجة إلى بذل جهد مفرط.

المثال الثاني يتعلق بمروض الثعابين الذي يجب عليه أولاً استخدام تقنياته الخاصة عند التعامل مع الثعبان (2).

ماذا يعني هذا؟ يعني أن مروض الثعابين الحكيم يجب أن يتقن الأساليب والمهارات اللازمة قبل محاولة التعامل مع الثعبان. يتحدث إنجيل لوقا (الإصحاح 14، الآية 28) في الكتاب المقدس عن "تكلفة التلمذة": "مَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَنِي بُرْجاً، لَا يَجْلِسْ أَوَّلًا وَيَحْسِبِ النَّفَقَةَ، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟". ما المغزى هنا؟ بعبارة معاصرة، قبل تشييد مبنى، يجب علينا إعداد ميزانية لتحديد التكلفة؛ إذ نحتاج إلى الجلوس وحساب النفقات ومقارنتها بالأموال التي نمتلكها حالياً. وكما يجب على المرء حساب تكاليف البناء بدقة مسبقاً، يعلمنا يسوع أننا يجب أن نكون مستعدين تماماً إذا أردنا أن نصبح تلاميذه. بعبارة أخرى، يجب علينا توقع التضحيات التي تتطلبها متابعة يسوع وإعداد قلوبنا لذلك. كيف نعد قلوبنا؟ بصفتنا تلاميذ ليسوع، يجب أن نعقد العزم في داخلنا على تقديم التضحيات اللازمة؛ أي يجب أن نتبع يسوع بحياتنا بأكملها. حالياً، يجري بناء كنيسة صغيرة وروضة أطفال في مدينة "ناميانجو" بكوريا. ولسبب ما، تبادر إلى ذهني ذكرى الكنيسة التي تُبنى هناك بينما كنت أتأمل في (Prepared) "فكرة أن الحكمة -التي تعد مفتاحاً للنجاح- تتطلب استعداداً واسع النطاق. واسم تلك الكنيسة هو "الكنيسة المستعدة علاوة على ذلك، فإن راعي تلك الكنيسة صديق نشأ معه؛ فقد ارتدنا الكنيسة نفسها التي خدم فيها والذي كراع (Church). لمدة أحد عشر عاماً تقريباً، بدءاً من الوقت الذي كنت فيه في عامي الأول. عندما أنظر إلى طلبات الصلاة التي شاركني إياها مثل "أرسل عمالاً مستعدين" أو "أقم عمالاً مثل جنود جدعون الثلاثمائة المستعدين" — ألاحظ أن عبارة "مستعد..." تظهر — في جميعها تقريباً. وخلال فترة تفرغي الأخيرة، زرت موقع البناء بصحبة صديقي (الراعي) وراعٍ متقاعد كان صديقاً لوالدي؛ فدخلنا معاً مبنى الكنيسة غير المكتمل ورفعنا صلواتنا إلى الله. وعلمت من راعٍ آخر عن الطرق المتنوعة التي كان الله يُعِدُّ بها صديقي على مر السنين، وقد عزز سماع ذلك قناعتني بأن الله يُعِدُّ حقاً الخدام الذين ينوي استخدامهم. إنني أؤمن بأن الخادم المستعد جميل، والعامل المستعد ثمين. يا أصدقاء، الحكماء يستعدون بإتقان، والله يمنح النجاح للحكماء الذين أحسنوا الاستعداد.

في الآونة الأخيرة، دار نقاش واسع في المجتمع المسيحي الكوري حول راعٍ قاد خدمة الشباب بنجاح لكنه تعثر لاحقاً؛ حيث نُشرت على الإنترنت رسالة اعتذار يعترف فيها بخطئه. وخلال فترة تفرغي في كوريا، سمعت من أحد الشباب أن هذا الراعي

كان يسعى وراء "عقلية النجاح" (أو هوس النجاح). ويبدو أن منتقديه يعتقدون أنه كان يلاحق شكلاً دنيوياً من الخدمة التي تتمحور حول النجاح. لم أكن قد فكرت في الأمر بتلك الطريقة من قبل، ولكن بعد سماع مثل هذه التعليقات مباشرة من الشباب وأفراد الرعية البالغين، بدأت أتساءل: "هل هذا هو الحال حقاً؟". ثم، عندما اندلعت فضيحة السلوك الجنسي غير اللائق المتعلقة بذلك الراعي، اهتممت بالقصة وقرأت مقالات وتعليقات الناس على الإنترنت، مما أثار في نفسي أفكاراً شتى. وبينما كنت أعدّ رسالة اليوم في خضم هذه الأحداث، لفتت انتباهي حقيقة المهارة الأولى من مهارات توني نيلسون الاثنتي عشرة للنجاح الكتابي نقطة البداية للنجاح هي مخافة الله واكتساب الحكمة". وأنا أؤمن بأن هذا لا ينطبق فقط على ذلك الراعي، بل عليّ وعلى جميعكم وعلى كل مسيحي؛ فنقطة البداية للنجاح هي مخافة الله واكتساب الحكمة. والسبب هو -كما ورد في نص اليوم من سفر الجامعة 10: 8-11- أن "الحكمة تجلب النجاح" (الجامعة 10: 8-10). وعلينا أيضاً أن ندرك حقيقة أن الحكمة التي تقود إلى النجاح تحمي من الخطر. إن الحكمة التي يمنحنا إياها الله هي التي تقينا من مكائد الشيطان ومن مغريات هذا العالم وفخاخه الكثيرة. وعلاوة على ذلك، علينا أن ندرك أن الحكمة المؤدية إلى النجاح تتطلب استعداداً مسبقاً وشاملاً؛ فعلى سبيل المثال، إذا لم نكن مستعدين، فإننا كمسيحيين قد نقع في فخ الكبرياء عند نيل شهرة واسعة، أو رؤية كنائسنا تنمو هائلاً، أو عند اكتساب الثروة؛ وغالباً ما تقودنا هذه الكبرياء إلى فخاخ ينصبها الشيطان، مما يدفعنا لارتكاب الخطيئة في حق الله. وحين أرى مسيحيين يقعون في هذه الفخاخ ويرتكبون الخطايا، أرى بوضوح أن الجانب الذي افترقوا فيه إلى الاستعداد هو "شخصيتهم"؛ فمهما — بلغت المعرفة الكتابية أو التدريب اللاهوتي أو المهارة المهنية لدى المرء، فإن افتقاره إلى شخصية تشبه شخصية يسوع وتحديد شخصيته تتسم بالتواضع — يجعله عرضة للسقوط في التجربة وارتكاب الخطيئة ضد الله. لذا، يحذوني الأمل بأن ننقش جميعاً في قلوبنا الرسالة التي يوجهها إلينا الملك سليمان اليوم — "الحكمة نافعة للإرشاد" — وأن نعيش بحكمة لمجد الله ونحن نطلب منه تلك الحكمة التي تقودنا إلى النجاح الحقيقي.

شفتا الجاهل

[سفر الجامعة 10: 12-15]

هل تعلم شيئاً عن "القوة المذهلة والكامنة في الكلمات"؟ لقد صادفتُ مقالاً على الإنترنت يتحدث عن حقيقة أننا نتحدث باستمرار منذ الولادة وحتى الموت؛ وقد أشار المقال إلى أنه تماماً كما يتحول الحجر الخشن إلى ماسة بفضل الصقل والتهذيب، فإن كلماتنا عندما تُهذَّبها وننتقيها بعناية- يمكن أن تفوح منها رائحة حياة تتألق كالجواهر. وإليك بعض الاقتراحات التي وردت في ذلك- المقال: (1) "لا تتحدث بكل ما يخطر ببالك؛ فحتى لو انتقيت كلماتك بعناية -وكأنك تمررها عبر مصفاة- فلا بد أن تقع في بعض الأخطاء." (2) "للکلمات مذاق؛ تجنّب الكلمات التي تترك طعماً سيئاً في الفم، وبدلاً من ذلك، انطق بكلمات مبهجة وعذبة." (3) "أكثر من استخدام كلمات الثناء والامتنان والمحبة؛ فحينها سينجذب الناس إليك بشكل طبيعي." (4) "الجراح التي تسببها الكلمات قد تدوم مدى الحياة؛ إذ لا توجد ممحاة للكلمات، لذا تكلم بحذر." (5) "الكلمات تشبه البذور؛ ففكر ملياً في نوع البذور التي تزرعها." وماذا عنك أنت؟ كيف تتحدث؟ هل تُمجّد الله بشفاها -أنا وأنت- أم أننا نحجب مجده؟

"في نص اليوم -سفر الجامعة 10: 12-15- يتحدث الملك سليمان عن شفتي الجاهل: "شفتا الجاهل" (العدد 12)، و"كلام فمه (العدد 13)، و"الجاهل يُكثّر الكلام" (العدد 14). وهو يحدد أربع سمات لكلام الجاهل. فما هي هذه السمات الأربع؟

أولاً، شفتا الجاهل تجلبان الضرر لصاحبهما. انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 10: 12: "كَلِمَاتُ فَمِ الْحَكِيمِ نِعْمَةٌ، وَشَفَتَا الْجَاهِلِ تَبْتَلِغَانِهِ". يوضح الملك سليمان أنه في حين أن كلمات الحكيم تتسم بالنعمة واللفظ، فإن شفتي الجاهل تبتلعانه (أي تدمرانه). وهنا، تعني عبارة "ابتلاع الذات" إلحاق الضرر بالنفس؛ وبعبارة أخرى، فإن شفتي الجاهل تجلبان الأذى عليه. كيف تسببان الضرر؟ وكيف يؤذي الجاهل نفسه بشفتيه؟ تأمل في سفر الأمثال 32: 10: "شَفَتَا الصَّادِقِ تَعْرِفَانِ الْمَرْضِيَّ، وَأَمَّا فَمُ الْأَشْرَارِ فَمَمُوجٌ". ولأن الحكماء يعرفون كيف يُرضون الآخرين، فإنهم ينطقون بـ "كَلِمَاتٍ مَقُولَةٍ فِي مَحَلِّهَا" (أمثال 25: 11) أما الجاهل، فيستخدم شفتيه لإرضاء نفسه لا الآخرين؛ إذ يتكلم بتهور ودون مراعاة للسامع، ولا يبالي بما إذا كان كلامه. (11) يسبب أذى للغير. وبفعله هذا، يجرح الجاهل نفسه ويلحق الضرر بها في نهاية المطاف. وفيما يتعلق بالشفاة التي تؤذي الآخرين يقول الكتاب المقدس: "مِثْلُ مِقْمَعَةٍ وَسَيْفٍ حَادٍّ، هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَى قَرِيبِهِ شَهَادَةً —وتؤذي صاحبها أيضاً— زُورٍ" (أمثال 25: 18). يصف كاتب سفر الأمثال الشفاة التي تشهد زوراً على القريب بأنها تشبه المقمعة (الهراوة) والسيف

والسهم الحاد. وشفقتا الجاهل هما كذلك تماماً: مقمعة وسيف وسهم حاد، قادرة على إيذاء الآخرين وجرحهم بل وتدميرهم. وعلاوة على ذلك، يصف الرسول يعقوب اللسان بأنه ليس فقط "ناراً" و"عالم الإثم"، بل أيضاً "شر لا يُضبط، مملوء سماً مميتاً" (يعقوب إن اللسان أمر مخيف حقاً؛ ولسان الجاهل محفوف بالمخاطر، بل هو خطير للغاية. لذا، يجب علينا أن نحترس من (8: 5-3: 3). لسان الجاهل الذي يجلب الضرر لصاحبه.

ثانياً، تنتقل شفقتا الجاهل من سيء إلى أسوأ

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 10: 13: "ابْتِذَاءُ كَلَامٍ فِيهِ حَمَاقَةٌ، وَأَخِرُ كَلَامِهِ هَذْيَانٌ رَدِيٌّ". لا بد أن يضر الجاهل بشفتيه ليس الآخرين فحسب، بل نفسه أيضاً، لمجرد كونه جاهلاً. فبطبيعته، لا يسع الجاهل إلا أن يتكلم بحماقة، ولهذا السبب يقرر الملك سليمان أن بداية كلام الجاهل هي حماقة. وإذا كانت البداية حماقة، فما هي النهاية؟ يقول الملك سليمان إن النهاية هي هذيان رديء" (أو جنون مطبق). ماذا يعني هذا؟ يعني أن خاتمة كلام الجاهل هي سلوك شرير ومجنون. فغالباً ما يتكلم الجهلاء بكلام لا معنى له؛ إذ يبدؤون بقول أشياء تخالف المنطق السليم، وكلما استرسلوا في الحديث، بدا عليهم الجنون أكثر فأكثر. تماماً مثل العلبة الفارغة التي قد تُصدر خشخشة خافتة مرة أو مرتين في البداية، لكنها سرعان ما تُحدث جلبة صاخبة متكررة، كذلك تتصاعد ثرثرة الأحمق وتزداد صخباً وفوضوية حتى تبدو وكأنها صادرة عن شخص فقد عقله. تأمل ما ورد في سفر الأمثال الْجَاهِلُ يُظْهِرُ كُلَّ غَيْظِهِ، وَالْحَكِيمُ يُسْكِنُهُ أَخِيراً". فالأحمق لا يكتفي بالتحدث بحماقة، بل يُفرغ غضبه بالكامل؛" (11: 29)، إذ ينطق بالهراء، وعجزاً منه عن كبح مشاعره، يطلق العنان لسيل من الكلمات في نوبة غضب، فيبدو كالمجنون. وفي المحصلة ورغم أن حماقة المرء قد تبدأ بشكل غير ملحوظ، إلا أنها قد تتفاقم لتصل إلى حد السلوك الجنوني. لا ينبغي لنا أن نتوقع كلمات طيبة أو حكيمة أو نافعة تصدر عن شفتي الأحمق، فكلامه لا يزداد إلا سوءاً. وعلينا أن ندرك أن الخوض في حديث مع الأحمق لا يجلب أي فائدة، ومن ثم يجب علينا الكف عن مثل هذا الحوار والابتعاد عنه؛ فإذا لم نتوقف واستمررنا في محادثته، فنشهد في النهاية حماقته وهي تبلغ ذروتها في صورة جنون.

ثالثاً، تفقر شفقتا الجاهل إلى ضبط النفس وتحدثان بإفراط.

انظر إلى الجزء الأول من الآية 14 في الإصحاح العاشر من سفر الجامعة في نص اليوم: "الجاهل يُكثِرُ الكلام...؛ فالجاهل يتحدث كثيراً. وكما أن العلبة الفارغة تُحدث أكبر قدر من الضجيج، فإن الجاهل -الخالى من المعرفة- يكشف عن حماقته بكثرة الكلام. ونظراً لافتقاره إلى الحكمة أثناء سيره في الحياة، يُظهر الجاهل حماقته لكل من يقابله (10: 3). كيف يكشف عن هذه الحماقة؟ إنه يفعل ذلك ليس فقط بالاستخفاف بأفعال الحماقة البسيطة، بل أيضاً بمعارضة حاكمه (الآيتان 1 و4). وعند ربط هذا بالجزء الأول من الآية 14 في الإصحاح العاشر من سفر الجامعة، نرى أن الجاهل، لأنه يستهين بالكلام الأحمق، يفشل في ضبط نفسه؛ فيستمر في الحديث بحماقة، وينتهي به الأمر بالتفوّه بحماقات أعظم. وعلاوة على ذلك، يكشف الجاهل عن حماقته بفشله في السيطرة على غضبه ومعارضة حاكمه -على الأقل بكلماته. ولهذا السبب يخبرنا كاتب سفر الأمثال: "كَثْرَةُ الْكَلَامِ لَا تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَمَّا الضَّابِطُ شَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ" (أمثال 10: 19). يجب ألا نتسرع في استخدام أسننتنا. لماذا؟ انظر

إلى أمثال 18: 21: "الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَجْبَاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ". بل ينبغي علينا أن نقتصد في كلماتنا، وأن نمارس ضبط النفس في الحديث، كما يفعل الحكماء (أمثال 17: 27). رابعاً، نفتخر شفقتنا الجاهل بنفسه.

انظر إلى النص الممتد من الآية 14 (النصف الأول) إلى الآية 15 من الإصحاح العاشر من سفر الجامعة: "لَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا يَكُونُ، فَمَنْ يُخْبِرُهُ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ؟ تَعَبُ الْجُهَالِ يُغَيِّبُهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَدِينَةِ". وفي حين أن أحداً لا يعرف المستقبل -إذ الله وحده يعلمه- فإن الجاهل يثرثر وكأنه يعرف كل شيء أو كأن مستقبله تحت سيطرته الخاصة (ويرسبي) ونتيجة لذلك، يزجج الجاهل كل من حوله ويقلقهم (الآية 15) (بارك يون-صن). كم في هذا من سخف! يقول الملك سليمان إن الجاهل "لا يعرف حتى الطريق إلى المدينة" (الآية 15). بعبارة أخرى، الطريق إلى المدينة مفتوح ومعروف للجميع، ومع ذلك ذلك يجهل الجاهل حتى هذا الأمر (بارك يون-سون)؛ فكيف إذن يتحدث بكثرة وكأنه يحيط بكل خبايا المستقبل؟ بمعنى ما، يثرثر الجاهل حول معرفة المستقبل تحديداً لأنه يفشل في أداء مهامه الحالية بأمانة. لماذا إذن يتكلم الجاهل كثيراً، متصرفاً وكأنه يعلم ما سيحدث؟ وما هي نيته؟ إنها ببساطة التباهي بنفسه. يقول سفر الأمثال 27: 1 بوضوح: "لا تفتخر بالغد، لأنك لا تعلم ماذا يلد اليوم"، ومع ذلك يتباهى الجاهل بنفسه وكأنه يعرف كل شيء عن الغد. ومثل هذا الشخص يخاطبه الله عبر رسالة يعقوب: "أنتم لا تعلمون ما سيحدث غداً. فما هي حياتكم؟ إنها بخار يظهر لفترة وجيزة ثم يزول. بل ينبغي أن تقولوا 14-16: 4: "إن شاء الرب، سنعيش ونفعل هذا أو ذاك". ولكنكم الآن تتباهون في كبريائكم؛ وكل افتخار كهذا هو شر'.

في الأونة الأخيرة، وبينما أتأمل في سفر الجامعة، أجد نفسي أفكر في حياتي الخاصة. ومن خلال ذلك، أدرك مدى حماقتي ونتيجة لذلك، عندما أصلي إلى الله، أعترف بحماقتي وأطلب حكمته. في الواقع، الشيء الوحيد الذي يمكننا أن ندعي حقاً أنه ملكنا هو حماقتنا؛ وفي خضم ذلك، فإن الشيء الوحيد الذي يستحق أن نفتخر به هو حكمة الله. لذا، وعلى غرار الرسول بولس يجب علينا نحن أيضاً أن نعترف قائلين: "لأن حماقة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس" (1 كورنثوس 1: 25) علينا أن نسعى لنيل حكمة الله. وبدلاً من استخدام كلماتنا لإيذاء أنفسنا، ينبغي أن نستخدمها لتعزيز الآخرين وبنائهم، وبذلك نجد نحن أيضاً التعزية والبنیان. علاوة على ذلك، يجب أن يبدأ كلامنا بالحكمة وينتهي بها؛ إذ ينبغي أن تزداد كلماتنا فضيلة، وأن نتعلم ضبط شفاهنا (أمثال 19: 19). علينا أن نستخدم شفاهنا للافتخار بيسوع ولإعلان إنجيل يسوع المسيح. أصلي أن يمنحنا الله مثل هذه الشفاه الحكيمة.

أمة تعاني الولايات

[سفر الجامعة 10: 16-20]

في وقت مبكر من صباح أمس -الثلاثاء-، طالعُ أخباراً عبر الإنترنت حول استفزاز مدفعي قامت به كوريا الشمالية ضد جزيرة "يونبيونغ" الكورية الجنوبية. فبعد فترة وجيزة من حادثة غرق السفينة "تشيونان"، أسفر قصف جزيرة "يونبيونغ" هذا بحسب التقارير- عن مقتل اثنين من جنود مشاة البحرية (المارينز) الشبان ومدنيين اثنين. وبينما كنت أتأمل أسباب تكرار مثل- هذه الأحداث في شبه الجزيرة الكورية، توصلتُ شخصياً إلى قناعة بأن جوهر المشكلة يكمن في قيادة كوريا الشمالية. لقد قرأت ذات مرة مقالاً ينقل عن الراحل "هوانغ جانغ-يوب" رأيه القائل بأن الزعيم الأعلى لكوريا الشمالية، "كيم جونج إيل"، كان ينبغي أن يموت. إنها حقيقة مأساوية حقاً أن يتمكن زعيم واحد من تعذيب وقتل هذا العدد الكبير من الناس؛ وهذا يسلط الضوء على مدى أهمية وحيوية دور قائد الأمة. ومن نواحٍ عديدة، ليس من المبالغة القول إن صعود الأمة وسقوطها يعتمدان على قائدها.

في نص اليوم، المأخوذ من سفر الجامعة (10: 16-20)، يتحدث الملك سليمان عن "أمة تعاني الولايات". لننظر إلى الآية وَيَلْ لَكَ أَيُّهَا الْأَرْضُ إِذَا كَانَ مَلِكُكَ طِفْلاً، وَرُؤَسَاؤُكَ يَأْكُلُونَ فِي الصَّبَاحِ". ما هي طبيعة هذه الأمة التي تواجه مثل هذه: 16: الولايات؟ يمكننا تحديد ثلاث سمات لها.

أولاً: الأمة التي تفتقر إلى القيادة السليمة هي أمة تعاني الولايات.

لننظر مجدداً إلى سفر الجامعة 10: 16: "وَيَلْ لَكَ أَيُّهَا الْأَرْضُ إِذَا كَانَ مَلِكُكَ طِفْلاً، وَرُؤَسَاؤُكَ يَأْكُلُونَ فِي الصَّبَاحِ". تشير هذه الآية إلى أنه حتى لو كان للأمة ملك ومسؤولون، فإنها ستواجه الولايات حتماً إذا كان الملك صغيراً جداً بحيث يعجز عن الحكم بفعالية، وإذا كان المسؤولون (أو "الرؤساء") منغمسين في الملذات والمجون بدلاً من الانشغال بشؤون الحكم (وفقاً لتفسير "بارك يون-سون"). بالطبع، لا يعني صغر سن الملك بالضرورة عجزه عن حكم الأمة؛ وخير مثال على ذلك هو الملك "يوشيا" ملك يهوذا، المذكور في سفر أخبار الأيام الثاني (الإصحاح 34)؛ فقد اعتلى العرش وهو في الثامنة من عمره (الآية 1)، وبدأ "في إجراء إصلاحات دينية بعد ثماني سنوات فقط، أي وهو في السادسة عشرة من عمره (الآية 3). غير أن "الملك الشاب المذكور في سفر الجامعة (10: 16) يشير إلى حاكم ليس شاباً في العمر فحسب، بل هو أيضاً غير ناضج ويتصرف وفقاً

، لأهوائه الشخصية فقط (ويرسي). إن الملك الشاب في هذا النص لا يتسم بالصدق والبراءة التي تميز الأطفال (براءة الطفولة) بل يتسم بالانغماس في الذات ونزوات الصبائية المتهورة (سلوك الأطفال المشاكسين) (جاميسون). وإذا كان قائد الأمة على هذه الشاكلة، فينبغي أن يكون المسؤولون معه ناضجين ويقظين بما يكفي لإدارة الأمور بحكمة؛ غير أن الواقع يظهرهم منغمسين في اللهو والعردة - حتى في الصباح الباكر (الآية 16). وبعبارة أخرى، إنهم يستسلمون للمجون في وقت مبكر من النهار (بارك يون-سون). فماذا يحل بأمة كهذه إذن؟ في ظل وجود ملك غير ناضج ومنغمس في رغباته كطفل، ومسؤولين غارقين في اللهو منذ الصباح الباكر، كيف يمكن القول إن الأمة تحظى بقائد يتولى زمام الحكم؟

لقد حاولت إسقاط هذا النص على كنيسةنا. على سبيل المثال، لنفترض أنني - بصفتي القائد - كنت غير ناضج وأتصرف بشكل تعسفي؛ فإذا قام الشيخ "يون" - الذي يخدمني ويتمتع بإيمان راسخ - بتوجيه الكنيسة توجيهاً صحيحاً، لأمكننا القول على الأقل إن كنيسةنا تحظى بقائد يدير شؤونها. ولكن ماذا لو انغمس الشيخ "يون" أيضاً في اللهو والمجون منذ الصباح الباكر، في الوقت الذي كنت فيه أنا شاباً وغير ناضج ومنغمساً في رغباتي؟ ماذا كان سيحل بكنيسةنا حينئذ؟ وهل كان يمكننا القول حقاً إن هناك قائداً يدير الكنيسة؟ ينطبق المبدأ ذاته على الأسرة؛ إذ يسود النظام والانسجام في الأسرة عندما يكون الزوج - بصفته رب الأسرة - ناضجاً، وتكون الزوجة - التي تعاونه - حكيمة، مما يتيح لهما إدارة شؤون المنزل بفعالية معاً. ولكن، ما حال الأسرة التي يكون فيها الزوج (رب الأسرة) غير ناضج ومنغمساً في إشباع رغباته الشخصية، بينما تسعى الزوجة أيضاً وراء الملذات الدنيوية منذ مطلع النهار؟ هل يمكن القول حقاً إن مثل هذه الأسرة تحظى بقائد يدير شؤونها على نحو سليم؟ إن الأسر والكنائس والأمم التي تعاني من هذا البلاء تفتقر إلى القيادة الحقيقية. وفي المقابل، يتحدث الملك سليمان عن أمة تنعم بالبركة. لننظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 10: 17: "طوبى لك أيها الأرض إذا كان ملكك ابن أشراف، ورؤساؤك يأكلون في الوقت المناسب للقوة لا للسُّكر". ماذا يعني هذا؟ تشير عبارة "ابن أشراف" إلى الشخص الذي يتمتع بشخصية نبيلة (بارك يون-سون). فإذا - كان الملك الذي يحكم الأمة "ابن أشراف" - أي يتمتع بشخصية نبيلة - فكيف يمكن ألا يحسن إدارة البلاد؟ وعلاوة على ذلك يشير سليمان إلى أن مسؤولي هذا الملك - أي وزراءه - "يأكلون في الوقت المناسب - للقوة لا للسُّكر"؛ وهذا يعني أن مسؤولي الملك ذي الشخصية النبيلة لا يعيشون حياة انحلال، بل يمارسون ضبط النفس حتى في مأكلمهم ومشربهم (بارك يون-سون). يا له من تباين صارخ مع قادة أمة تخضع للدينونة! ففي مثل هذه الأمة، يتسم كل من الملك ومسؤوليه بالنضج والشخصية النبيلة ويديرون شؤون البلاد بفعالية؛ ومن ثم، فهي أمة مباركة حقاً. وبعبارة أخرى، الأمة المباركة حقاً هي التي تُمارس فيها الحكم العادل والرشيد (بارك يون-سون).

وأعتقد أن الأمر نفسه ينطبق على الكنيسة والأسرة. فإذا كان قادة الكنيسة والبيت يتمتعون بشخصية نبيلة ويعيشون حياة تتسم بضبط النفس لا بالمجون، فإن الأسر والكنائس التي تقع تحت إرشادهم تكون مباركة حقاً. وفي هذا السياق، أتذكر عنصرين أساسيين للغاية للقيادة - سواء في البيت أو الكنيسة أو الأمة - وهما: الشخصية وضبط النفس. بالطبع، تُعد الكفاءة والقدرة أمراً ضرورياً للقيادة أيضاً، إلا أن الشخصية تظل أكثر أهمية وحيوية. فمهما بلغت مهارة القائد أو قدرته، إذا كانت شخصيته معيبة فلن يجد أتباعه السعادة الحقيقية؛ إذ قد يشعرون بنوع من الإنجاز، لكنهم سيفشلون في اختبار ذلك التحول الذي ينبع من التأثير الإيجابي. وكذلك يُعد ضبط النفس أمراً جوهرياً للقيادة؛ ففي خضم الحرب الروحية ضد تجارب الشيطان المتعددة، لا بد أن يقع

القادة الذين يفتقرون إلى ضبط النفس -وهو أحد أثمار الروح القدس- فريسةً للتجربة ويرتكبون الخطيئة في حق الله والناس على حد سواء. لذا، وسواء كان المرء يقود أمةً أو كنيسةً أو عائلةً، فإن ما يُطلب منه هو التحلي بشخصية نبيلة وضبط النفس لرفض المغريات، مثل المجون والانغماس في الملذات. إن المواطنين وأفراد الرعية والأبناء الذين يتبعون قادة كهؤلاء هم حقاً مباركون. أصلي لكي تصبح كل من كوريا والولايات المتحدة أمتين مباركتين كهاتين. وأصلي لكي تصبح كنيستنا كنيسة مباركة كذلك. عائلات ينعم الله عليها ببركاتهم—عائلاتكم وعائلتي—وأصلي لكي تصبح عائلاتنا

ثانياً، إن الأمة التي يفقدها شخص يعيش حياة الكسل والمجون هي أمة واقعة تحت اللعنة. انظروا إلى النص الكتابي اليوم، في سفر الجامعة (10: 18-19): "بِالْكُسْلِ الْكَثِيرِ يَهْبِطُ السَّقْفُ، وَبِتَدَلِّي الْيَدَيْنِ يَكْفُ الْبَيْتُ. لِلضَّجِكِ يَعْملُونَ وَلِيَمَّةٍ، وَالْخَمْرُ تُفَرِّخُ الْحَيَاةَ...". تصف هذه الآيات الحياة المنحلة للحكام الكسالى الذين يجلبون الخراب على أمتهم؛ فهم ينغمسون في العريضة طلباً للتسلية، ويدمنون شرب الخمر للمتعة، ولا يملكون أدنى شعور بالمسؤولية أو العدالة تجاه خدمة الشعب (بارك يون-سون) تخيلوا فقط: ما الذي سيحل بأمة إذا افتقر قادتها إلى أي شعور بالمسؤولية أو العدالة لخدمة شعوبهم؟ وإلى أي حال ستؤول البلاد إذا نسي القادة واجباتهم وقضوا أوقاتهم في الإفراط في الشرب والانغماس في العريضة؟ أحياناً، عند مشاهدة الأعمال الدرامية التاريخية التي تتناول ماضي كوريا، نرى مسؤولين في البلاط الملكي يعيشون حياة منحلة، غارقين في الخمر والنساء؛ إنهم—الذين يسعون حقاً لأداء واجباتهم—فاسدون عاجزون عن أداء مسؤولياتهم، بل إنهم يتآمرون على المسؤولين الشرفاء ويقتلونهم.

(الشيء الكبير)، يُصوّر الرئيس بصورة إيجابية، بينما يظهر زعيم حزب المعارضة *Daemul* في الدراما الكورية الشهيرة كشخص فاسد. وأعتقد أن مثل هذه الأعمال الدرامية تقدم لمحة جزئية عن تاريخ كوريا وواقعها؛ وهو واقع يمكن تلخيصه في كلمة واحدة: الفساد. فنحن نشهد - ليس فقط في الدراما بل في الأخبار أيضاً - سياسيين، كان ينبغي عليهم الحكم بحكمة وضمأن رفاهية مواطنيهم، يستغلون مناصبهم للانخراط في الفساد وملء جيوبهم بدافع الطمع. إنهم حقاً قادة يفتقرون إلى الشعور ذات مرة: "من بين القادة، هناك من *يُفعلون* دورهم في المنصب، وهناك (Wiersbe) "بالمسؤولية. لقد قال القس "ويرسبي من يكتفون بمجرد *شغل* المنصب (1 تيموثاوس 3: 10). فالأشخاص غير الناضجين يستمتعون بالامتيازات الممنوحة لهم". وينسون مسؤولياتهم، أما الأشخاص الناضجون فينظرون إلى مسؤولياتهم باعتبارها امتيازات ويتحملونها من أجل الآخرين. وهذه وجهة نظر صائبة؛ إذ لا يسع المرء إلا أن يتفق على وجود قادة يستثمرون مناصبهم بفاعلية وآخرين يكتفون بالتمسك بها ومع ذلك، أود أن أذهب إلى أبعد من ذلك لأقول إن المشكلة الحقيقية تكمن في القادة الذين يسيئون استخدام مناصبهم لخدمة مصالحهم الشخصية بدلاً من خدمة المواطنين. وفي سياق الكنيسة أيضاً، نجد من يشغلون مناصب لكنهم يكتفون باللقب دون استخدامه لخدمة الرعية بفعالية. فبعض شاغلي المناصب يفتقرون إلى النضج والأمانة في أداء واجباتهم، أو يتسمون بالكسل ويرفضون القيام بأدوارهم كأعضاء في جسد المسيح. غير أن المشكلة الأكبر تكمن في وجود قادة داخل الكنيسة يسيئون استغلال *مناصبهم، مفضلين أن يتلقوا الخدمة بدلاً من أن يخدموا الآخرين؛ والكنيسة تعاني بسبب هؤلاء القادة. وفي كتابه *الكسل، يصف القس "كيم نام-جون" الكسل قائلاً: "جوهر الكسل هو السأم، وجذره هو حب الذات، ومساره هو الشهوة (Laziness)،

وخياره هو الإهمال، وعاقبته هي المعاناة...". وعندما يتسم قادة الأمة بالكسل، يتحول هذا الكسل إلى مظهر من مظاهر حب الذات المدفوع بالشهوة؛ مما يؤدي إلى حياة من الانحلال والفساد، ويحول الأمة في النهاية إلى أمة تواجه الكوارث.

"لقد أشار إلى وجود "الص محترف (Charles R. Swindoll) "علينا أن نصغي جيداً لكلمات القس "تشارلز ر. سويندول يتسلل إلى قلوبنا ويسلبنا دافعنا السليم وشغفنا بالحياة، وهذا اللص هو "التسويق" أو المماطلة. وبعبارة أخرى، فإن الموقف المتسم بالكسل -الذي ينظر إلى المهام باعتبارها عبئاً مزعجاً ويؤجل إنجازها- يطفئ جذوة الشغف وروح التحدي الضرورييتين للحياة، مما يحرمنا في النهاية من السعادة الحقيقية التي كان يمكننا التمتع بها. ولذا، فإن "الاجتهاد" قيمة يجب التأكيد عليها مجدداً في عصرنا الحالي؛ فهو فضيلة ضرورية للقائد الوطني. فالقائد الذي يعيش حياة تتسم بالكسل والانحلال لا يمكن أبداً أن يكون أداة لبناء أمة مباركة؛ بل إن الله يبنّي الأمم من خلال قادة يتسمون بالاجتهاد والأمانة. وينطبق الأمر ذاته على الأسر والكنائس؛ فالرب لا يستخدم قادة كسالى لبناء الأسر والكنائس، بل يستخدم قادة أمناء ومجتهدين لتأسيسها. ومن ثم، لكي نبني أمة أو كنيسة أو أسرة مباركة حقاً في نظر الله، لا بد أن يكون قادتنا مجتهدين. وثالثاً، إن الأمة التي يقودها زعيم يعتقد أن المال قادر على حل كل شيء هي أمة واقعة تحت اللعنة.

تأمل الجزء الأخير من الآية 19 في الإصحاح العاشر من سفر الجامعة الواردة في نص اليوم: "...المال يلبي كل شيء". وهذا يعني أن قادة مثل هذه الأمة الملعونة هم أناس كسالى ومنحلون، يعتقدون أن المال وحده كفيل بحل جميع مشاكل الأمة. ومن الواضح أن القادة الذين يتبنون هذا الرأي يحبون المال ويعتمدون عليه بدلاً من الاعتماد على الله. ونتيجة لذلك، وانطلاقاً من قناعتهم بأن المال هو الحل الأمثل، فإنهم يعيشون حياة غير مسؤولة تتسم بالكسل والمجون، محاولين تسوية كل قضية بالمال وبينما هم يقصرون في أداء واجباتهم -وتنتهار الأمة ويعاني المواطنون- يكتفون بزيادة الضرائب في محاولة عقيمة لمعالجة مشاكل البلاد (ماك آرثر). وما هي النتيجة؟ في نهاية المطاف، لا بد أن يواجه القادة الذين يحبون المال ويسعون لحل كل مشكلة به هلاكهم بسبب ذلك المال ذاته.

علينا أن نحذر من عقلية الاعتقاد بأن المال قادر على حل كل شيء. إذ يبدو أن الكثيرين اليوم يقتربون من إيمانهم وهم يحملون قناعة بأن "المال قوة". وهذه فكرة خطيرة للغاية؛ فإذا قاد شخص يحمل هذه العقلية أمة أو كنيسة أو أسرة، فإنهم سيواجهون، حتماً المتاعب بسبب المال. علاوة على ذلك، فإن تلك الأمة أو الكنيسة أو العائلة ستعاني في النهاية من كارثة بسبب ذلك. لذا، يجب علينا ألا نحذر فقط من فكرة أن المال يحل كل شيء، بل أيضاً من القادة الذين يتبنون مثل هذه الآراء. يجب أن نكون متيقظين تجاه القادة الذين يعتمدون على المال. وفضلاً عن ذلك، لا ينبغي لنا أن نتبع هؤلاء القادة، لأننا قد نشاركهم في الكارثة التي تحل بهم. بل ينبغي أن نتبع القادة الأتقياء الذين يعتمدون على الله لا على المال؛ وعلينا أن نتطلع إلى قادة تعلموا -مثل الرسول بولس- سر القناعة من خلال اختبارهم لحالتي الوفرة والاحتياج. يجب ألا نجد اكتفاءنا في المال، بل في يسوع وحده؛ وحين نفعل ذلك، ستبارك يد الله عائلاتنا وكنائسنا وأمتنا.

أؤمن بأن صعود الأمم وسقوطها يقع ضمن سيادة الله؛ وينطبق الأمر ذاته على العائلات والشركات والكنائس. وتكمن المشكلة، عندما يسلك القادة -الذين يفترض بهم أداء واجباتهم بأمانة من خلال حسن الإدارة وتقوى الله- حياة تتسم بالكسل والانحلال مدفوعين باعتقاد أن المال قادر على حل أي شيء. وما هي النتيجة؟ إن هؤلاء القادة يجلبون حتماً الكارثة على الأمة أو العائلة أو الكنيسة التي يقودونها. فإذا وجدنا أنفسنا نعيش في أمة مقدر لها أن تواجه مثل هذه الكارثة، فماذا علينا أن نفعل؟ يجب أن نصغي إلى كلمات سفر الجامعة (10: 20): "لا تَشْتِمِ الْمَلِكَ وَلَوْ فِي فِكْرِكَ، وَلَا تَشْتِمِ الْعَبِيَّ فِي مَخْدَعِ نَوْمِكَ، لِأَنَّ طَيْرَ السَّمَاءِ يَنْفُلُ الصَّوْتِ، وَذَاتَ الْجَنَاحِ يُخْبِرُ بِالْأَمْرِ". ماذا يعني هذا؟ إذا كان قادتنا يفشلون في الحكم السليم بسبب الكسل أو الانحلال الأخلاقي أو الاعتقاد بأن المال هو كل شيء، فيجب علينا الحذر من لعنهم أو انتقادهم. ولماذا؟ لأن الكلمات التي ننطق بها في الخفاء -سواء كانت لعنات أو انتقادات- قد تصل إلى مسامعهم. لذا، يجب علينا ضبط ألسنتنا؛ فبدلاً من لعن القادة الذين يشوبهم النقص أو انتقادهم، ينبغي لنا أن نصلي إلى الله لأجلهم. وعلينا أن نصلي طالبين رحمة الله ورأفته ونعمته، وفي الوقت ذاته نصلي من أجل عدله وبرّه. علاوةً على ذلك، ينبغي لنا أن نصلي من أجل قادة أمتنا (أو عائلتنا وكنيستنا)، طالبين من الله أن يمنحهم سمات تشبه سمات يسوع؛ وتحديداً ثمر الروح المعروف بضبط النفس، إلى جانب النزاهة وسر الفناعة النابع من الاكتفاء بيسوع وحده. وحين نفعل ذلك، ستنال أمتنا (أو عائلتنا وكنيستنا) بركة الله.

!التأمل في ذلك اليوم

[سفر الجامعة 11: 1-8]

عندما أنظر إلى العام المنصرم، أجد أسباباً عديدة للشعور بالامتنان تجاه النعمة والمحبة اللتين أغدقهما الله علينا. وفيما يتعلق بجماعة كنيستنا، فإنني ممتن للغاية لأن الله منح الشمس "كيم" فرصة ثانية للحياة. وعلى الصعيد الشخصي، أنا ممتن لأن الله أطال في عمر والد زوجتي. وقد قادني التأمل في حال هذين الشخصين إلى إدراك أمور معينة - مهما كان فهمي لها قاصراً أو غير مكتمل. ومن بين هذه الأمور حقيقة أن الله يستجيب حقاً لصلواتنا. لا تزال ذاكرتي تحتفظ بتفاصيل لحظة معينة حين كان -الشمس "كيم" في وحدة العناية المركزة؛ فبينما كنت أغادر المكان بعد زيارته، اقتربت مني زوجته -وهي أيضاً شماسة. وقالت: "يا راعي الكنيسة، أنا أصلي فقط طلباً لمعجزة من الله". وقد استجاب الله لتضرعها الصادق، وشهدنا معجزة مذهلة بحق كذلك، كان الأطباء قد أخبروا والد زوجتي بأن حالته ميؤوس منها، إلا أن الله استجاب لصلوات الكثيرين، وكان من الرائع حقاً رؤية تحسن صحته بشكل ملحوظ. أتذكر تلك اللحظات بوضوح؛ تلك الأوقات التي أخبر فيها كل من الشمس "كيم" ووالد زوجتي من قبل أطبائهم بأنهما يواجهان الموت. وجدت نفسي أتساءل: كيف كنت سأكون ردة فعلي لو كنت مكانهما؟ وعلاوة على ذلك، تأملت في الكيفية التي ساقضي بها ما تبقى من أيامي لو أخبرني الطبيب: "لم يتبق لك سوى أقل من ستة أشهر لتعيشها". حينها، خطرت ببالي فكرتان. الأولى كانت قصة قصيرة سمعتها من صديق لي أيام الجامعة؛ وهي قصة عن رهبان كانوا يلعبون كرة القدم في ديرهم. وعندما وصل رئيس الدير وسألهم: "لو كان عليكم أن تموتوا غداً، فماذا ستفعلون؟" تباينت إجابات الرهبان -بين الكرازة بإخلاص أكبر، أو قراءة الكتاب المقدس بجدية أكبر، أو الصلاة أكثر- لكن أحد الرهبان أجاب، قائلاً: "سألعب كرة القدم غداً أيضاً". أحب هذه القصة لأنها تعكس رغبتى الشخصية في مواصلة العمل الذي أقوم به بأمانة حتى لو كان موتي سيحدث غداً. كما أنها ذكّرتني بالراحل القس "لي"، الذي كان زميلاً أقدم مني تخرج في "معهد وستمنستر اللاهوتي". أتذكر أنني سمعت أنه قبل وفاته متأثراً بمرض السرطان، تقياً القس "لي" بالفعل أثناء وعظه في الكنيسة التي كان يخدمها، واضطروا لنقله إلى المستشفى بسيارة إسعاف. وحين أفكر في القس "لي" -الذي أدى بوفاء وإخلاص مسؤولياته تجاه جسد الرب، أي الكنيسة، حتى لحظاته الأخيرة- تتولد لدي رغبة أقوى في أداء الواجبات الموكلة إليّ بأمانة وإخلاص حتى يوم وفاتي.

يقول سفر الجامعة (11: 8): "لأنه إن عاش الإنسان سنين كثيرة فليتمتع فيها كلها، وليتذكر أيام الظلمة، لأنها ستكون كثيرة كل ما يأتي هو باطل". يحثنا الملك سليمان على "تذكر أيام الظلمة". فماذا يقصد إذن بـ "ذلك اليوم" -أي "أيام الظلمة"؟ إنه يشير إلى يوم الموت (كما يرى بارك يون-سون). إنه يشجعنا على أن نعيش مدركين أن يوم الموت سيأتي لا محالة. إذن، كيف تكون الحياة ونحن نضع ذلك اليوم المظلم -يوم الموت- نصب أعيننا؟ يمكننا النظر في ثلاثة جوانب. أولاً، أن نعيش واضعاً يوم موتك في اعتبارك يعني أن نعيش بحكمة وإيمان.

"في نص اليوم -سفر الجامعة 11: 2 و5 و6- تتكرر العبارة نفسها ثلاث مرات: "لست تعلم" (الآية 2)، و"كما أنك لا تعلم" (الآية 5)، و"لست تعلم" (الآية 6). ما هو الشيء الذي يقول الملك سليمان إننا لا نعلمه؟ إنه المستقبل؛ فهو يقرر أننا لا نستطيع معرفة ما يخبئه لنا الغد. انظر إلى سفر الجامعة (7: 14): "في يوم الخير كن مسروراً، وفي يوم الشر تأمل: الله صنع هذا وذاك، لكي لا يجد الإنسان شيئاً مما يكون بعده". ماذا يعني هذا؟ يعني أن الله يمنحنا في حياتنا أياماً للرخاء وأياماً للشدة. وما هو قصده من ذلك؟ إنه يهدف إلى ضمان ألا نتمكن من إدراك مستقبلنا أو معرفته بالكامل. إذن، كيف ينبغي لنا نحن الذين لا نستطيع معرفة المستقبل- أن نعيش؟ بدلاً من الخوف أو القلق أو الاضطراب بشأن المستقبل، يجب أن نعيش واضعين ثقتنا واعتمادنا الكلي على الله، الذي يعلم المستقبل ويسيطر عليه بسلطانه المطلق (7: 14). وعلاوة على ذلك، ولأننا لا نعلم المستقبل، ينبغي علينا التخطيط لحياتنا وعيشها بحكمة وترؤف أكبر (ويرسبي). لا يجوز لنا أبداً أن نعيش حياة عشوائية أو بلا خطة تحت ذريعة العيش بالإيمان؛ بل يجب علينا التحلي بالحكمة، وأن نعيش الحياة الوحيدة التي وهبها الله إياها على هذه الأرض بعناية وأمانة لمجده.

ثانياً، إن العيش مع استحضار يوم الموت في الأذهان يعني عيش حياة تتسم بمحبة القريب.

وهنا، تشير محبة القريب تحديداً إلى أعمال الإحسان ومساعدة المحتاجين. بعبارة أخرى، يجب أن نعيش واضعين يوم موتنا نصب أعيننا، وأن نسعى بجد لمساعدة جيراننا المحتاجين. فكيف إذن ينبغي لنا أن نساعد جيراننا؟

يجب أن نعطي بسخاء، ودون بخل (1)

انظر إلى سفر الجامعة 11: 1، وهو النص المخصص لليوم: "ألق خبزك على وجه المياه، فإنك تجده بعد أيام كثيرة". ماذا تعني عبارة "ألق خبزك على وجه المياه" هنا؟ إنها تعني أنه عندما نساعد جيراننا، ينبغي أن نفعل ذلك بقلب سخي متحرر من البخل (بارك يون-سون). وبعبارة أخرى، يحثنا الملك سليمان على عيش حياتنا واضعين يوم الموت -ذلك اليوم المظلم- في اعتبارنا؛ ويدعونا لعيش حياة الكرم ومساعدة الآخرين دون توقع أي مكافأة في المقابل (بارك يون-سون). ولماذا لا ينبغي لنا أن نتوقع مكافأة من الأشخاص الذين نساعدهم؟ لأننا نضع ثقتنا في الرب ونتطلع إليه هو ليجازينا (الآية 1ب)

يجب أن نظهر رحمة وافرة للكثير من الناس (2)

انظر إلى سفر الجامعة 11: 2، وهو النص المخصص لليوم: "أعط نصيباً لسبعة، أو حتى لثمانية، لأنك لا تعلم أي شر قد يقع على الأرض". إن التوجيه القائل "أعط نصيباً لسبعة، أو حتى لثمانية" يعني أنه ينبغي علينا ممارسة أعمال الرحمة بأكبر قدر ممكن من الطرق والمجالات. كما أنه يشير إلى ضرورة إظهار رحمة وافرة لأكثر عدد ممكن من الناس (بارك يون-سون). ما السبب في ذلك؟ السبب هو أننا لا نعلم أي نوع من الكوارث قد يحل بالأرض (الآية 2ب). وبعبارة أخرى، بما أننا لا نعرف متى سنموت، فيجب علينا استغلال النعم المادية التي منحنا الله إياها لإظهار رحمة عظيمة وتقديم العون لجيراننا خلال الوقت المتاح لنا؛ فنحن نفعل ذلك لأننا لا نعلم متى قد تقع كارثة تجعلنا عاجزين عن مساعدة الآخرين. ومن المؤكد أنه تماماً كما أن — "السُّحْبُ إِذَا امْتَلَأَتْ مَطَرًا تَسْكُبُهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِذَا سَقَطَتِ الشَّجَرَةُ نَحْوَ الْجَنُوبِ أَوْ نَحْوَ الشِّمَالِ، فَحَيْثُ تَسْقُطُ هُنَاكَ تَكُونُ" — كذلك الأمر عندما تحل الكارثة بهذه الأرض، يواجه الناس حتماً المصير الذي — أي تبقى في مكان سقوطها تماماً بعد العاصفة يلحق بهم (الآية 3) (بارك يون-صن). إذن، كيف ينبغي لنا أن نعيش ونحن لا نعلم متى قد تضرب الكارثة الأرض أو حياتنا الشخصية؟ قد نتردد في خدمة الآخرين ومساعدتهم بسبب القلق من كارثة محتملة وغير متوقعة. ولهذا السبب يقول الملك سليمان مَنْ يُرَاقِبِ الرِّيحَ لَا يَزْرَعُ، وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى السُّحْبِ لَا يَخْصُدُ" (11: 4). ماذا يعني هذا؟ يعني أنه لا ينبغي لنا أن نتردد في مساعدة الآخرين بسبب القلق من كوارث مستقبلية. إنه درس يحثنا على مساعدة الآخرين بإيمان؛ لأننا إذا انشغلنا بتقدير الظروف المختلفة، فلن نتمكن أبداً من تقديم تلك المساعدة.

أيها الأحباء، الله وحده يعلم مستقبلنا. وبما أننا لا نعرف ما يخبئه المستقبل لحياتنا، فيجب علينا إظهار رحمة عظيمة وتقديم العون للكثيرين كلما منحنا الله أياماً من الرخاء. لماذا؟ لأننا لا نعلم متى قد يحل يوم الشدة على حياتنا (سفر الجامعة 7: 14).

ثالثاً، إن الحياة التي نُعَاشُ مع إدراك حقيقة الموت القادم هي حياة مكرسة لطاعة كلمة الله والقيام بعمل الله باجتهاد.

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 11: 5-6: "كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هُوَ طَرِيقُ الرِّيحِ، وَلَا كَيْفَ تَنْمُو الْعِظَامُ فِي بَطْنِ الْخُبْلَى كَذَلِكَ لَا تَعْلَمُ أَعْمَالُ اللَّهِ الَّتِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ. فِي الصَّبَاحِ ارْزَعْ زَرْعَكَ، وَفِي الْمَسَاءِ لَا تُرْخِ يَدَكَ، لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ أَيُّهُمَا يَنْجَحُ: هَذَا أَمْ ذَلِكَ، أَوْ أَنْ يَكُونَ كِلَاهُمَا جَيِّدَيْنِ سَوَاءً". ماذا يعني هذا؟ نحن لا نعرف مسار الرياح، ولا نعرف كيف تتشكل عظام الطفل وتنمو في رحم أمه. وبالمثل، لا يمكننا استيعاب تدبير الله بالكامل - أي كيف يُنجز كل الأمور. ولذلك، يخبرنا الملك سليمان بأن نزرع في الصباح ولا نترك أيدينا تستريح في المساء. يجب أن نكرس أنفسنا لخدمة الله بمواردنا من أجل البر في أيام شبابتنا (أي "الصباح") وأن نستمر في ذلك في شيخوختنا (أي "المساء") (كما يذكر بارك يون-صن). ومثل المزارع، علينا أن نبذر البذور باجتهاد طوال حياتنا، سواء في الشباب أو الشيخوخة. وعندما نزرع، يجب أن نفعل ذلك حتى مع ذرف الدموع (مزمو 126: 6). وإذا فعلنا ذلك، فسنعود بالتأكيد حاملين حزم الحصاد، ومملوئين فرحاً. باختصار، يجب أن نسعى لخدمة الله باجتهاد طوال حياتنا. وبما أننا لا نستطيع معرفة الثمر الذي سيخرجه الله، فلا ينبغي أن نترك أيدينا خاملة، بل يجب أن نعمل بجد واجتهاد من أجل الرب في وقت سابق من بعد ظهر اليوم، سمعت أخباراً مفاجئة من خلال القس غوميز، الذي يقود خدمتنا الموجهة للناطقين بالإسبانية؛ فقد

،انتقل أخ من أصل إسباني -كان يحضر كنيستنا- إلى المكسيك، وبينما كان يتسوق، تعرض للسرقة وأصيب بطلق نار في ظهره مما أدى إلى إصابته بالشلل ودخوله المستشفى. إنها حقاً أخبار مأساوية؛ فزوجته أختٌ خدمت كنيستنا بأمانة، وزوجها لا يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره. بعد سماعي لهذا الخبر ببضع ساعات، تلقيت نبأً من زميل مؤمن في كوريا يفيد بوفاة "كوانسا" (وهي رتبة تطلق على امرأة علمانية بارزة في الكنيسة)؛ وهي سيدة كانت قد أكرمت عائلتي بوجبة طعام ودعتنا إلى منزلها لتبادل الحديث خلال زيارتي لكوريا في فترة تفرغي. وتتمثل آخر ذكرياتي عنها في رؤيتها جالسة على كرسي في مكتب الكنيسة، وهي تعاني وتصدر أصواتاً عالية وكأن شيئاً ما عالق في حلقها، بينما كنت أربت على ظهرها لمساعدتها. وعلمت أنها فارقت الحياة - إما الليلة الماضية أو في وقت مبكر من هذا الصباح. لقد كانت فترة ما بعد الظهر تلك مناسبة أدركت فيها مجدداً كيف يزخر هذا العالم بحقيقة الموت. فكيف ينبغي لنا إذن أن نعيش؟ علينا أن نمضي في حياتنا اليومية واضعين نصب أعيننا ذلك اليوم - ذلك اليوم المظلم - الذي سنواجه فيه الموت. يجب أن نعيش بحكمة وإيمان؛ وعلاوة على ذلك، وامتنالاً لوصية يسوع بمحبة القريب، علينا أن نسعى لإظهار الرحمة وتكريس أنفسنا لأعمال الخير. كما ينبغي لنا أن نطيع كلمة الله وأن نؤدي عمل الله باجتهاد. إن حياة كهذه هي حقاً جميلة في نظر الله، وهي حياة نعيشها ونحن نتمتع بالفرح الذي يمنحه الله نفسه. أصلي لكي نعيش - أنا وأنت - حياة مفعمة بالفرح وجميلة في نظر الله.

"أيها الشاب"

[سفر الجامعة 11:9-10]

هل تجد الفرح في قلبك هذه الأيام، أم أنك مثقلٌ بالهموم؟

لقد تعلمنا بالفعل ثلاثة دروس حول كيفية عيش حياتنا -مع استحضار يوم موتنا- وذلك استناداً إلى سفر الجامعة 11:1-8 وموضوع لنُفَكِّر في ذلك اليوم": (1) أولاً، يجب أن نعيش ما تبقى من حياتنا بحكمة مع الاعتماد الكلي على الله (بالإيمان)؛ (2) ثانياً، عند التطلع إلى يوم موتنا -وإدراكنا أننا لا نستطيع التنبؤ بالكوارث التي قد تحل بمستقبلنا- يجب أن نسعى لمحبة القريب والقيام بأعمال الخير في ظل ظروفنا الحالية؛ و(3) ثالثاً، مع وضع يوم الموت في الاعتبار، يجب أن نؤدي عمل الله باجتهد. لقد تعلمنا أن الحياة التي تُعاش في طاعة لكلمة الله، مع توجيه الأنظار نحو يوم الموت، هي حقاً حياة جميلة (الآية 7).

"أود اليوم أن نتأمل في النصيحة التي يقدمها الملك سليمان للشباب، استناداً إلى سفر الجامعة 11:9-10 وموضوع "أيها الشاب ورغم أن هذا النص يحمل رسالة من الله موجهة خصيصاً للشباب، إلا أن المبادئ الواردة فيه تنطبق علينا جميعاً؛ ولذا، ينبغي لنا أن نصغي باهتمام.

أولاً، ينبغي للشباب أن يفرحوا بشبابهم.

انظر إلى الشطر الأول من الآية 9 في الإصحاح 11 من سفر الجامعة (نص اليوم): "افرح أيها الشاب في حدثتك، وليسرَّ قلبك في أيام شبابك؛ واسلك في طرق قلبك وحسبما تراه عيناك حسناً..." ففي الآيتين 7 و8 من الإصحاح نفسه، يتحدث الملك سليمان عن كيف أن "النور حلو، وبهجة للعينين أن تريا الشمس" (الآية 7)، وعن أنه "إذا عاش الإنسان سنين كثيرة، فليفرح فيها جميعاً" (الآية 8) ثم في الآية 9 -وهي النص الذي نتناوله اليوم- يوجه حديثه تحديداً للشباب، داعياً إياهم إلى أن "يفرحوا في حدثتهم" وأن (8) "يسرَّ قلبهم في أيام شبابهم". في نهاية المطاف، وسواء كنا صغاراً في السن، أو في ريعان الشباب، أو ناضجين، أو مسنين، يجب علينا أن نجد الفرح من خلال التطلع إلى "ذلك اليوم" (الآية 8) - أي يوم موتنا - مع طاعة كلمة الله، والاعتماد الكلي عليه والمواظبة باجتهد على أعمال المحبة (محبة القريب) والعمل من أجل الله. وفي هذا السياق، يوجه الملك سليمان حديثه بشكل خاص

إلى الشباب في الآيتين 9 و10. ومع ذلك، فبينما يحثهم على "الفرح والابتهاج"، يضيف في النصف الثاني من الآية 9: "...ولكن اعلم أن الله سيحاسبك على كل هذه الأمور".

قبل تأمل هذا النص، كنت أجد الآية 9 محيرة نوعاً ما؛ فقد بدا واضحاً أن الملك سليمان يطلب من الشباب الفرح والابتهاج، إلا أن النصف الثاني من الآية يطرح موضوع دينونة الله مستخدماً أداة الاستدراك "ولكن". لم أكن متأكداً مما إذا كان يشجعهم حقاً على الفرح، أم أنه كان يقول شيئاً أشبه بـ: "امضوا قدماً وافعلوا ما تشتهي قلوبكم وما تراه أعينكم مناسباً؛ ولكن إن فعلتم ذلك، فسيحاسبكم الله". إذن، كيف ينبغي لنا تفسير الآية 9؟ إن التوجيه بـ "اتباع طرق القلب وما تراه العين" هو في الواقع عبارة تنطوي على سخرية؛ وبعبارة أخرى، هي طريقة للقول: "إذا أردتم تجربة ذلك، فافعلوا ما شئتم". ومع ذلك، فإن هذا الكلام بمثابة تذكير بدينونة الله، مما يشير إلى وجود مخاطر مصاحبة لذلك (بارك يون-صن). غير أن شروحات علماء آخرين تقدم تفسيراً مختلفاً قليلاً؛ فعلى سبيل المثال، يرى أحد العلماء أنه في حين ينبغي للشباب الاستمتاع بشبابهم والفرح بما تشتهي قلوبهم، إلا أنه يجب عليهم أيضاً ضبط رغباتهم مع استحضار حقيقة دينونة الله (والبولد). ومع أنني لا أستطيع الجزم بأي التفسيرين هو الأصح، إلا أن النظر في سياق سفر الجامعة (11: 7-8) يوحي بأن الملك سليمان يحث الشباب على الاستمتاع بشبابهم من خلال ضبط رغباتهم مع البقاء واعين لدينونة الله.

إذن، كيف يمكن للشباب أن يستمتعوا بشبابهم حقاً؟ بالعودة إلى نصوص سفر الجامعة التي تأملناها سابقاً، نجد أن الملك سليمان يتحدث كثيراً عن الاستمتاع بالحياة؛ يمكن تلخيص هذه المشاعر والأفكار على النحو التالي: "التمتع بالأكل والشرب" (2: 24؛ 3: 8؛ 15: 9؛ 7)، و"الاستمتاع بالسعادة الزوجية" (9: 9)، و"الرضا عن الكدح والعمل" (2: 24؛ 5: 18)، و"الابتهاج بالعمل" (13: 13). وفي النهاية، يمكننا تفسير ذلك على أنه رسالة تشجع الشباب على اختبار الفرح والبهجة؛ سواء في الممارسات البسيطة. (22: 3) كالأكل والشرب والعمل، أو في سعادة الزواج الذي يجمعهم بشريك حياة في الرب. ومع ذلك، وبينما كنت أتأمل في كيفية استمتاع الشباب بشبابهم، تبادرت إلى ذهني كلمات المزمور 9: 119: "بِمَاذَا يُطَهَّرُ الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلَامِكَ". إن ما ينبغي، أن يبعث الفرح والبهجة الحقيقيين في قلوب شبابنا هو السعي نحو حياة طاهرة - أو حياة تتسم بالنقاء - وفقاً لكلمة الله. باختصار، السبيل أمام الشباب للاستمتاع الحقيقي بشبابهم يكمن في السعي نحو الطهارة والنقاء.

ثانياً، وأخيراً، يجب على الشباب أن ينزعوا القلق من قلوبهم ويبعدوا الشر عن أجسادهم.

لننظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 11: 10: "فَإِنزِعِ الْعَمَمَ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَبْعِدِ الشَّرَّ عَنْ جَسَدِكَ، لِأَنَّ الْحَدَاثَةَ وَالشَّبَابَ بَاطِلَانِ". إذا لم يسع الشباب نحو الطهارة في حياتهم وسلوكهم وفقاً لكلمة الله، فإن القلق سيتجذر حتماً في قلوبهم. وعلاوة على ذلك، عندما يفشلون في العيش بموجب كلمة الله، فإنهم سيقعون حتماً في ممارسات خاطئة بأجسادهم. فإذا انقاد الشاب وراء رغباته الجامحة وفعل ما يحلو له، فإنه سيواجه في النهاية مواقف تجلب الحزن وتنجس جسده بالشر (كما يرى بارك يون-صن). ولذلك، يحث الملك سليمان

الشباب قائلاً: "انزع الغم من قلبك وأبعد الشر عن جسدك". وكيف يتحقق ذلك؟ عندما يسعى الشباب نحو الطهارة وفقاً لكلمة الله يجدون الفرح والبهجة الحقيقيين في قلوبهم، فإنهم ينالون التحرر من القلق والمعاناة والخطيئة التي تبتلي الجسد والعقل على حد أن نعيش حياة تسعى إلى الطهارة وفقاً لكلمة الله، مع الشعور—بل علينا جميعاً—سواء (الآية 9). لماذا إذن يتعين على الشباب بالفرح والابتهاج في قلوبنا؟ السبب ببساطة هو أن مرحلة الشباب تمضي بسرعة فائقة (الآية 10).

ما رأيك؟ ألا تشعر بأن الوقت يمر كلمح البصر؟ تأمل في فترة شبابك؛ ألم تنقض بسرعة كبيرة؟ هل وجدت الفرح خلال تلك المرحلة بدلاً من أن—النابعين من حياة طاهرة تُعاش وفقاً لكلمة الله—من حياتك؟ هل استمتعت بشبابك؟ هل فاض قلبك بالفرح والسرور يثقله الهم والمعاناة والخطيئة؟ أم أنك قضيت شبابك وجسدك وعقلك مثقلين بمثل هذه الأعباء؟ وما هي النصيحة التي تقدمها للشباب؟ ينبغي للشباب أن يفرحوا ويبتهجوا، وأن يسعدوا بأيام شبابهم؛ فعليتهم أن يأكلوا ويشربوا ويعملوا بجد وبنوا عائلات سعيدة. وعلاوة على ذلك، ينبغي لهم الاستمتاع بملذات الشباب من خلال الحفاظ على طهارة سلوكهم وفقاً لكلمة الله. ويجب ألا يسمحوا أبداً بأن يتلوث شبابهم بالعذاب النفسي أو المعاناة الجسدية أو الخطيئة. وإذا يضعون نصب أعينهم دينونة الله وطبيعة الشباب الزائلة، ينبغي للشباب أن يفرحوا بالوقت الممنوح لهم، واجدين الفرح الحقيقي في الرب.

"اذكر خالقك... في أيام شبابك"

[سفر الجامعة 12: 1-8]

بالتركيز على الآيتين 9 و 10 من الإصحاح الحادي عشر لسفر الجامعة، نجد أننا قد تلقينا بالفعل درسين يقدمهما الملك سليمان للشباب تحت عنوان "أيها الشاب". (1) أولاً، ينبغي للشباب أن يتمتعوا بشبابهم ولكن بضبط للنفس، مع الحرص على عدم الانغماس، سواء في الروتين اليومي، أو العلاقات الزوجية—في الإفراط وارتكاب الخطية ضد الله. وبعبارة أخرى، بينما يستمتعون بالحياة يجب عليهم أن يضعوا دينونة الله نصب أعينهم وأن يسعوا لحياة الطهارة وفقاً لكلمته. (2) ثانياً، يجب على الشباب أن—أو العمل يتخلصوا من القلق في قلوبهم والشر في أجسادهم. وفي نص اليوم، وتحديداً في الآية الأولى من الإصحاح الثاني عشر، يقول الملك يجب علينا أن ".سليمان: "اذكر خالقك في أيام شبابك، قبل أن تأتي أيام الشقاء وتقرب السنون التي تقول فيها: 'لا مسرة لي فيها نتذكر الله، خالقنا

إذن، متى ينبغي لنا أن نتذكر الله خالقنا؟ إنه بالتحديد خلال "أيام شبابك". وبعبارة أخرى، يجب أن نتذكر الله خالقنا ونحن في ريعان الشباب والقوة. وما هو السبب في ذلك؟ لماذا يجب أن نتذكر الله خالقنا ونحن صغار السن ومفعمون بالحيوية؟ السبب هو أن أيام الشقاء ستداهمنا قريباً (الآية 1). وما هي طبيعة "أيام الشقاء" هذه التي تنتظرنا؟ إنها الأيام التي سنقول فيها بأنفسنا: "لا مسرة لي فيها" (الآية 1). ومتى نقول عادةً: "لا مسرة لي فيها"؟ يحدث ذلك عندما نتقدم في العمر وتبدأ أجسادنا في الضعف والوهن. ولذا ففي الآيات من 2 إلى 6 من نص اليوم، يستخدم الملك سليمان لغة مجازية لوصف عملية الشيخوخة والضعف البشري. فعلى سبيل المثال، تشير العبارة الواردة في الآية 2— "قبل أن تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم، وتعود السحب بعد المطر"—إلى أحوال الطقس الشتوي في فلسطين؛ إذ كانت الأمطار تهطل شتاءً، مما يجعل الأيام غالباً ملبدة بالغيوم وكثيية. يستخدم الملك سليمان هذه الصور البلاغية ليوضح أن الشيخوخة تخلو من البهجة وغالباً ما تتسم بالكآبة — تماماً مثل يوم غائم وممطر — ولذا فهو يحدث الناس على تذكر الله خالقهم وهم لا يزالون في ريعان الشباب. إن عبارة "ترتجف حراس البيت" في الآية 3 هي استعارة لارتجاف اليدين المصاحب للشيخوخة، بينما تشير عبارة "تنحني الرجال الأقوياء" إلى فقدان القوة في الساقين. وعلاوة على ذلك، فإن عبارة

تتوقف الطاحنات لأنها قلت" (الآية 3) هي استعارة لحالة الأسنان، مما يشير إلى تدهورها بشكل كبير مع تقدم العمر. وتشير عبارة "تظلم الناظرات من النوافذ" (الآية 3) إلى ضعف البصر في الشيخوخة. وفي الآية 4، ترمز عبارة "تغلق الأبواب نحو الشارع" إلى ضعف حاسة السمع. وتشير عبارة "يخفت صوت الرحي" (الآية 4) إلى أن كبار السن، لافتقارهم إلى الأسنان، يتناولون الطعام بصمت شبه تام. وتوحي عبارة "يقوم المرء عند صوت العصفور" (الآية 4) بأن كبار السن لا ينعمون بنوم عميق ويستيقظون بسهولة عند سماع زقزقة الطيور. وتعني عبارة "تخفت كل بنات الغناء" (الآية 4) أن الأحبال الصوتية تضعف، مما يجعل التحدث أو الغناء بقوة أمراً مستحيلاً. وفي النهاية، يقرر الملك سليمان أنه لا خيار أمام كبار السن سوى "العودة إلى بيتهم الأبدي" (الآية 5) وبعبارة أخرى، يعني هذا أن كبار السن يواجهون الموت حتماً. ورغم صحة القول بأن الصغار والكبار سيموتون جميعاً في نهاية المطاف، إلا أنه لا يمكننا إنكار أن كبار السن أقرب إلى تلك النهاية من الشباب. ولذلك، ينبغي لكبار السن، على وجه الخصوص أن يعيشوا ما تبقى من حياتهم وهم واعون لحقيقة الموت. وكذلك الشباب — إذ يدركون أن الوقت يمضي سريعاً وأنهم سيصبحون مسنين قريباً — ينبغي لهم أن يعيشوا واضعين هذا المنظور للموت نصب أعينهم، متذكّرين الله خالقهم.

إذن، ماذا يقصد الكتاب المقدس عندما يوصينا بتذكر الله خالقنا في أيام شبابنا؟ يمكن تلخيص ذلك في ثلاث نقاط (وفقاً لـ "ولبولد"):

أولاً: إن الأمر بـ "تذكر الخالق" يعني مخافة الله. تكمن خلاصة سفر الجامعة في الآية 12: 13: "الْكُلُّ سَمْع. الْنَّهَائَةُ هِيَ: اتَّقِ اللَّهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ". وهذا هو بالضبط معنى عيش حياة تضع الخالق في الحسبان. ففي خضم هذا العالم المليء بالبطل والزوال، ينبغي على الشباب ألا يهدروا حياتهم في مستقبل عقيم لا طائل منه (11: 8، 10). ولتجنب ذلك، عليهم أن يتقوا، وهم في ريعان شبابهم. وعلاوة على ذلك، فمن خلال تقوى الله — الله — الذي يمسك بيده زمام الحياة والموت والرخاء والشدة، ينبغي عليهم السعي نحو الطهارة (نقاء السلوك) وفقاً لكلمته (11: 10). وحين يفعلون ذلك، سيتحررون من القلق في قلوبهم ولن يرتكبوا الخطيئة بأجسادهم (الآية 10).

ثانياً، إن الوصية بـ "تذكر الخالق" تعني الاستمتاع بالحياة في الرب مع عيشها بروح المسؤولية.

نجد أن الملك سليمان حث —وبالنظر مجدداً إلى الآيتين 9 و10 من الإصحاح 11 في سفر الجامعة — اللتين تأملنا فيهما سابقاً الشباب على الفرح والابتهاج في قلوبهم. وفي الوقت نفسه، دعاهم إلى وضع دينونة الله نصب أعينهم، وإبعاد القلق عن قلوبهم، ونبذ الشر عن أجسادهم. بعبارة أخرى، إن الفرح الذي ينبغي أن يختبره الشباب هو فرح يُنال أثناء أداء مسؤولياتهم؛ فمن المؤكد أن الكتاب المقدس لا يشجع على العيش بلا مسؤولية والسعي وراء الأمور الباطلة والزائلة في مرحلة الشباب. إذن، كيف يمكن للشباب الاستمتاع بالحياة مع الحفاظ على حس المسؤولية؟ يصبح ذلك ممكناً عندما ينظرون إلى الحياة من منظور الموت. تأمل في نص اليوم، الجامعة 12: 6-7: "اذْكُرْهُ قَبْلَمَا يَنْقَطِعَ حَبْلُ الْفَضَّةِ، أَوْ يُسَجَّقَ كَوْغُ الدَّهَبِ، أَوْ الْجَزَّةُ تُنْكَسِرُ عَلَى الْعَيْنِ، أَوْ الْبَكْرَةُ تُنْكَسِرُ

عَلَى الْبُئْرِ. فَيَرْجِعُ التُّرَابُ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا كَانَ، وَتَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهَا". تتحدث هاتان الآيتان عن موتنا؛ فالملك سليمان داعياً إياهم للاستمتاع بالحياة في الرب وعيشها —يوجه كلامه للشباب— الذين سينتقد بهم العمر ويموتون في نهاية المطاف بمسؤولية وهم لا يزالون في مقتبل العمر وموفاوري الصحة والقوة. في نهاية المطاف، فإن الحياة التي تجمع بين الاستمتاع والمسؤولية هي حياة تُعاش لأجل الرب. وعندما نعيش لأجل الرب بروح المسؤولية، واجدين رضانا فيه وحده، فإننا نختبر الفرح الحقيقي.

ثالثاً، إن الوصية بـ "ذِكْر خالقك" تعني حفظ شرائع الله ووصاياه بأمانة.

في نص اليوم، الوارد في سفر الجامعة 12: 1، يحثنا الملك سليمان على "ذِكْر خالقنا". وبالنظر إلى سفر التثنية 8: 18 والمزمور نجد أن عبارة "الذِّكْر" ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتوجيه بـ "حفظ الشريعة". وعلاوة على ذلك، توازي عبارة "الذِّكْر" مفهوم 55: 119 "التأمل في الله واتباعه بأمانة" الوارد في المزمور 63: 6 (وفقاً لتفسير "والفورد"). بعبارة أخرى، تشير الوصية بـ "ذِكْر الخالق" إلى حفظ شرائع الله (وصاياه) وإطاعتها بأمانة.

لماذا إذن يجب علينا أن نذكر الله الخالق في فترة شبابنا؟ هناك سببان لذلك:

يجب علينا أن نذكر الله الخالق في شبابنا لأنها فترة مليئة بالتجارب (وفقاً لتفسير "بارك يون-صن") (1)

ففي حين تتبج مرحلة الشباب امتياز الاستمتاع بالحياة، فهي في الوقت نفسه فترة تعج بالتجارب والمغريات. ويواجه الشباب، على وجه الخصوص، خطر السعي وراء ملذات العالم الزائفة بدلاً من اتباع فرائض الله وإطاعتها. ولعل أحد أسباب ذلك هو وفرة الحيوية الذهنية والجسدية التي تميز مرحلة الشباب؛ فما لم يوجه المرء تلك القوة الذهنية والجسدية نحو العيش لمجد الله، يمكن للشباب بسهولة أن يتحول إلى فترة يسعى فيها المرء حتماً وراء مجد العالم الفارغ.

يجب علينا أن نذكر الله الخالق في شبابنا لأن قوتنا الذهنية والجسدية تمكننا من خدمة الرب واتباعه بنشاط وحيوية (وفقاً لتفسير (2) "بارك يون-صن").

ينبغي علينا أن نعمل بجد واجتهاد لأجل الرب ونحن في ريعان الشباب؛ إذ قد لا نتمكن من القيام بذلك عندما نتقدم في العمر، حتى وإن رغبتنا في ذلك. ونظراً لأن مرحلة الشباب تمضي سريعاً، يتحتم علينا العمل لأجل الرب باجتهاد وشغف ما دمنا نتمتع بالقوة والقدرة الجسدية اللازمة لذلك (الجامعة 10: 11). ولهذا الغرض، يجب علينا أن نذكر الله الخالق في فترة شبابنا. علينا أن نتذكر الله الخالق في أيام شبابنا، قبل أن تحلَّ أيام الشقاء وتقترب السنون التي نقول فيها: "لا أجد فيها متعة". وقبل أن تضعف أجسادنا أكثر

ونعجز عن فعل أي شيء، يجب علينا أن نتقي الله ونحفظ وصاياه بأمانة؛ لذا ينبغي لنا أن نعيش حياتنا بروح المسؤولية مع الاستمتاع بها في آن واحد خلال فترة الشباب. وأدعو الله أن تنالوا هذه البركات

"بعد سماع خلاصة الأمر"

[سفر الجامعة 12: 9-14]

عندما أزور مكتبة لشراء الكتب، عادةً ما أبحث أولاً عن مؤلفات كُتَّابٍ أستمع بأعمالهم. ثم أتتحقق مما إذا كانت هناك عناوين لم أشتريها أو أقرأها بعد. وإذا عثرتُ على كتاب لم أقرأه، أفتحه لأطلع على جدول المحتويات؛ فأنا أفعل ذلك لأكون فكرةً عامةً عن موضوع الكتاب. وقبل اتخاذ القرار النهائي بشراء كتاب ما، غالباً ما أنتقل إلى الخاتمة في نهايته؛ فقراءة الخاتمة تتيح لي استيعاب جوهر ما كتبه المؤلف.

"نصل اليوم أخيراً إلى خاتمة سفر الجامعة - أي الآيات من 9 إلى 14 من الإصحاح الثاني عشر. هنا، يقدم لنا الملك سليمان، "الجامعة (أو الواعظ)، مشورته الأخيرة. ويكمن جوهر هذه النصيحة الختامية في الآية 13: "بعد سماع خلاصة الأمر: اتق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو واجب الإنسان كله". لقد بدأنا التأمل في سفر الجامعة لأول مرة يوم الأربعاء، 17 أكتوبر 2009. وفي ذلك الوقت، تأملنا في النص الاستهلالي - الجامعة 1: 1-11 - تحت عنوان "عالمٌ باطل". والآن، وبعد مرور عام وشهرين تقريباً، نوجه أنظارنا إلى خاتمة السفر في الجامعة 12: 9-14. وبينما نركز على هذا النص، وتحت عنوان "بعد سماع خلاصة الأمر"، أرغب في أن أتلقي بتواضع رسالة المشورة الأخيرة التي يريد الله إيصالها إلينا من خلال سفر الجامعة.

أولاً، علينا أن نتأمل في عبارة "بعد سماع خلاصة الأمر" وأن نسأل أنفسنا: ما هي بالضبط "خلاصة الأمر" هذه التي سمعناها؟ إنها، في الواقع، كلمة الحق الصادقة. انظر إلى نص اليوم، الجامعة 12: 10: "سعى المعلمٌ ليجد كلماتٍ مبهجة، وكان ما كتبه مستقيماً كلماتٍ صادقة". وكما نعلم، كان الملك سليمان أحكم رجل في العالم (1 ملوك 3: 28-29). لقد تمتع بالحكمة التي وهبها الله إياها - (سفر الجامعة 12: 9)، ولم يكتفِ بتعليم المعرفة لشعب إسرائيل - شعب الله - بل صاغ أيضاً أمثالاً كثيرة نبعت من تأمله العميق ودراسته (الآية 9). وسواء كان يُعَلِّم بني إسرائيل أو يصوغ الأمثال، فقد كان الملك سليمان يجتهد في البحث عن كلماتٍ مُبْهَجة. وانتقائها واستخدامها (الآية 10). وفي الآية العاشرة، يُعلن أن سفر الجامعة، الذي دونه، يتألف من "كلمات مستقيمة وصادقة وبعبارة أخرى، يؤكد الملك سليمان أن رسالة سفر الجامعة التي علّمها هي الحق، وليست باطلاً. وبهذا القول، يكشف لنا أن هذا - السفر يحمل سلطان كلمة الله (بارك يون-سون). فكيف ينبغي لنا إذن - بعد سماع كلمات سفر الجامعة التي تحمل سلطان الله - أن نستجيب؟ وكيف ينبغي أن نعيش حياتنا بعد سماع كلمة الله من خلال هذا السفر؟ أود أن أستخلص منه أربعة دروس

أولاً: بعد سماع رسالة سفر الجامعة، ينبغي أن نشعر بأن كلمة الله تخترق قلوبنا وضمائرنا

انظر إلى نص اليوم، سفر الجامعة 12: 11: "كلام الحكماء كالمناخس..."; تشير كلمة "المناخس" هنا إلى الأدوات التي كان الرعاة يستخدمونها لتوجيه قطعانهم في الطريق الصحيح، وتقوم كلمة الحق الإلهية بهذا الدور ذاته. فعندما نميل إلى الانحراف يميناً أو يساراً، تنخس كلمة الحق الإلهية قلوبنا وضمائرنا، وتُثير فينا شعوراً بالقناعة واليقين يُعيدنا إلى الطريق القويم. ويقول كاتب الرسالة "...إلى العبرانيين: "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والنخاع (العبرانيين 4: 12). وعلاوة على ذلك، في الإصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل، حين أعلن الرسول بطرس كلمة الله، "نُخسوا في قلوبهم" (شعروا بوخز عميق في قلوبهم) وسألوا بطرس وبقية الرسل: "أيها الرجال الإخوة، ماذا نصنع؟" (الآية 37). أجاب بطرس: "تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِعُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (الآية 38). وفي ذلك اليوم، قبل نحو 3000 شخص كلمة الله على يد بطرس، ونخسوا في قلوبهم، وتابوا، واعتمدوا (الآية 41). وبهذه الطريقة، تخترق كلمة الحق الإلهية قلوبنا وضمائرنا. لذا، فإن السؤال الذي يجب أن يطرحه كل منا على نفسه - بعد التأمل في سفر الجامعة خلال اجتماعات الصلاة يوم الأربعاء لأكثر من عام - هو: هل اخترقت كلمة الله قلوبنا وضمائرنا؟ وما هو حالك أنت؟ شخصياً، أشعر بأن -قلبي وضميري يواجهان توبيخاً بسبب سفر الجامعة؛ لأنني -رغم إدراكي بأنه لا ينبغي لي السعي وراء أمور عديمة الجدوى تماماً أجد نفسي أركض مراراً وتكراراً وراء هذه الأباطيل. لقد قال المُرسل "جيم إليوت" عبارته الشهيرة: "ليس أحققاً من يتخلى عما لا يستطيع الاحتفاظ به، ليكسب ما لا يمكنه فقدانه". ومع ذلك، ولأنني أسعى وراء أشياء لا تدوم -أي ملذات زائلة وعديمة المعنى (الجامعة 2: 1-11)- فإنني أشعر بأن قلبي وضميري يخترقهما حق كلمة الله الوارد في سفر الجامعة. ثانياً، بعد أن استمعنا إلى رسالة سفر الجامعة كاملة، يجب أن نضمن أن تصبح كلمة الحق الإلهية بمثابة "مسمار مُثَبَّت بإحكام" في قلوبنا. وبعبارة أخرى، يجب علينا معالجة جميع مشكلات الحياة استناداً إلى أساس كلمة الله.

"انظر إلى نص اليوم، الجامعة 12: 11: "كَلِمَاتُ الْحُكَمَاءِ كَالْمَنَاخِسِ، وَكَأَوْتَادٍ مُثَبَّتَةٍ أَرْبَابُ الْجَمَاعَاتِ، قَدْ أُعْطِيتُ مِنْ رَاعٍ وَاحِدٍ عندما يتحدث إلينا الرب -وهو الحكيم الحقيقي ومعلمنا- فإن كلماته لا تكون مجرد "مناخس" (عصي مدببة) توخز قلوبنا وضمائرنا، فحسب، بل تكون أيضاً بمثابة "مسامير مُثَبَّتة بإحكام". فماذا يعني أن تكون كلمة الحق بمثابة "مسمار مُثَبَّت بإحكام"؟ وهذا يعني أنه تماماً كما تُعَلَّق الأشياء المهمة على مسمار مُثَبَّت بإحكام، فإن جميع مشكلات الحياة يمكن حلها عندما تركز على كلمة الله (بارك (يون-سون).

وبصفتنا رعية الرب، لا ينبغي لنا الاكتفاء بسماع كلمات الراعي والاهتداء بها فحسب، بل يجب أيضاً أن نكتسب الحكمة من خلالها لنعامل مع تحديات الحياة ونحلها. ويجب ألا نرتكب مجدداً تلك الخطيئة الحمقاء المتمثلة في محاولة حل مشكلات الحياة بمعزل عن كلمة الحق الإلهية. ولتحقيق ذلك، ينبغي أن تكون كلمة الله راسخة في قلوبنا تماماً كمسمار مُثَبَّت بإحكام؛ فتخيل معي: إذا لم يكن

المسمار مُثْبَتاً بقوة في الجدار ، فكيف يمكن تعليق أشياء مهمة عليه؟ وبالمثل، إذا لم تكن كلمة الحق الإلهية متجذرة بعمق في قلوبنا فلن نسعى للعودة إليها عند مواجهة مشكلات الحياة، ولن نكون قادرين على ذلك. لذا، وبعد أن اختتمنا دراستنا لسفر الجامعة، دعونا ننقش حقائقه على ألواح قلوبنا ونمضي قدماً للتغلب على تحديات الحياة بقوة كلمة الله. وثالثاً، بعد سماع كلمات سفر الجامعة، يجب علينا أن نصغي إلى تحذير الله الذي تنقله إلينا تلك الكلمات.

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 12: 12: "يَا ابْنِي، تَحَذَّرْ: لَيْسَ لِعَمَلٍ كَثِيرٍ نَهَايَةٌ، وَالدَّرْسُ الْكَثِيرُ تَعَبٌ لِلْجَسَدِ". إن كلمة الله "نَافِعَةٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ" (2 تيموثاوس 3: 16). يجب ألا نكتفي بتلقي التعليم فحسب، بل علينا أيضاً قبول التوبيخ من خلال كلمة الحق الإلهية. ومع ذلك، ما الذي نتلقاه عادةً من الله قبل توبيخه لنا؟ إنه "التحذير". فإله يُحَذِّرُنَا قبل أن يُوبِّخَنَا. إذا أصغينا لتحذير الله وأطعناه، فسننال ثناءه؛ أما إذا سمعناه وعصيناه، فسنواجه توبيخه حتماً.

ما هو التحذير الذي يقدمه لنا الملك سليمان في نص اليوم، سفر الجامعة 12: 12؟ باختصار، هو: لا تعتمد على الكتب الدنيوية بخلاف الكتاب المقدس. ولماذا ذلك؟ لأن الكتب - على عكس الكتاب المقدس - مهما كثرت وتعددت المنشور منها في هذا العالم، فهي لا تقدم إشباعاً حقيقياً (إذ لا نهاية لها) بل تسبب التعب لمن يدرسها (كما يرى بارك يون-سون). ما رأيك أنت؟ هل تُشبع الكتب الكثيرة، المتاحة في العالم نفسك؟ هل أنت مقتنع حقاً بأن كلمة الكتاب المقدس وحدها هي القادرة على إشباع نفوسنا؟ يجب أن نعيش بالإيمان وللقيام بذلك، علينا أن نعتدي بكلمة الله، فهي الغذاء لنفوسنا (*Sola Scriptura*) "معتمدين على مبدأ "الكتاب المقدس وحده، وعلاوة على ذلك، فإننا بإطاعة تلك الكلمة لا نكتفي بهضمها فحسب، بل نسمح لها بأن تصبح بمثابة "عضلات روحية" لنا. لذا يجب أن نثبت على كلمة الله، ونعتمد عليها، ونطيع مشيئة الله، وبذلك نمجده. واربعاً وأخيراً، بعد سماع رسالة سفر الجامعة، يجب علينا أن نتقي الله ونحفظ وصاياه.

تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 12: 13: "فَلْنَسْمَعْ خَتَامَ الْأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللَّهَ وَاحْظُ وَصَايَاهُ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ". تُشَكِّلُ هذه الآية خلاصة سفر الجامعة بأكمله؛ وتتمثل تلك الخلاصة تحديداً في تقوى الله وحفظ وصاياه. هذا هو "واجب الإنسان". وهنا، تشير عبارة "واجب الإنسان" إلى "جوهر وجود الإنسان بأكمله". وبعبارة أخرى، لقد خُلقت الحياة البشرية لغرض مخافة الله وحفظ وصاياه، وتعتمد قيمة الحياة كلياً على خدمة الله (بارك يون-سون). وبالنسبة لنا، يتمثل "جوهر" الحياة في معرفة غايتها وقيمتها والعيش من أجل تلك الغاية وتلك القيمة. ما هي قيمة حياتنا؟ إنها تعتمد كلياً على خدمة الله. وعلاوة على ذلك، ما هي الغاية من حياتنا؟ إنها مخافة الله وحفظ وصاياه. يجب علينا أن نؤمن بحقيقة أن "الله سيُحضر كل عمل إلى الدينونة، بما في ذلك كل أمر خفي، سواء كان خيراً أم شراً" (12: 14)، وأن نؤدي بأمانة واجبننا كبشر هنا على الأرض.

أود أن أختتم هذا التأمل. لقد تعلمنا من خلال كلمات سفر الجامعة (12: 9-14) أن الله يريد منا -نحن الذين سمعنا رسالة السفر، الصادقة والحقيقية- أن نستجيب بأربع طرق محددة: (1) أولاً، يريد الله أن تخرق كلمته ذات السلطان قلوبنا وضمائرنا. (2) ثانياً،

يريد الله منا أن نحل جميع مشكلات الحياة استناداً إلى كلمته. (3) ثالثاً، يريد الله منا أن نصغي للتحذير من الاعتماد على كتب دنيوية بخلاف الكتاب المقدس. (4) وأخيراً، يرغب الله في أن نتقيه ونحفظ وصاياه بعد سماعنا لرسالة سفر الجامعة. إن صلاتي هي أن نؤدي بأمانة واجبنا كبشر - ونحن نعيش في هذا العالم الزائل - مستعينين بالحكمة التي منحنا الله إياها، حتى إذا وقفنا أمام الرب، نسمع "الكلمات: "نِعْمًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْأَمِينُ".